يتيمة الدهر

للامام أبى منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى

المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية

الجزء [illegible]

الطبعة الاولى

سنة ١٣٥٢ هـ — سنة ١٩٣٤ م

التزام

على محمد عبد اللطيف

صاحب المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر

يتيمة الدهر

للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية

كتاب يتيمة الدهر

لعل أول مايسترعى النظر إلى هذا الكتاب عنوانه (يتيمة الدهر) ويظهر أن الناس ما كانوا يعرفون أصل هذه التسمية ولايدركون سرها حتى شرع لهم ابن قلاقس الاسكندري الشاعر المشهور تعليلا معقولا ضمنه بيتين سائرين هما :

أبيات أشعار اليتيمة　　أبكار أفكار قديمه
ماتوا وعاشت بعدهم　　فلذاك سميت اليتيمه

وأظن أن جمهرة الأدباء قد ارتضوه واطمأنوا إليه

ولكن بعض المحدثين من علاَّم الازهر الذين أحاطوا بكل شيء وكان يدرس لنا كتابا فى علم البديع جاء فيه اسم بعض الشعراء وقال مؤلف الكتاب إنه أحد شعراء اليتيمة فسأله طالب عن اليتيمة ما تكون ؟ فما كان جواب الشيخ إلا أن قال إنها التى مات أبوها وإن امرأة أسميت اليتيمة وكان الشعراء يتعشقونها لجمالها ويمدحونها ! ! . . وهذا الشاعر منهم ! ! . . .

ولست أعلم أيجد هذا الرأي أنصاراً يقرونه ويطمئنون اليه كما أقروا الرأي الأول واطمأنوا اليه ام يرفضونه

إلى هذين الرأيين يذكر أحدُ الظراف المعاصرين وقد رأى فحش أغلاط الطبعة الأولى الدمشقيه إنه يغلب أن تكون التسمية عارضة أو أن الثعالبي كان يعلم الغيب إذ لم تجد اليتيمة من يعنى بتصحيحها فهى كمن فقدت والدها ويقول إنه يصح أن يطلق عليها اسم آخر إذا طبعت طبعة أخرى مصححة !

وغفر الله لمصححه فمع أنه كتب على أول ورقة منه :

ان هذا الـكتاب كان كاا   منقاء لا يرتجى اليه وصول

تتمنى أولو الفضائل أن لو   كان يوماً له لديهم حصول

فهو لم يعن بتصحيحه ولم يقدر الخسارة التى تدرك الادب والادباء من جراء ذلك فـكثيراً ما يصرف الخطأ أنظار الناس عن كتاب هم في حاجة اليه وكثيراً مايتورط الناس حتى العلماء منهم في اخطاء منشؤها اغفال التصحيح

وقديماً كان التصحيح ولا يزال مشكلة من أعضل المشا كل ، وقديماً تورط العلماء فى اخطاء . وألفت كتب لاحصاء تلك الاخطاء ، وممن قام بتدوين ذلك أبو احمد العسكرى شيخ أبى هلال

وأبو أحمد العسكرى وهو من علماء القرن الرابع واللغة العربيـة فى أوجها وازدهارها يقول فى صدر كتابه التصحيف والتحريف : « وقد كان الناس في ما مضى يغلطون في اليسير دون الـكثير ويصحفون في الدقيق دون الجليل لـكثرة العلماء وعناية المتعلمـين فذهبت العلماء وقلت العناية فصار ما يصفحون أكثر مما يصححون وما يسقطون أكثر مما يضبطون »

فما باله لو أدرك زماننا هذا والناس إنما يأخذون العلم عن الصحف مع ندرة الصحيح

ويحسن أن أروى خبراً يدل على تطور التصحيف وذيوعه فى عصرنا فقد روى العسكري أن اسماعيل بن محمد البسرى قال سمعت عثمان بن أبى شيبة يقرأ (وجعل السقاية في رجل أخيه) فلما طبع كتابه حرفت الى (وجعل السفينة في رجل أخيه)

ومن آثار الاطمئنان الى الطبعة الدمشقية لـكتاب اليتيمة أن الدكتور زكى

الله بن أحمد البلدى النحوى وكان أعور فاعتلت عينه الصحيحة

إن قلت جورا فلا تلمنى   بأن رب العدى المسيح
أراك تعمي وذاك يبرى   فهو إذا عندى الصحيح

قال الثعالبى : واستغفر الله من كتبة هذا

من النواحى الهامة الجديرة بالعناية التى تلفت النظر إلى اليتيمة ناحية النقد فلم يسلم من الثعالبى شاعر دون نقد وتعقب للمعانى وإيضاح للمسروق منها والمستهجن وإن كان الثعالبى نفسه لا يظهر شخصيته في هذا الكتاب ولا تكاد تلمسه إلا قليلا وذلك يندر وجوده عند مؤلفى عصره والعصر الذى سبقه مثل ابن عبد ربه فى كتاب العقد والحصرى في زهر الآداب وابى هلال فى الصناعتين فهؤلاء كانوا يتعقبون المعانى والأبيات بمثلها وأبرد منها من شعرهم مع أن الثعالبى شاعر نادر المثال

وناحية أخرى هى إيراده لبعض الرقائق والمقطعات وتنبيهه إلى أنها مما يتغنى به ولهذه الناحية يرى بعض العلماء أنه تتمة لكتاب الأغانى ويكاد يتم له هذا الرأى لولا أن الأغانى التى وردت فيه من القلة بحيث لا يظن أن الثعالبى جعلها أصلا ولا قاعدة لكتابه .

ونود أن ينشط الأدباء لدراسة هذا الكتاب والعناية به وابداء رأيهم فيه براً بآصرة الادب ورعاية لحقوق الادباء والله يقدر الخير ويهدي اليه .

ترجمة المؤلف

ولد أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري سنة خمسين وثلثمائة للهجرة في مدينة نيسابور، ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن أسرته ولا نشأته وابن خلكان على عنايته بايراد انساب من يترجمهم كاملة لم يذكر إلا جده اسماعيل، ولا ندرى كيف بتر نسبه هكذا، ولعل أسرته كانت غير عربية فلم تعن بحفظ نسبها

وكنا نرجو أن نجد له ترجمة حافلة فى معجم ياقوت لأنه أكثر الناس نقلا عنه وأشدهم به أعجاباً، فاذا ترجمته قد ضاعت فيما ضاع من معجم ياقوت

وبالرغم من ضياع تلك الترجمة فقد نستطيع أن نلمح رأي ياقوت فيه فقد نقل عنه واعتمد على مؤلفاته واثنى عليه ومدحه فى مواضع من كتابه وياقوت يستمد كثيراً من التراجم التي وضعها فى معجمه من كتاب اليتيمة كما يستمد غيره من المؤلفين كابن خلكان وإن كان ابن خلكان يخطئه أحيانا ويذكر أنه ينسب أشياء لغير أهلها

والثعالبي أحد المؤلفين الذين رزقوا حظوة فى التصنيف وأكثر مصنفاته فى فنون الأدب واللغة والتاريخ فمنها يتيمة الدهر. وفقه اللغة. وسحر البلاغة. ومن غاب عنه المطرب. وأخبار ملوك الفرس. ولطائف المعارف. وماجرى بين المتنبى وسيف الدولة. وطبقات الملوك. والاعجاز والايجاز. وخاص الخاص. ونثر النظم وحل العقد. ومكارم الأخلاق. وثمار القلوب في المضاف والمنسوب. وسر الادب. والكناية والتعريض. والتجنيس. وغرر البلاغة وبرد الأكباد. ومرآة المروءات. والغلمان. وتحفة الوزراء. وكنز الكتاب واحسن المحاسن. وأحسن ماسمع. واللطائف والظرائف. ويواقيت المواقيت.

والشكوى والعتاب والمقصور والممدود والمتشابه . والمنتحل . والجواهر الحسان في تفسير القرآن والنهاية في الكناية والمبهج والتمثيل والمحاضرة . وله كتاب اسمه حشو اللوزينج يشير اليه في ثمار القلوب ومؤلفاته تغنينا عن آراء العلماء فيه فهي تدلنا على غزارة مادة وسعة علم وأنه لم يكن مؤلفاً فحسب بل كان مبتكراً لبعض فنون الآداب . وابن بسام صاحب الذخيرة يقول إنه كان في وقته راعي تلعات العلم وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين في زمانه وامام المنصفين بحكم أقرانه سار ذكره سير المثل وضربت اليه آباط الابل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب تواليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع . وأكثر راو لهـا وجامع . من أن يستوفيها حد أو وصف أو يوفي حقوقها نظم أو رصف

والباخرزى يقول إنه كان جاحظ نيسابور وزبدة الاحقاب والدهور لم تر العيون مثله ولا أنكر الاعيان فضله

وللثعالبي نثر يظهر عليه الاناقة والصقل ، وحينا يرسله ارسالا فيظهر كأنه يتأثر الجاحظ في اسلوبه وطريقة عرضه

والى ذلك كان الثعالبي شاعراً أثر له قوله في أبي الفضل الميكالي :

لك في المفاخر معجزات جمة　　أبداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه　　شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعى
وترسل الصابي يزين علوه　　خط ابن مقلة ذو المحل الارفع
كالنور أو كالسحر أو كالبدر او　　كالوشي في برد عليه موشع
شكرا فكم من فقرة لك كالغنى　　وافى الكريم بعيد فقر مدقع
واذا تفتق نور شعرك ناضراً　　فالحسن بين مرصع ومصرع
أرجلت فرسان الكلام ورضت افـ　　راس البديع وأنت أمجد مبدع
ونقشت في فص الزمان بدائعا　　تزرى بآثار الربيع المرع

ومن شعره

لما بعثت فلم توجب مطالعتى وأمعنت نار شوقى في تلهبها
ولم أجد حيلة تبقى على رمقى قبلت عينى رسولى اذرآك بها

وله فى وصف فرس أهداه اليه ممدوحه

ياواهب الطرف الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الاربع
لا شيء أسرع منه إلا خاطرى فى وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو أننى أنصفت فى اكرامه لجلال مهديه الكريم الالمعى
أقضمته حب الفؤاد لحبه وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع برد الشباب لجله والبرقع

والمؤرخون كذلك يغفلون ذكر شيوخه وتلاميذه ولكنا نجده يروى عن ابى بكر الخوارزمى ويترجم له وينقده ويقول والكامل من عدت سقطاته ويقول وانشدنى بديع الزمان الهمذانى وحاضر بن محمد الطوسى وابو جعفر الموسوى وابو زكريا يحيى بن اسماعيل وعمر بن محمد الزاهد والمصيصى ومحمد بن عبد الجبار العتبي وغيرهم

ويقال إنه كان فراء يخيط جلود الثعالب ، فنسب الى صناعته وتوفى سنة ٤٢٩ هـ ـ ١٠٣٧ م وقيل فى ٤٣٠ فرحمه الله رحمة واسعة

وجزى الله حضرة الشاب النبيل السيد على أفندي محمد عبد اللطيف خير ما يجزى غيور على الأدب ومجد في إحيائه ونشره ؟

مصر درب الجماميز رقم ١٠٣ محمد إسماعيل الصاوى

فهرس الجزء الأول

ذكرنا أن تفسير الجواهر الحسان للثعالبي متابعة للزركلى صاحب الاعلام والصحيح أنه ليس

يتيمة الدهر

للامام أبى منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى

المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية

الجـــزء الأول

بنفقة

علي محمد عبد اللطيف

صاحب المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر

الطبعة الأولى

١٣٥٢هـ — ١٩٣٤م

مطبعة الصاوى

بملتقى شارعى عبد العزيز والهدارة رقم ١ بمصر

كلمـــة المصحح

اعتمدنا فى تصحيح هذه الطبعة على النسخ الخطية المحفوظة بدار الـكتب المصرية تحت أرقام ٨٥١ و ٧٧٥٣ و ٤٦١١ أدب

وقد رمزنا الى النسخة الأولى بحرف « ا » والثانية « ب » والثالثة « ج » فاذا اختلفت النسخة الدمشقية فاننا نشير اليها بحرف « ط »

مع الاشارة الى اختلاف النسخ والروايات إذا كان للاختلاف معـــنى واضح

وقد ذهب بقيمة النسخة المطبوعة فى دمشق كثرة ما وجدناه فيها من التحريف والتشويه والبتر أحيانا لذلك لم نرجع إليها الا قليلا

كما اعتمدنا فى تصحيح شعر الشعراء الذين لهم دواوين بمجموعة على رواية الديوان

وليس يعلم الا الله مبلغ عنائنا وجهودنا التى نستقبلها فى تصحيح هذه الطبعة وتحريرها

رمضان ١٣٥٢ — محمد إسماعيل الصاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خير ما بُدِىءَ به الكلام وختم ، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم .

« أما بعد» فإن محاسن أصناف الأَدب كثيرة ، ونكتها قليلة . وأنوار الأقاويل موجودة ، وثمارها غزيرة[1] . وأجسام النثر والنظم جمة ، وأرواحهما نزرة ، وقشورهما معْرِضة[2] ، ولبوبهما مُعوِزة[3] . ولما كان الشعر عمدة الأدب ، وعلمَ العرب الذي اختصت به عن سائر الأُمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبي منهم المرسل صلوات الله عليه وآله وسلم ، كانت أشعار الاسلاميين أرقّ من أشعار الجاهليين . وأشعار المحدثين ألطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين لانتهائها الى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ، ومن حد الشعر الى السحر ، فكأن الزمان ادّخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الالفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً في كمال الصنعة ، ورونق الطلاوة .

ولذاك قد ساد النبيُّ محمد   كلَّ الانام وكان آخرَ مرسل

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء والمتأخرين ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم . والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم

---

١ كذا في الاصول ولعل صوابها عزيزة لتلائم معنى ما بعدها ٢ يقال أعرض الشيء اذا مكن الناس منه ٣ المعوزة العزيزة التي لا توجد

فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه . لايشينه الآن إلاَّ نبو العين عن إخلاق جدته ، وبِلَى بردته ، ومج السمع لمردّداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيت محاسن أهل العصر التي معهاروا الحداثة ، ولذة الجِدَّة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد، غير محصورة بكتاب يضم نشرها، وينظم شذرها ، ويشد أزرها . ولا مجموعة فى مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها[1] وقد كنت تصديت لعمل ذلك فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر فى اقباله ، والشباب بمائه . فافتتحته باسم بعض الوزراء مجريا اياه مجرى مايتقرب به أهل الأدب الى ذوي الأخطار والرتب ، ومقيما ثمار الورَق مقام نثار الورِق. وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولاتتسع لتوفية شرطه . فارتفع كعجالة الراكب ، وقبسة العجلان . وقضيت به حاجة فى نفسى ، وأنا لاأحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمنتسخين يتداولونه ، حتى يصير من أنفَس ماتشح عليه أنفس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصى البلدان . فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار بحرص أهل الفضل على غُدُره [2] وعدهم إياه من فرص العمر وغرره ، واهتزازهم لزهره ، وافتقارهم لفِقَره [3] . وحين أعرته على الأيام بصري ، واعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ماقرأته في بعض الكتب : ,,أن أول مايبدو من ضعف ابن آدم أنهُ لايكتب كتاباً فيبيت عندهُ ليلة إلاَّ أحب في غدها أن يزيد فيه اوينقص منهُ ،، هذا فى ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ورايتني أحاضر بأجواب[4] كثيرة مما ينسب فيه وقعت بآخرة الي ، وزيادات جمة عليها حصلت من أفواه الرواة لدي. فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الادباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ،

---

١ كذا ولعل الانسب فرائدها ٢ جمع غدير وهى القطعة من الماء يغادرها السيل
٣ جمع فقرة والمراد بها الجملة من القول وهى فى الاصل ماانتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى عجب الذنب ٤ فى ط: بأخوات والاجواب الاخبار الطارئة

ولم يصافح اذهانهم ؛ فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الإحماد ؛ ويستوجب من الاعتداد لوفر الاعداد ، ولم لاأبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الاشباع والاتمام هدف المرام ، فجعلت أبنيه وأنقضه ، وأزيده وأنقصه . وأمحوه وأثبته ، وأنتسخه ثم أنسخه ، وربما أفتتحه ولا اختتمه، وأنتصفه فلا اشتتمه ؛ والايام تحجز، وتعد ولاتنجز . إلى أن أدركت عصر السن والحنكة ، وشارفت أوان الثبات والمسكة، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة وتحريرها من بين النسخ الكثيرة . بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه. ولا يزال ينقض أركانها ، ويعيد بنيانها . ويستجدها على أنحاء عدّة ، وهيئات مختلفة . ويستضيف إليها مجالس كالطواوس ، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس . ثم يقورها آخر الأمر قوراء، توسع العين قرة، والنفس مسرة . ويدعها[1] حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور . فان مات فيها مغفوراً له انتقل من جنة الى أخري ، وورد من جنة الدنيا علي جنة المأوى .

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الارض من أهل العصر ، ومَن تقدمهم قليلا وسبقهم يسيراً مالم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره ، ولم ينتقص قدم العهد ، وتطاول المدة زَبْرَه[2] وتشتمل من نسج طباعهم . وسبك أذهانهم ، وصوغ أفهامهم على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة . وتتضمن من ظرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير[3] الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الاسحار ، بروائح الأنوار والازهار .

---

١ كذا في الاصول ولعل الانسب ويبدعها ٢ الزبر الكتابة

٣ جمع باكورة وهي أول مايدرك من الثمار

ما لم تتضمنه النسخة السائرة الاولى .

والشرط في هذه الاخري إيراد لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص . مع كلام فى الاشارة الى النظائر والأحاسن والسرقات ، وأخذ في طريق الاختصار ، ونبذ من أخبار المذكورين وغرر من فصوص [فصول][1] المترسلين ، يميل الى جانب الاقتصار ، فان وقع فى خلال ما أكتبه البيت والبيتان ، مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لايتم دونه ، ولأن مايتقدمه أو يليه مفتقر اليه، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الادب والعلم كبير . وإنما يتفق مثل ذلك بالانتساب الى قائله ، لا بكثرة طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالا   وشر الشعر ماقال العبيد

وان أخرت متقدما ، فعذري فيه ان العرب قد تبدأ بذكر الشيء ، والمقدم غيره ، كاقال الله تعالى(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُؤْمِنٌ) وقال تعالى (يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسجدي واركعي مع الرَّاكعين) وكما قال حسان بنُ ثابت ، وذكر بنى هاشم :

بهاليل منهم جعفرٌ وابنُ أمه   على ومنهم أحمد المتخير

وكما قال الصَّلَتان العبدى[2] :

فملتنا أننا مسلمو   ن على دين صدِّيقنا والنبى

وإن قدمت متأخراً فسبيله على ما قال إبراهيم الموْصلى لمسرور ، وقد تقدمه فى المسير : إن تقدمت كُنت مطرّقا لك ، وإن تأخرت فلحق الخدمة .

وقال أبو محمد المزنى للملك نوح فى مثل تلك الحال : إن تقدمت فحاجب ،

---

١ مابين القوسين المربعين زيادة فى ط وسنفعل ذلك دون أن نشير اليه

٢ الصلتان النشيط الشديد

وإن تأخرت فذاك واجب .

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم الى أربعة أقسام ، يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول .

القسم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ولمع من اخبارهم

القسم الثاني

في محاسن أشعار أهل العراق وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الافاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم

القسم الثالث

في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان واصفهان من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها ، وما ينضاف اليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع

في محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغَزْنية والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم وخاصة أهل نيسابور والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها ، وفيما لم يقع الي من جنس هذا الكتاب كثرة ، ولعله يزيد على ما حصل لدى ، ومن يقدر على حصر الانفاس وضبط بنات الافكار . وفي الزوايا خبايا ، ولانهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف الاجهده ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

القسم الاول

في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام ، ومايجاورها من مصر والموصل ولمع من أخبارهم [عشرة أبواب][1]

الباب الاول من القسم الاول

في فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان ، وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم فأما المحدثون نخذ اليك منهم العتابي ومنصوراً النمري والاشجع [2] السلمي ومحمد ابن زرعة الدمشقي وربيعة الرقي . على ان في الطائيين اللذين انتهت اليهم الرئاسة في هذه الصناعة كفاية وهما هما

ومن مولدى أهل الشام المعوج الرقي [والمريمى] والعباسى المصيصى وأبو الفتح كشاجم والصنوبرى وأبو المعتصم الأنطاكى، وهؤلاء رياض الشعر وحدائق الظرف.

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم . والسبب في تبريز القوم قديما وحديثا على من سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولاسيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس [والنبط] ومداخلتهم إياهم . ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكا وأمراء من آل حمدان ، وبنى ورقاء هم بقية

١ زيادة فى ط ولم نجدها فى النسخ التى بين أيدينا

٢ المعروف من كتب الادب والتاريخ أنه ينون أل ولكن النسخ متفقة على ذلك

العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين أدوات السيف والقلم . ومامنهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل . انبعثت قرائحهم فى الاجادة ، فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ماشاءوا .

وأخبرنى جماعة من أصحاب الصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى ، التي هي طريقة البحترى في الجزالة والعذوبة ، والفصاحة والسلاسة ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ، ويستملى الطارئين عليه من تلك البلاد مايحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر [1] دفتراً ضخم الحجم عليها ، وكان لايفارق مجلسه ولايملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ماجمعه فيه على طرف لسانه ، وفى سن قلمه ، فطوراً يحاضر به فى مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله فيورده كما هو في رسائله ، فمن ذلك قول القائل :

سلامٌ علي تلكَ المعاهدِ إنها ... شريعة وِردى أو مهبُّ شمالي
ليالىَ لم نحذر حزُونَ قطيعة ... ولم نمش [2] الا في سهول وصال
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها ... بخُلب برْقٍ أو بطيفِ خيال

وقول الآخر :

إذا دنت المنازل زاد شوقي ... ولا سيّما [3] اذا بدت الخيامُ
فلمحُ العين دون الحي شهرٌ ... ورَجع الطِرف دون الشهر عام

وقول الآخر :

فسقى اللهُ بلدة أنت فيها ... كدموعى عند اعتراض الفراق
وأرانيك فالصبا قد ترقت ... يابروحي [4] إلى أعالى التراقى

---

١ يقال كسر الكتاب على عدة أبواب وفصول بمعنى كتبه ٢ ا. نمس
٣ يجوز تخفيف سيما خلافا لثعلب أحمد بن يحيى فانه يوجب تشديدها
٤ روى هذا البيت بعدة روايات وجميعها بدون يا فقد وردت فى المطبوعة

وقول الآخر :

ووالله لافارقت عُقدَة وُدّه ... ولاحُلت ماعمِّرت عن حفظ عهده

ولابد أن الدهر كاشف أهله ... ويظهر للمولى موالاة عبده

وكان أبو بكر الخوارزمى فى ريعان عمره ، وعنفوان أمره . قد دوّخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب فى مجمع الرواة والشعراء ، ومطّرح الغرباء الفضلاء ، فأقام ما أقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه ، وأبي الحسن[1] الشّمْشاطى ، وغيرهما من أئمة الأدباء ، وأبي الطيب المتنبي ، وأبي العباس النامى وغيرهما من فحولة الشعراء . بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشوارد أشعار يصيدها . وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر . وكان يقول : مافتق قلبي ، وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وارهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي إلا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحلبية ، التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي . وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحداثة قشيب . وما كان أكثر ماينشدني ويُكتبني مما يضن به على غيري من تلك الغرر التي تجرى مجرى السّحر ، والملح التي يقطر منها ماء الظّرف . وأنا أكتبها فى أماكنها من أبواب هذا القسم الاول بمشيئة الله تعالى

وممن خرجته تلك البلاد ، وأخرجته ، وكلامه مقبول محبوب ، آخذ بمجامع القلوب . القاضي أبو الحسن على بن عبد العزيز الجُرْجانى ، فإنهُ جنى ثمارها واستصحب أنوارها ، حتى ارتقى إلى المحل العلى ، وتطبع بطبع البحترى

١ فى ط والحسين الشميساطى وهو خطأ (راجع ياقوت معجم البلدان)

الباب الثـــانى

فى ذكر سيف الدولة ابى الحسن على بن عبد الله بن حمدان وسـياقة قطعة من اخباره ومايح من أشعاره

كان بنو حمدان ملوكا وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة . وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطه قلادتهم وكان رضي الله عنــه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه غرة الزمان وعماد الإسلام ، ومن به سِداد الثغور ، وسَداد الأمور . وكانت وقائعــهُ في عصاة العرب تكف بأسها وتنزع لباسها ، وتَفِل أنيابها وتذل صعابها . وتكفى الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن فى الاسلام الآثار . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود . وقِبلة الآمال ، ومحط الرحال . وموسم الأدباء ، وحَلبة[1] الشعراء . ويقال إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر . وانما السلطان سوق يجلب اليها ، ما ينفق لديها . وكان أديبا شاعراً محبا لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لمــا يمدح به ، فلو أدرك ابنُ الرومى زمانهُ لما احتاج إلى أن يقول :

ذهب الذين تهزُّهم مُدّاحهم هز الكماة عَوَالِيَ المُرّان[2]
كانوا إذا امتُدِحوا رَأَوْا مَافِيهمْ مِالأريحيّـةِ[3] منهم بمكان

وكان كلٌّ من أبى محمد عبد الله بن محمد القاضى الكاتب ، وأبى الحسن على ابن محمد الشمشاطى قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت كقول أبى الطيب المتنبى :

---

١ الحلبة مجال الخيل التى تجتمع للسباق ٢ المران الرماح وهو فى الاصل اسم لنوع من الشجر مستقيم طويل ٣ يريد : من الاريحية

خليليَّ إني لا أرى غيرَ شاعرٍ ... فلِمْ منهم الدعوى ومني القصائدُ
فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرة ... ولكنّ سيفَ الدولة اليوم واحد
له من كريم الطبع في الحرب مُنتضٍ ... ومن عادة الإحسان والصفح غامد
ولما رأيت الناس دون محله ... تيقنتُ أن الدهر للناس ناقد

ومن القصيدة المرقومة :

فلم يبق الا من حماها من الظُّبا ... لَمى شفتيها والثدِيُ النواهد(١)
تبكي عليهن البطاريق في الدجى ... وهُنّ لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الإقدام أنك فيهم ... على القتل موموق كأنك شاكد(٢)
وأن دما أجريتهُ بك فاخر ... وأن فؤاداً رعتهُ لك حامد
وكل يرى طُرْقَ الشجاعة والندا ... ولكن طبعَ النفس للنفس قائد
نهبتَ من الأعمار مالو حويته ... لُهنّئَت الدنيا بأنك خالد
فأنت حسامُ الملك والله ضاربٌ ... وأنتَ لِواءُ الدين والله عاقد
[أحبك ياشمس الزمان وبدره ... وإن لامني فيك السهى والفراقد]
وذاكَ لأنّ الفضل عندك باهرٌ ... وليس لأَن العيش عندك بارد(٣)

وكقول السري بن احمد الموصلي :

أعزمتكَ الشهاب أم النهارُ ... أراحتك السحاب أم البحار
خلقتَ منية ومنى فأضحت ... تمور(٤) بك البسيطة أو تمار(٥)
تحلّى الدينَ أو تحمي حِماهُ ... فأنت عليه سورٌ أو سِوار
سيوفك من شكاة الثغر برءٌ ... ولكن للعدا فيها بوار

---

١ الابيات مختارة ٢ الشاكد المعطى ٣ أى أنه لم يدع حيا الا النساء
٤ تمور تضطرب وتهلك ٥ تمار من الميرة وهى اعطاء الطعام

وكفاكَ الغمامِ الجونُ(١) يسرى وفي أحشائهِ ماءٌ ونار
يمين من سجيتهــا المنايا ويسرى من عطيتها اليسارُ
حضرنا والملوكُ لهُ قيام تغضُّ نواظراً فيها انكسار
وزُرنا منهُ ليثَ الغابِ طلقاً ولم نر قبله ليثا يزارُ
فـكانَ لجوهرِ المجدِ انتظامٌ وكانَ لجوهرِ المدح انتثار
فعشتَ مخيراً لك في الأماني وكان على العدو لك الخيارُ
فضيفك للحيا المنهل ضيفٌ وجارُكَ للربيع الطلق جار

وكقول ابى فراس الحارث بن سعيد :

أشدة ماأراه فيك أم كرم تجود بالنفس والأرواح تصطلمُ
يا باذل النفس والأموال مبتسما أما يهولك لاموتٌ ولاعدم ؟
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى أن السلامة من وقع القَنا تصم(٢)
نشدتك الله لاتسمح بنفس علا حياةُ صاحبها تحيا بها أمم
هى الشجاعة إلا أنها شرف وكل فضلك لاقصد ولاأممُ
إذا لقيتَ رقاق البيض منفردا تحت العجاج فلم تستكثرُ الخدم
تفدى بنفسك أقواما صنعتهم وكان حقهم أن يفتدوك هم
من ذا يقاتل من تلقى القتالَ به وليس يفضل عنك الخيل والبهم(٣)
تضن بالطعن عنا ضن ذي بخل ومنك في كل حال يعرف الكرم
لاتبخلنّ على قوم اذا قتلوا أثنى عليك بنو الهيجاء دونهم
ألبست ماالبسوا أركبت ماركبوا عرّفت ماعرَفوا اعلمت ماعلموا

---

١ الجون وصف للابيض والاسود وهو هنا خاص بالاسود ولعلها الجود
٢ الجحفل الجيش الكثير وتصم من الوصمة والعار
٣ البهم جمع بهمة وهو الشجاع الذى لايهتدى من أين يؤتي والمعنى أنه يسال ماذا يصنع جيشه وهو وحده لم يبق شيئا من فرسان الاعداء ولا خيولهم الا قد اهلكه

هم الفوارس فى أيديهم أسل فإن رأوك فأسد والقنا أجم

وكقول أبى العباس بن محمد النامى

خلقت كما أرادتك المعالى فأنت لمن رجاك كما يريد
عجيب أن سيفك ليس يروى وسيفك فى الوريد له ورود
وأعجب منه رمحك حين يسقى فيصحو وهو نشوان يميد

وكقول أبى الفرج الببغاء

نداك اذا ضن الغمام غمام وعزمك إن فل الحسام حسام
فهذا ينيل الرزق وهو ممنع وذاك يرد الجيش وهو لهام
ومن طلب الأعداء بالمال والظبا وبالسعد لم يبعد عليه مرام

وكقول أبى الفرج الوأواء

من قاس جدواك بالسحاب فما أنصف فى الحكم بين شكلين[1]
أنت إذا جدت ضاحك أبداً وهو اذا جاد دامع العين

وكقول أبى نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق

حاشاك أن تدعيك العرب واحدها يامن ثرى قدميه طينة العرب
فان يكن لك وجه مثل أوجههم عند العيان فليس الصفر كالذهب[2]
وان يكن لك نطق مثل نطقهم فليس مثل كلام الله فى الكتب

وكانت غمائم جوده تفيض، ومآثر كرمه تستفيض. فتؤرخ بها أيام المجد وتخلد فى صحائف حسن الذكر.

فصل فى انفجار ينابيع جوده على الشعراء

حدثنى أبو الحسن على بن محمد[3] العلوى الحسينى الهمدانى الوصى، قال:

١ فى ا اثنين ٢ ألصفر النحاس ٣ ط محمد بن على

كنت واقفا فى السماطين بين يدى سيف الدولة بحلب ، والشعراء ينشدونه فتقدم إليه اعرابى رث الهيئة ، فاستأذن الحجّاب فى الانشاد فأذنوا له فأنشد :

أنت على وهذه حلب قد نفِدَ الزاد وانتهى الطلب
بهذه تفخرُ البلاد وبالامير تزهى على الورى العرب
وعبدكَ الدهرُ قد أضرَّ بنا اليكَ من جور عبدِكَ الهربُ

فقال سيف الدولة أحسنت ، ولله أنت ، وأمر له بمائتى دينار

وحكى ابن لبيب غلام أبى الفرج الببغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب دنانير للصلات فى كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته . فأمر يوما لأبى الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالا :

نحن بجود الأمير فى حَرَمٍ نرتع بين السعود والنعم
أبدع من هذه الدنانير لم يَجْرِ قديما في خاطر الكرم
فقد غدت باسمِه وصورته في دهرنا عوذة من العدم

فزادَهُ عشرة أخرى

وكان أبو فراس يوماً بين يديه فى نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة : أيكم يجيز قولي ، وليس له إلا سيدى (يعنى أبا فراس) :

لك جسمى تعُلُّهُ فدمي لمْ تُحِلُّهُ
لك من قلبي المكا ن فلم لا تحُلُّه

فارتجل أبو فراس، وقال :

أنا ان كنت مالكا فلى الأمرُ كلُّه

فاستحسنهُ وأعطاه ضيعة بمنبج تغل ألفي[1] دينار .

واستنشد سيف الدولة يوما أبا الطيب المتنبي قصيدتهُ التي أولها :

---

١ فى ط الف

على قدر أهل العزم تأتى العزائمُ وتأتى على قدر الكرام المكارمُ

وكان معجبا بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها . فلما بلغ قولهُ فيها :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمرُّ بك الأبطال كَلْمَى هزيمةً ووجهك وضّاح وثغرك باسمُ

قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرىء القيس بيتاه :

كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ [1] الزّقّ الروِيّ ولم أقل لخيليَ كُرّى كرة بعد إجفال

وبيتاكَ لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغى لامريء القيس أن يقول :

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل لخيليَ كُرّى كَرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزّقّ الروِيّ للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفتَ وما فى الموتِ شكٌّ لواقف ووجهكَ وضّاح وثغركَ باسم
تمر بك الأبطالُ كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال : أيدالله مولانا إن صح أن الذى استدرك على امريء القيس هذا كان أعلم بالشعر منهُ ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف [2] جملتهُ ، والحائك يعرف جملتهُ وتفاريقهُ ؛ لأنه هو الذى أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرنَ امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شِراءِ الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الاعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت اتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه

---

١ سبا الخمر اشتراها ٢ فى المطبوع لا يعرف وهو خطا كما يظهر

ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم ، لأجمع بين الأضداد فى المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار

وكان أبو بكر وابو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث اليهما مرة وصيفة ووصيفا ، ومع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة وهى :

لم يغدُ شكرُكَ فى الخلائق مطلقاً إلاّ ومالُك في النوال حَبيسُ
خوّلتنا شمسا وبدراً أشرقت بهما لدينا الظلمةُ الحِنْدِيس
رشأٌ أتانا وهو حُسْناً يوسُفٌ وغزالةٌ هي بَهْجَةً بلقيسُ
هذا ولم تقنع بذاك وهذه حتى بعثتَ المالَ وهو نفيس
أتت الوصيفةُ وهي تحملُ بَدْرَةً وأتى على ظهرِ الوصيف الكيس
وجلوتنا (١) مما أجادت حوكهُ مصرٌ وزادت حسنهُ تِنّيس
فغدا لنا من جودك المأكولُ والـ ـمشروب والمنكوحُ والملبوسُ

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلاّ في لفظة المنكوح ، فليست مما يخاطب بها الملوك . وهذا من عجيب نقده

حكى أبو إسحق ابراهيم بن هلال الصابى ، قال : طلب منى رسول سيف الدولة — وكان قدِمَ الى الحضرة — شيئاً من شعرى ، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك ، فدافعته أياما ، ثم ألح عليّ وقتَ الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات وهى :

ان كنتُ خنتكَ في الأمانة ساعة فذممتُ سيف الدّولة المحمودا
وزعمتُ أنّ له شريكا في العلا وجحدتهُ في فضلهِ التوحيدا

١ فى ج و ط وبررتنا

٢ يتيمة ل

قسما لو انى حالف بغموسها لغريم دَينٍ ماأراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة ، ودخلت عليه مسلماً أخرج لى كيسا بختم سيف الدولة مكتوبا عليه اسمى ، وفيه ثلاثمائة دينار .

نبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبوعبد الله الحسين بن خالويه قال: لما كانت الشام بيد الإخشيد محمد محمد بن طغج سار اليها سيف الدولة فافتتحها ، وهزم عساكره عن صفين فقال له المتنبي :

ياسيفدولة ذىالجلال ومنْ لهُ خيرُ الخلائف والأنام سمىُّ
أو ما ترى صفين كيفَ أتيتها فانجاب عنها العسكرُ الغربىُّ
فكأنه جيش ابن حرب رعته حتى كأنك ياعلىُّ علىُّ

وقال ابو فراس من قصيدة طويلة :

أتى الشامَ لما استذْأبَ البهمُ واغتدت بها أذوب البيداءِ وهى قساور[1]
فَثَقَّفَ مُنْآدَ[2] وأصلح فاسدٌ وذلَّل جَبَّار وشرَّدَ[3] ذاعرِ

وكان ظهر رجل في الغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس الى نفسهِ ، والتفّت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام وأسْرَ أبا وائلٍ تغلب بن داود ابن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حِمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرى سيفُ الدولة من حلب يغِذُّ[4] السَّيرَ حتى لحقه فى اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع بهِ وقتله ، ووضع السيف في أصحابه فلم ينج إلا من سبق فرسهُ . وعاد سيفُ الدولة الى حلب ومعهُ أبو وائل ، وبين يديه رأس الخارجي على رمح ، فقال ابو فراس يذكر ذلك :

١ البهم صغار أولاد الضان والقساورة جمع قسورة وهو الاسد ٢ فى ج مياد
٣ فى ط وأذعر ٤ اغذ السير أسرع

وأنقذَ من مَسِّ الحديد وثقله ... أبا وائل . والدهرُ أجدع صاغرُ
وآب ورأس القَرْمطيِّ أمامهُ ... له جسد من أكعب الرمح ضامرُ

وهذا من أحسن ما قيلَ في الرأس المصلوب على الرمح ، ولبعضهم فى مثل ذلك :

وعاد لكنه رأسٌ بلا جسد ... يسرى ولكن على ساق بلا قدمِ
إذا ترآءى على الخطيِّ أسفر في ... حالِ العبوس لنا عن ثغرِ مبتسِمِ

وقال ابو الطيب فى خلاص ابي وائل :

ولو كنتُ في أسْرِ غير[1] الهوى ... ضمنتُ ضمانَ أبى وائلِ
فدَى نفسهُ بضمان النُّضار ... وأعطى صدورَ القنا الذابل
ومنّاهم الخيلَ مجنوبةً ... فجئنَ بكل فتى باسلِ
كأنَّ خلاص أبي وائل ... معاودةُ القمرِ الآفل
دعا فسمعتَ وكم ساكت ... على البعد عندكَ كالقائل
فلبيتهُ بك فى جحفَلٍ ... له ضامن وبهِ كافل
وعدت إلى حلبٍ ظافراً ... كعود الحليّ الي العاطل[2]

وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب ، وأدناهم وأمن سربهم فقهروا العرب وعلت كلمتهم ، الي ان بدرت منهم هفوة أحفظته فأسرى اليهم، وأوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ثم صفح عنهم وكرم وجمع الحرم ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن واحسن اليهن ، فقال أبو الطيب من قصيدة :

فعدنَ كما أُخذْنَ مكرَّمات ... عليهنَّ القلائدُ والملاَب[3]
يثبنك بالذي أوليتَ شكرا ... وأينَ من الذى تولى الثوابُ ؟
وليس مصيرهن اليك شينا ... ولا في صونْهن لديك عاب

---

١ فى ط ، ب غير أسر ٢ الابيات مختارة من القصيدة التى أولها إلام طماعية العاذل
٣ الملاب العطر أو الزعفران

ولا في فقدهن بنى كلاب   اذا أبصرنَ غرّتك اغتراب
وكيف يتمّ بأسك فى أناس   تصيبهم فيؤلمك المصاب
ترفّق أيها المولى عليهم   فإن الرفق بالجانى عتاب

[هذا كلام ما لحسنه غاية]

وعين المخطئين همُ وليسوا   بأول معشر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبتْ عليهم   وهجر حياتهم لهمُ عقاب
وما جهلتْ أياديكَ البوادي   ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولده دلال   وكم بعد مولّده اقتراب
وجُرْم جرّه سفهاءُ قوم   وحلّ بغيرِ جارمه العذاب

كأنما اقتبسه من قول الله سبحانه : (أتُهْلِكُنَا بِمَا فَعلَ السُّفهاءُ مِنَّا)

[ونحو من هذا قول زياد في خطبة البتراء والله لآخذن المحسن بالمسىء]

ولو غيرُ الامير غزا كِلابا   ثناه عن شموسهمُ ضَباب

وما أحسنما كنى عن الحرم بالشموس وعن المحاماة دونهم بالضباب .

ولكن ربهم أسرى اليهم   فما نفع الوقوفُ ولا الذّهاب
كذا فليسر من طاب المعالى   ومثل سراك فليكن الطلاب

وكتب اليه أبو فراس في تلك الحال يداعبه :

وما أنس لا أنس يوم المغار   محجبةً لفظتها الحجُبْ
دعاك ذَووها بسوءِ الفعال   لما لا تشاءُ وما لا تُحب
فوافتك تعثرُ فى مِرْطها   وقدرأت الموت من عن كثب
وقد خلط الخوف لما طلعـ   ـت دلّ الجمال بذلٍّ (١) الرعب
تسرع في الخطو لاخِفّة   وتهتزّ في المشى لا من طرب

١ فى ذاك الجمال بذاك

فلما بدت لك دون البيو ت بدا لك منهن جيش لجب
وما زلت مذ كنت تأتي الجميـ ل وتحمي الحريم وترعى الحسب
وتغضب حتى اذا ما ملكـْت أطعت الرضا وعصيت الغضب
فكنت حماهن إذ لا حمى وكنت أباهن اذ ليس أب
فولينَ عنك يفدّينها ويرفعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيو ت لا يقطع اللهُ نسل[1] العرب
أمرتَ وأنت المطاع الكر يم يبذل الأمان وردّ النهب
وقد رحنَ من مهجات القلو ب بأوفر غنم وأغلى نشب
فإن هن يابن الكرام السرا ة رددنَ القلوب رددنا السلب

وقال أيضاً يمدحه ويذكر نسوة بني كلاب

قد ضج جيشك من طول القتال به وقد شكتك الينا الخيلُ والابل
وقد درى الروم مذْ جاورت أرضهم ان ليس يعصمهم سهل ولا جبل
في كل يوم تزور الثغر لا ضجر يثنيك عنه ولا شغل ولا ملل
فالنفس جاهدة والعين ساهرة والجيش منهمك والمال مبتذل
توهمتك كلاب غيرَ قاصدها وقد تكنفك الاعداء والشغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسان أسنتها سود البراقع والاكوار والكلل
فكنت أكرم مسئول وأفضله اذا وهبت فلا منٌّ ولا بخل

ويقال ان سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة لهُ وعليه ، فمنها أنهُ أغار على زِبطْرة وعِرقْة وملطية ونواحيها فقتل واحرق وسبي وانثنى قافلا الى درب مَوْزار[2] فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فاوقع بهِ وقتل صناديد رجالهِ وعقب

---

١. في ا ، ج ، ط أصل ٢ في ط موازر وهو خطا (راجع معجم ياقوت)

الى بلدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم وقدعبر الفرات الى بلد الروم ولم يفعله أحد قبله حتى أغار عن بطن هنزيط فلما رأى فردس بعدَ مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحى انطاكية فأسرى سيف الدولة يطوى المراحل لاينتظر متأخرا ولا يلوي علي متقدم حتى عارضهُ بمَرْعش ، فاوقع به وهزمه وقتل رؤوس البطارقة ، وأسر قسطنطين بن الدمستق وأصابت الدمستق ضربة في وجهه وأكثر الشعراء في هذه الوقعة ، فقال أبو الطيب :

لكل امرىء من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا
وأن يكذب الارجافَ عنه بضده ويمسى بما تنوي أعاديه أسعدا(١)
ورب مريد ضَرّهُ ضرّ نفسه وهادٍ اليه الجيش أهدى وماهدى
ومنها سريت الى جيحان من أرض آمد ثلاثا لقد أدناك ركض وأبعدا
فولى وأعطاك ابنه وجيوشه جميعا ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طَلَبتْ زُرْق الأسنة غيرَهُ ولكنّ قسطنطين كان له الفدا

وقال ابو فراس :

وآب بقسطنطين وهو مكبل تحف بطاريق به وزرازر(٢)
وولى على الرسم الدمستق هاربا وفى وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسهُ بابن عليه كنفسه وللشدة الصماء تُقنى الذخائر
وقد يقطع العضو النفيس لغيره وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدَث وهى قلعة عظيمة الشأن، فاشتد ذلك على ملك الروم فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم، وعليهم فردس الدمستق ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة والتهبت الحرب واشتد الخطب، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره فحمل

١ وأن يكذب الارجاف معطوف على الطعن ٢ الزرزار جمع زرزار وهو البطريق

سيف الدولة يخرق الصفوف طلبا للدمستق ، فولى هاربا وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم وأكثر الشعراء في هذه الوقعة فقال أبو الطيب وذكر الحدث .

بناها علىٌّ والقَنا تقرع القنا ... وموجُ المنايا حولها متلاطمُ
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم
تُفيت الليالي كلّ شيء أخذته ... وهنّ لما يأخذنَ منك غوارم

وذكر ولد الدمستق فقال :

وقد فجعته بابنه وابن صهره ... وبالصهر حملات الأمير الغوشم
مضى يشكر الأصحابَ في فَوْته الظُّبا ... بما شغلتها هامهم والمعاصم
ويفهم صوت المشرقية فيهمُ ... على أن أصوات السيوف أعاجم
يُسرُّ بما أعطاك لا من جهالةٍ ... ولكن مَغنوما نجا منك غانم

وقال السري في بناء الحدث:

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت ... منه الحوادث حتى ذل جانبه
أعدته عدويا (١) في مَناسبهِ ... من بعد ما كان روسياً مناسبه
فقد وفى عرضه بالبيد واعترضت ... طولا على منكب الشعرى مناكبه
مُصعِدٍ الى الجوّ أعلاهُ فان خفقت ... زُهر الكواكب خلناها تخاطبهُ
كأنّ أبراجه من كل ناحية ... أبراجها والدجى وحف (٢) غياهبه

[ولأبي فراس في ذكرها :

رأى الثغر مثغوراً فسد بسيفه ... فمَ الدهر عنه وهو سغبان فاغِرُ]

١ عدويا نسبة الى سيف الدولة علي بن عبد الله العدوى ٢ الوحف الكثير الاسود

ملح شعر سيف الدولة

ومما أنشدنى أبو الحسن[1] محمد بن أحمد الإفريقي المتيم لسيف الدولة[2] فى وصف قوس قُزَح ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته :

وساقٍ صَبيحٍ للصَّبوح[3] دعوتهُ فقام وفي أجفانه سِنة الغَمض
وقد نشرت أيدى الجنوب مَطارفا على الجوّ دُكْناوالحواشي على الارض
يطوفُ بكاسات العُقار كأنجم فمِن بين مُنْقضٍّ علينا ومنفضّ
يطرّزها قوسُ الغمام بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضّ
كأذيال خَوْد أقبلت في غلائل مصبّغة والبعضُ أقصرُ من بعض

وهذا من التشبيهات الملوكية التى لايكاد يحضر مثلها السوقة ، ونظيره قول ابن المعتز فى وصف الهلال :

فانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وقول ابى فراس ، وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس :

وكأنما البِرَك الملاء تحفها ألوان ذاك الرَّوْضِ والزَّهر
بُسطٌ من الدِّيباج بيضٌ فُرْوِزَتْ أطرافها بفراوز خضر

وقوله من قصيدة :

والماء يفصل بين زهر الـ .روض في الشطين فصلا
كبساط وشى جَرَّدت أيدي القُيون عليه نصلا

وانشدنى أبو الحسن العلوى الهمدانى ، قال أنشدنى سيف الدولة لنفسه ، وأنا أراه من قوله في صباه :

أُقبِّله على جزع كشرب الطائرِ الفزِعِ

١ فى ج أبو الحسين محمد بن أحمد الافريقى والمتيم ٢ سينسبها الثعالبى فى اليتيمة مرة أخرى لعضد الدولة ٤ الصبوح شرب الخمر أول النهار

رأى ماءً فأطمعهُ وخافَ عواقبَ الطمع
وصادفَ فُرصة فدنا ولم يلتذَّ بالجُرَع

ينظر معناها إلى قول ابن المعتز :

فكم عِناق لنا وكم قُبَل مختلساتٍ حذارَ مرتقب
نَقْرَ العصافير وهي خائفةٌ من النواطير [١] يانعَ الرطب

ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها سائرُ حظاياه على لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سمّ أو غيره . وبلغ سيف الدولة ذلك فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها ، وقال :

راقبتني العيون فيكِ فأشـ ـفقت ولم أخل قط من إشفاق
ورأيتُ العذولَ [٢] يحسدنى فيـ ـكِ مُجِدًّا يا أنفسَ الأعلاق
فتمنيتُ أن تكونى بعيداً والذي بيننا من الودِّ باقي
رب هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف فراق

وأنشدنى أبو بكر الخوارزمي قال أنشدنى ابن خالويه بحلب لسيف الدولة :

تَجَنَّى عليَّ الذنبَ والذنبُ ذنبهُ وعاتبني ظلماً وفي شقهِ [٣] العتب !
وأعرض لمّا صار قلبي بكفهِ فهلاَّ جفانى حين كان ليَ القلب !
اذا برِم [٤] المولى بخدمةِ عبده تَجَنَّى لهُ ذنبا وإن لم يكن ذنب !

يشبه هذا المعنى :

وإذا ما الجفاءُ جهزَ جيشاً سبقتهُ طليعةٌ من تجنِّ

وأنشدنى أبو الحسن أحمد بن فارس ؛ قال : أنشدنى شاعرٌ يعرفُ بالمتيم [٥].

---

١ النواطير جمع ناطور وهو الموكل بحراسة الكروم والثمار
٢ ى ا العدو ٣ ا نفسه ٤ برم . سئم وضجر ٥ هو أبو الحسن محمد الافريقى

لسيف الدولة :

قد جرى في دمعهِ دمه | فإلى كم أنتَ تظلمهُ
رُدَّ عنه الطرفَ منكَ فقدْ | جرحتهُ منك أسهمهُ
كيف يسطيع التجلُّدَ من | خطراتُ الوهم تؤلمهُ ؟

وأنشدنى غيرُ واحد له في أخيه ناصر الدولة أبى محمد [عند وحشة جرت بينهما] :

رضيتُ لك العليـا و قد كنتُ أهلها | وقلتُ لهم بيني و بين أخي فَرْقُ
ولم يكُ بى عنهـا نكولٌ وإنمـا | تجافيتُ عن حقي فتمَّ لك الحق
ولا بدَّ لي من أن أكون مصلّـياً (١) | اذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

وأُنشدت له أيضاً في وصف نار الـكانون :

كأنمـا النارُ والرَّماد معاً | وضوءها في ظلامه يُحْـجَـبْ
وجنة عذراءَ مسها خجل | فاستترت تحت عنبر أشهب

نظيرهما في الحسن قول كُشاجم :

كأنمـا الجمرُ والرَّماد وقد | كاد يوازى من ناره النورا
وردٌ جنيٌّ القطافِ أحمرَ قد | ذَرَّت عليه الا كف كافورا

وقول أبى طالب المأمونى [الراقى]

أما ترى النارَ كيف أسعدها الـ | قرُّ فأضحت تخبو وطوراً تسعّر
وغدا الجمرُ والرّماد عليه | في قميص مذهب ومعنبر

---

١. المصلى . الفرس الذى يتلو السابق

الباب الثـــالث

في ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وغرر أخباره وأشعاره

[هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره ، وابن عم ناصر الدولة]

كان فرد دهره وشمس عصره ، أدباً وفضلا ، وكرماً ونبلا . ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة . ومعه رواء الطبع ، وسِمة الظّرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يعدّ أشعرَ منه عند أهل الصنعة ونقَدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بُدِىءَ الشعر بملك وختم بملك » يعني امرأَ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ، ولا يجترىء على مجاراته . وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيّباً له وإجلالا ، لا إغفالا وإخلالا . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه . ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله . وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته .

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه سوى الروميات

حكى ابن خالويه : قال كتب أبو فراس إلى سيف الدولة ، وقد شخص من حضرته الى منزله بمنبج كتاباً صدره :

كتابي أطال الله بقاءَ مولانا من المنزل ، وقد وردتُه ورود السالم الغانم ،

مثقل[البطن] والظهر وفراً وشكراً .

فاستحسن سيف الدولة بلاغته ووصف براعته . و بلغ أبا فراس ذلك فكتب اليه :

هل للفصاحة والسما حة والعلا عنى محيدُ
إذ أنت سيدى الذى ربيتنى وأبى سعيد
في كل يوم أستفيـ ـد من العلاء واستزيد
ويزيد فيَّ اذا رأيـ ـتك فى الندى خلق جديد

وكان سيف الدولة قلَّما ينشط لمجلس الأُنس ، لاشتغالِه عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب . فوافت حضرتَه إحدى المحسِّنات من قيان بغداد ، فتاقت نفس أبى فراس إلى سماعها ، ولم يرَ أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة فكتب إليهِ يحثهُ على استحضارها فقال:

محلك الجوزاء أو أرفع وصدرك الدهناء بل أوسع
وقلبك الرّحب الذى لم يزل للجد والهزل بِهِ موضع
رفِّه بقرع العود سمعا غدا قرعُ العوالي جُلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأُبيات المهلبي الوزير فأمر القيان[والقوالين] بحفظها وتلحينها ، وصار لايشرب الاَّ عليها

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة :

يا أيها الملك الذي أضحت له جلّ المناقب
نتج الربيعُ محاسناً القحنها غرر السحائب
راقت ورق نسيمها فحكت لنا صور الحبائب
حضر الشراب فلم يطب شربُ الشراب وأنت غائب

وتأخر عن حضرتهِ لعلة وجدها فكتب اليه :

لقد نافسنى الدهر بتأخيرى عن الحضره

فما ألقى من العلة ما ألقى من الحسره

وأهدى الناس الى سيف الدوله [في بعض الأعياد] واكثروا ، فكتب اليه أبو فراس :

نفسي فداؤك قد بعثـ ت تعهدى[1] بيدالرسول
أهديتُ نفسي إنما يهدى الجليل إلى الجليل[2]
وجعلت ما ملكت يدى صِلةَ المبشر بالقبول
[لما رأيتك في الأنا م بلا مثال أو عديل]

وكتب اليه يعاتبهُ:

قد كنتَ عُدَّتى التى أسطو بها ويدى اذا اشتدّ الزمان وساعدي
فرُميت منك بغير ما أماتهُ والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقيّ لبرّه أغضى على ألم لضرب الوالد

وعزم سيف الدولة على الغزو ، واستخلاف أبى فراس على الشام ، فكتب إليهِ قصيدة منها :

قالوا المسير فهزَّ الرمحَ عامله وارتاح فى جفنهِ الصمصامة الخَذِم[3]
حقًّا لقد ساءنى أمر ذكرت لهُ لولا فراقك لم يوجد لهُ ألم
لاتشغلنّ بأمر الشام تحرسهُ إن الشآم على من حلهُ حرم
وان للثغر سورا من مهابتهِ صخوره من أعادي أهلهِ القمم
لا تحرمنىَ سيفَ الدين صحبتهُ فهي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضت عليهِ فى أوامره لكن سألت ومن عاداتهِ نعم

وقال له :

ومالِيَ لا أثنى عليك وطالما وفيتَ بعهدي والوفاء قليلُ

---

١ العهدة كتاب الشراء ٢ فى ا الخليل الى الخليل ٣ الخذم القاطع من السيوف

وأوعدتني حتى إذا ما ملــكتني صفحتَ وصفح المالــكين جميلُ

وكتب اليه يعزيه :

لا بد من فقدٍ ومن فاقد هيهات ما فى الناس من خالدِ
كنِ المعزَّى لا المعزّى به ان كان لابدّ من الواحد

وكتب اليه :

أيا عاتبا لا أحمل الدهـرَ عتبه عليّ ولا عندى لأنعمه جحد
سأسكت إجلالا لعلمك أنني إذا لم تكن خصمى ليَ الحُجج اللدُّ

وكان لسيف الدولة غلام يقال لهُ نجا ؛ قد اصطنعهُ ونوَّه باسمه وقلدهُ طَرسوس وأخذيقرع باب العصيان والـكفران ؛ وزاد تبسطهُ وسوءُ عشرتهِ لرفقائه فبطش بهِ ثلاثة نفر منهم وقتلوه . فشق ذلك على سيف الدولة ؛ وأمر بقتل فتَــكته فكتب اليهِ أبو فراس :

ما زلتَ تسعى بجدٍّ برغم شانيك مقبِـلْ
ترى لنفسك أمراً وما يرى الله افضلْ

وكتب اليهِ يستعطفهُ :

إن لم تجاف عن الذنو ب وجدتها فينا كثيره
لكنَّ عادتك الجميـــلة ان تغضّ على بصيره

وكتب اليه :

دع العبراتِ تنهمر انهمارا ونارَ الشوق تستعر استعارا
أتطفأُ حسرتى وتقرّ عينى ولم أوقد مع الغازين نارا
اقمت على الامير وكنت ممن تعزّ عليهِ فرقتهُ اختيارا
اذا سار الامير فلا هدوًّا لنفس أو يؤوبَ و لاقـرارا
ستذكرنى اذا طردت رجال دققتُ الرمحَ بينهمُ مرارا

وأرضٌ كنتُ أملؤها رجالاً وجوٌّ كنتُ أرهجهُ غبارا[1]
إذا بقي الأمير قريرَ عين فديناهُ اختيارا واضطرارا
يمدّ على أكابرنا جناحا ويكفل عندحاجتها الصّغارا
أراني الله طلعتهُ سريعا وأصحبهُ السلامةَ حيث سارا
وبلغهُ أمانيهُ جميعاً وكان لهُ من الحدَثان جارا

وكتب اليه :

ألا من مبلغ سَرَوات قومي إذاحدّثنَ جمجمنَ[2] الكلاما
بأني لم أدع فتيات قومي وسيف الدولة الملك الهماما
شريت ثناءهن ببذل نفسي ونارُ الحرب تضطرم اضطراما
ولما لم أجد إلاّ فرارا أشدَّ من المنية أو حِماما
حملتُ على وُرود الموت نفسي وقلت لصحبتي موتوا كِراما
وهل عذرٌ وسيفُ الدين ركني اذا لم أركب الخِطط العظاما
وأقفو فعلهُ في كلّ أمر وأجعل فضلهُ أبداً إماما
وقد أصبحتُ منتسباً إليهِ وحسبي أن أكون لهُ غلاما
أراني كيف أكتسبُ المعالي واعطاني على الدهر الذماما
ورباني ففقت بهِ البرايا وانشأني فسُدت بهِ الأناما
فأحياهُ الإله لنا طويلا وزاد الله نعمتهُ دواما

ما اخرج من فخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها ايقاعهُ ببني كعب وهو على مقدّمة سيفِ الدولة وكان قد حسن بلاؤهُ في تلك الوقعة :

ألم ترنا أعزّ الناس جارا وأمنعهم وأمْرَعهم جنابا

١ ارهج الغبار أثاره ٢ الجمجمة اخفاء الكلام والاسرار به

لنا الجبلُ المطلُّ على نزار حللنا النجد منهُ والهضابا
يفضلنا الأنام ولا نحاشي ونوصفُ بالجميل ولا نحابى[١]
وقد علمت ربيعة بل نزار بأنا الرأس والناس الذّنابى
ولما أن طغت سفهاءُ كعب فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائبَ غير أنا إذا جارت منحناها الحِرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيجت آساداً غضابا
أسنتَهُ إذا لاقى طعانا صوارمهُ إذا لاقى ضرابا[٢]
دعانا والأسنة مشرعاتٌ فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت وغرسٌ طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام إذا اصابت مراميها فراميها أصابا

هذا أحسن ما قيل في معناه ، وقد أخذه الاستاذ أبو العباس احمد بن ابراهيم الضبي ، فكتب في كتاب فتح تولاه للصاحب بأصبهان : وهنأ الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجحَ التي هي نتائج عزائمه ، وثمرات صرائمه . فما يرى عبدُه وصنيعته ، وسائر من يكنفه ظله وتريشه عنايته ؛ نفوسَهم اذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهُدُوا الأداء حق من حقوق النعمة ، إلا سهاماً إذا أصابت فراميها المصيب ، وما لها في المحمدة نصيب .

ولأبي فراس من قصيدة أولها :

أيلحاني على العبرات لاحي وقد يئس العواذلُ من صلاحي
تملكني الهوى بعد التأبي وراضنيَ الهوى بعد الجماح
ألا يا هذه هل من مقيل لضيفان الصبابة أو مراح
فلولا أنت ما قلِقَتْ ركابي ولا هبت إلى نجد رياحي

---

١. لانحابي لا نمنع ٢ السنان نصل الرمح والصارم القاطع من السيوف

ومن جرّاكِ أوطنت الفيافي وفيك غذيت ألبان اللّقاح
أصاحبُ كل خلّ بالتجافي وآسو كل داء بالسماح
اذا ما عنّ لي أربٌ بأرض ركبت له ضمينات النجاح
ولي عند العداة بكل أرض دُيونٌ في كفالات الرماح

وله من قصيدة كتب بها الى جعفر بن ورقاء

إنّا اذا اشتدّ الزما ن وناب خطب وادلهمّ
ألفيتَ حول بيوتنا عُدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيو ف وللندى حمر النعم
هذا وهذا دأبنا يودَى دَم ويراقُ دم

وله من قصيدة أولها

أقلّي فأيام المحبّ قلائلُ وفي قلبه شغلٌ عن اللوم شاغل

يقول فيها :

تطالبني البيضُ الصوارمُ والقنا بما وعدتْ جَدّيَ فيّ المخايلُ
ووالله ما قصرت في طلب العلا ولكن كأنّ الدهر عنيَ غافلُ
مواعيد أيام تطالبني[1] بها مُراءآت أزمان ودهرٌ مخاتلُ
وأخلافُ أيام متى ما انتجعتَها حلبتَ بكيّات وهنّ حوافلُ[2]
تدافعني الأيامُ عما أريغه[3] كما دفع الدينَ الغريمُ المماطلُ
خليليّ شدّا لي على ناقتيكما اذا ما بدا شيب من الفجر ناصلُ
فمثليَ من نال المعالي بسيفه وربما غالته عنها الغوائلُ
وما كل طلّاب من الناس بالغ ولا كلُّ سيّار الى المجد واصل

١ ا ، ج يماطلني ٢ ضرع حافل ممتلىء لبنا ، وبكأت الناقة أو الشاة قل لبنها وقد روى هذا البيت بعدة روايات أصحها فيما يظهر هذه الرواية ٣ أريغه أطلبه

وإن مقيما منجح العز خائب　　وان مريعا خائب الجهد نائل
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه　　وإني لهـا فوق السما كين جاعل
أصاغرُنا في المكرمات أكابر　　وآخرنا في المـأثرات أوائلُ
اذا صلت صولا لم أجدلي مصاولا　　وان قلت قولا لم أجد من يقاولهُ

وله من قصيدة أخرى :

عذيريَ من طوالعَ في عذاري　　ومن ردِّ الشباب المستعار
وثوبٍ كنت ألبسه أنيق　　أجرر ذيله بين الجواري
وما زادت عن العشرين سني　　فما عذر المشيب الى عذارى ؟

أخذهُ من قول أبي نواس :

واذا عددت السنَّ كم هي لم أجد　　للشيب عذراً لانزول برأسي

(رجع) وما استمتعت من داعي التصابي　　الى أن جاءني داعي الوقار
تلاعبُ بي[1] على هوجِ المطايا　　خلائق لاتقر على الصغار
ونفسٌ دون مطلبها الثريّا　　وكفٌّ دونها فيض البحار
وما يغنيك من همم طوالٍ　　اذا قرنت بأحوال قصار
عزيزٌ حيث حط السير رحلي　　تداريني الأنام ولا أداري
فأهلي من أنخت اليه عيسى　　وداري حيث كنت من الديار

وله : لنا بيت على عنق الثريا　　بعيدُ مذاهب الأطناب سامي
تظلله الفوارسُ بالعوالي　　وتفرشه الولائد[2] بالطعام

وله : لقد علمت سراةُ الحي أنّا　　لنا الجبل الممنع جانباهُ
يفيء الراغبون الى ذراه　　ويأوي الخائفون الى حماه

وله : لئن خلق الأنام لحثِّ كأس　　ومزمار وطنبور وعود

---

١ في أ ولا عتب　　٢ الولائد جمع وليدة وهي الانثى الصغيرة

فلم يخلق بنو حمدان الاّ لمجد أو لبأس أو لجود

وله : علوْنا جوشناً (١) بأشدّ منه وأثبت عند مشتجر الرماح

بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البرّ بحراً من سلاح

وألسنة من العذبات حمر تخاطبنا بأفواه الرياح

وأروع جيشه ليلٌ بهيم وغرته عمودٌ للصباح

صفوحٍ عند قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفاح

وكان ثباته للقلب قلباً وهيبته جناحاً للجناح

وله من قصيدة

قتلتَ فتى بني عمرو (٢) بن عبد وأوسعهم على الضيفان ساحا

ولستُ أرى فساداً في فساد يجرّ على فريقيْه صلاحا

كان سيف الدولة قد أبعد كلابا وشردها ، فقصدت أبا فراس وهو ببالس في خف من أصحابه ، وعليهم كثير بن عوسجة فهزمهم ، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت وفودهم إليه فخرج وتوسط فى أمرهم مع سيف الدولة ، وقال فى ذلك:

سلى عنا سراة بني كلاب ببالسَ (٣) عند مشتجر العوالي

لقيناهم بأسياف قصار كفين مؤونة الأسل الطوال

فولى بابن عوسجة كثير وساع الخطو في ضنك المجال

يرى البرغوث (٤) إذ نجاهُ منا أجلّ عقيلة وأحبّ مال

تدور به إماءُ بنى قريظ وتسأله النساءُ عن الرجال

يقلنَ لهُ السلامةُ خيرُ غُنْم وانّ الذلَّ فى ذاكَ المقال

[ما أظرف هذا البيت وما أصدقه]

وعادوا سامعينَ لنا فعدنا إلى المعهود من شرف الفَعال

١ الجوشن الصدر ٢ فى ا، ب عوف ٣ بالس بلد بشط الفرات

٤ البرغوث اسم فرس المنهزم

ونحن متى رضينا بعد سخط أسَوْنا ما جرحنا بالنوال

أخذهُ من قول أبي نواس:

وكلت بالدهر عينًا غيرَ غافلة بجود كفكَ تأسو كلما جُرِحا

ولهُ من قصيدة أولها

وقوفك بالديار عليك عار وقد رُدَّ الشبابُ المستعار

ومنها: وكم من ليلة لم أروَ منها حننت لها وأرَّقني ادِّكار

عسفت بها عواريَّ الليالي أحقُّ الخيل بالركض المُعار(١)

فبت أعلُّ خمراً من رضاب لها سكرٌ وليس لها خُمار(٢)

إلى أن رقَّ ثوبُ الليل عنا ونادَتْ قم فقد برد السوار(٣)،

ومنها: إذا ما العزُّ أصبح في مكان سموتُ له وإن بعد المزار

مقامي حيث لا أهوي قليلٌ ونومي عند من أقلي غِرار

أبت ليَ همتي وغِرار سيفي وعزمي والمطية والقفار

ونفس لا تجاورها الدَّنايا وعِرض لا يَرِفُّ عليهِ عار

وقوم مثل من صحبوا كرام وخيل مثل من حملت خيار

وكم بلد شننَّاهنَّ فيه ضحىً وعلا منابرَه المعار

وكم ملك نزعنا الملك عنهُ وجبَّارٍ بهِ دمه جُبار(٤)

ولهُ من أخرى

ولو نيلت الدنيا بفضلٍ منحتها فضائلَ تحويها وتبقى فضائل

ولكنها الأيام تجرى بما جرت فتسفل أعلاها وتعلو الأسافل

لقد قلَّ من تلقى من الناس مجملا وأخشى قريبا أن يقلَّ المجامل

---

١ يشير إلى أن المستعير لا يرفق بالشيء المستعار ٢ الخمار ما يدرك شارب الخمر من ألم وأذى وصداع ٣ أى قرب الصبح ٤ الجبار الهدور

ولست بجهم الوجه في وجه صاحبي　　وان سأل الاعمارَ ما هو سائل

ولهُ: بخلت بنفسي أن يقال مبخل　　وأقدمت جبناً أن يقال جبان

وملكي بقايا ما وهبت مُفاضةٌ　　ورمحٌ وسيف قاطع وسنان

ولهُ: بأطراف المثقفة العوالى　　تفرّدنا بأوساط المعالي

وما تحلو مجانى العزّ يوما　　إذا لم تجنها سُمْرُ العوالى

ممالكنا مكاسبنا إذا ما　　توارثها رجالٌ عن رجال

اذا لم تمس لي نار بأرض　　أبيت لنارِ غيري غيرَ صالي

ولهُ: غيرى يغيره الفعالُ الجافي　　ويحول عن شِيَم الكريم الوافى

لا أرتضى ودّا اذا هو لم يَدم　　عند الجفاء وقلةِ الإنصاف

تعِس الحريص وقلّ ما يأتى بهِ　　عوضاً عن الإلحاح والإلحاف

ان الغنىّ هو الغنىُّ بنفسه　　ولو انه عاري المناكبِ حافي

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً　　واذا قنعتَ فبعض شيءٍ كافى

وتعاف لي طمعَ الحريص فتوّتي　　ومروءتى وقناعتي وعفافى

ما كثرة الخيل العتاق بزائدي　　شرَفا ولا عدد السوام الضافي

خيلي وان قلّت كثيرٌ نفعها　　بين الصوارم والقنا الرّعاف

ومكارمي عدد النجوم ومنزلي　　مأوى الكرام ومنزل الأضياف

لا اقتني لصروف دهري عدةً　　حتى كأن خطوبه أحلافي

شيم عُرِفت بهنّ مذ أنا يافع　　ولقد عرفت بمثلها أسلافى

ولهُ: اتعجب ان ملكنا الأرض قسراً　　وأن تمسي وسائدَنا العراب[1]

وتربطَ في مجالسنا المَذَاكي[2]　　وتنزلَ بين أرحلنا الرّكاب

وهذا العزّ أورثنا العوالي　　وهذا الملكَ ملّكنا الضّراب

---

١ فى ١ و ج العياب　　٢ المذاكى : الخيل التى مر عليها عامان بعد قروحها

فقصرُكَ أنّ حالاً ملكتنا لحال لا تندمّ ولا تعاب

ولهُ: ونحن أناس لا توسطَ عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا فى المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

الاخوانيـــات

وكتب بها إلى أخيه أبى الهيجاء

حللتَ من المجد اعلى مكانٍ وبلغكَ الله اقصى ألأماني

فإنك لا عدمتك العلا أخ لا كأخوة هذا االزمان

كسوت أخوّتنا بالصفا ء كما كسيت بالكلام المعانى

وقال لصديق له وأحسن

لم أؤاخذك بالجفاء لأنى واثقٌ منك بالوداد الصريح

فجميل العدوّ غيرُ جميل وقبيح الصديق غير قبيح

وله: ما كنت تصبر في القدي م فلم صبرتَ الآن عنا

ولقد ظننتُ بك الظنو ن لأنهُ من ضنّ ظنا

وقال: أشفقتُ من هجري فسلا طتُ الظنونَ على اليقين

وضننتَ بى فظننت بى والظنّ من شيم الضنين

قال وكتب بها الى أخيه

ولقد أبيت وجلّ ما أدعو بهِ حتى الصباح وقد أقضّ المضجع

لاهُمّ إن أخى لديك وديعتي أبداً وليس يضيع ما تستودع

وكتب الى أبى العشائر وهو أسير بارض الروم

نفى النومَ عن عيني خيالٌ مسلِم تأوّب من أسماءَ والركب نوّم

وخطبٌ من الأيام أنساني الهوى وأحلى بفيّ الموتَ والموتُ علقم
ووالله ما شببت إلاّ عُلالةً ومن نار غير الحب قلبيَ يضرم
فمن مبلغ عني الحسينَ ألوكةً[1] تضمنها درُّ الكلام المنظم
لذيذ الكرى حتى أراكَ محرم ونار الأسى بين الحشا تتضرم
وأتركُ أن أبكي عليك تطيراً وقلبيَ يبكي والجوانح تلطم
لم يسمع أحسن من هذا البيت في التفجع بمنكوب.
وأظهرُ للأعداء فيك جلادةً وأكتم ما ألقاهُ والله يعلم
وما أغربت فيك الليالي وانها لتصدعنا من كلّ شعب وتثلم
طوارقُ خطب ما تغبُّ وُفودها وأحداثُ أيام تفذُّ وتتئم[2]
فما عرّفتني غيرَ ما أنا عارف ولا علمتني غيرَ ما كنتُ أعلم
ومنها: أندعو كريما من يجود بماله ومن جاد بالنفسِ النفيسة أكرم
اذا لم يكن ينجي الفرارُ من الردى على حالة فالصبرُ أرجى وأحزم
لعمري لقد أعذرتَ لو أن مُسعدا وأقدمتَ لو أن الكتائبَ تقدم
وما عابك ابنَ السابقين إلى العلا تأخرُ أقوام وأنت مقدّم
ومالك لاتلقىَ بمهجتك القنا وأنت من القوم الذين همُ هم
لعاً يأخي لاَمسّكَ السوء إنهُ هو الدهر في حاليهِ بؤسىَ وانعمُ

وكتب اليه قصيدة اخرى منها

أأبا العشائر إن أُسرتَ فطالما أسَرَتْ لك البيضُ الخفافُ[3] رجالا
لما أجلت المهرَ فوق رؤوسهم نسجت له حمر الشعور عقالا

ما أحسن ما اعتذر له مع احسانهِ التشبيه

---

١. الالوكة: الرسالة ٢ تتئم: مزدوجا ٣ البيض الخفاف السيوف

يامن إذا حمل الحصان على الوجى قال اتخذ حُبكَ التريك [1] نعالا
ما كنت نهزة [2] آخذ يوم الوغى لو كنت أوجدت الكميت مجالا
أخذوكَ في كيد المضائق غيلة مثلَ النساء تحبّب الرئبالا
زللٌ من الأيام فيك يقيلهُ ملك إذا عثر الزمان أقالا
بالخيل ضمراً والسيوف قواضبا والسمرِ لُدْنا والرجال عجالا

وقال :

ماكنت مذْ كنت إلا طَوْعَ خلاّنى ليست مؤاخذة الإخوان من شانى
يجنى الخليل فأستحلي جنايته حتى أدُلّ على عفوي وإحسانى
اذا خليلَى لم تكثر اساءته فأين مَوْقع إحسانى وغفرانى
يجني عليّ واحنو صافحاً أبداً لاشيء أحسن من حانٍ على جانى

وقال : ما صاحبي الا الذى من بِشْرِه عنوانه في وجهه ولسانه
كم صاحبٍ لم أغن عن انصافه فى عشرة وغنيت عن احسانه

وكتب فى وصف كتاب ورد عليه من صديق له :

ووارد مورد أنساً يؤكده صدوره عن سليم الورد والصدر
شدت سحائبه منه على نزه تقسم الحسن بين السمع والبصر
عذوبةصدرت عن منطق جدد كالماء يخرج ينبوعا من الحجرِ
وروضة من رياض الفكر دبجها صوبُ القرائح لاصوب من المطر
كأنما نشرت أيدي الربيع بها بردا من الوشي او ثوبا من الحِبَرَ

وقال لأبى الحصين القاضى

من بحر شعرك اغترف وبفضل علمك أعترف

---

١ الوجى الحفا والتريك المتروك من القتلى الحبك الشعر الجعد ، كأنه يقول إنه يتخذ من شعور القتلى نعالا لحصانه اذا حفى ٢ النهزة الفرصة يقال هذه نهزه فاختلسها

أنشدتني فكأنما شققت عن درّ الصدف
شعرا اذا ما قسته بجميع أشعار السلف
قصرن دون مداه تقصير الحروف عن الألف

وقال ايضاً :

انى عليك أبا حصين عاتب والحرّ يحتمل الصديق ويغفر
واذا وجدت على الصديق شكوته سرًّا اليه وفي المحافل أشكر

هكذا شرط الصداقة، لا كما حكاه[1] أبو إسحاق الصابي في قوله :

ومن الظلم أن يكون الرضى سرا ويبدو الإنكار وسط النادى
ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ماشاع ذاك في الاشهاد

الشكوى والعتاب سوى ماوقع فى الروميات قال:

أراني وقومي فرّقتنا مذاهب وان جمعتنا في الأصول المناسب
فأقصاهم أقصاهم من مساءتى وأقربهم مما كرهت الأقارب
غريب وأهلي حيث ما كرّ ناظرى وحيد وحولي من رجالي عصائب
نسيبك من ناسبت بالودّ قلبه وجارك من صافيته لا المصاقب[2]
وأعظم أعداء الرجال ثقاتها وأهون من عاديته من تحارب
وماالذنب الاّ العجز يركبه الفتى وماذنبه ان حاربته المطالب
ومن كان غير السيف كافل رزقه فللذلّ منه لامحالة جانب

وقال

لمن اعاتب مالى أين يُذْهب بى قد صرح الدهر لى بالمنع والياس
أبغى الوفاء بدهرٍ لاوفاء له كأنني جاهل بالدهر والناس

---

١ فى الاصول : شكاه ٢ المصاقب : المجاور

وقال:

تمنيتم أن تفقدونى وانما تمنيتم أن تفقدوا العزَّ أصيدا
أما أنا أعلى من تعدون همة؟ وان كنت أدنى من تعدُّون مولدا
إلى الله أشكو عصبة من عشيرتى يسيئون في القول غيبا ومشهداً
وإن حاربوا كنت المجنّ أمامهم وإن ضاربوا كنت المهند واليدا
وان ناب خطبٌ أو ألمت ملمةٌ جعلت لهم نفسى وما ملكت فدا

وقال:

أيا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا أيا قومنا لا تقطعوا اليدَ باليد
فيا بيت داني الرحم منا ومنكم اذا لم يقرِّب بيننا لم يبعد
عداوة ذى القربى أشدُّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند

وقال: ويغتابني من لو كفانىَ غيبة لكنت له العينَ البصيرة والأذنا
وعندي من الاخبار مالو ذكرته إذاً قرعَ المغتابُ من ندمٍ سنَّا

وقال: اذا كان فضلى لا أسوِّغ نفعه فأفضل منه أن أرى غير فاضل
ومن أضيع الاشياء مهجة عاقل يجوز على حوبائها حكم جاهل

الغزل والنسيب

تبسمَ إذ تبسمَ عن أقاح وأسفرَ حين أسفر عن صباح
وأتحفنى براحٍ من رضابٍ وراح من جنى خدٍّ وراح
فمن لألاءِ غرته صباحي ومن صهباءِ ريقته اصطباحى

وقال: سكرت من لحظهِ لا من مدامته ومالَ بالنوم عن عينى تمايلهُ
فما السلافُ دهتنى بل سوالفه ولا الشمول ازدهتنى بل شمائله
ألوى بعزمى أصداغ لوينَ له وغالَ صبرى ماتحوى غلائله

وقال: من أين للرشأ الغرير الأحور فى الخدّ مثل عذاره المتحدِّر

قمرٌ كأنَّ بعارضيهِ كليهما ... مِسكاً تساقط فوق وَرْدٍ أحمر

وقال: قد كان بدرَ السماء حسنا ... والناس في حبه سواءْ

فزاده ربه عِذاراً ... تمّ به الحسن والبهاءْ

لا تعجبوا ربُّنا قديرٌ ... يزيدُ في الخلق ما يشاءْ

وقال: وظبيٍ غريرٍ في فؤادي كِناسهُ (١) ... إذا اكتنست عِينُ الفلاة وحورها

فمن خَلقهِ أجيادُها وعونها ... ومن خُلقهِ عصيانها ونفورها

وقال:

وشادنٍ قال لى لما رأى سقمي ... وضعفَ جسمي والدّمع الذى انسجما

أخذتَ دمعكَ من خدي وجسمك من ... خصرى وسقمك من طرفي الذى سقما

وقال: أساء فزادتهُ الإساءة حظوةً ... حبيبٌ على ما كان منهُ حبيب

يعدُّ على الواشيان ذنوبهُ ... ومن أين للوجه الجميل ذنوب

وقال: أيها الغازى الذى ... يغزو بجيش الحبِّ جسمي

مايقوم الأَجرُ فى ... غَزْوِكَ للروم بإِثمي

وقال: وإذا يئستُ من الدنـــوّ رغبتُ في فرط البعاد

أرجو الشهادة في هوا ... كَ لأن روحى في جهاد

وقال: وكنى الرسول عن الجواب تظرُّفا ... ولئن كني فلقد علمنا ماعنى

قلْ يارسولُ ولاتحاش فإنه ... لا بدَّ منهُ أساء بى أم أحسنا

الذنبُ لى فيما جناه لأنى ... مكـنتهُ من مهجتى فتمكـنا

وقال: عـدتنى عن زيارته عوادٍ ... أقل مخوفها سمرُ الرماح

ولولا أنى أطعت رسيس (٢) شوقى ... ركبت إليه أعناق الرياح

وقال: ياعسوفاً بالمستهام الشفيق ... وعنيفاً على الرفيق الرفيق

أسرقُ الدَّمعَ من نديمى بكأس ... فأحلي عقيانها بالعقيق

١ الـكـناس مستكن من الشجر تأوى اليه الغزلان والظباء ٢ الرسيس ابتداء الشيء

وقال : لَطيرتى بالصداغ[1] نالت فوق منال الصداع منى
وجدت فيه اتفاق سوء صدَّ عنى مثل صدّعني [2]

وقال : ياليلة لست أنسى طيبها أبداً كأنّ كل سرور حاضر فيها
باتت وبتُّ وبات الزقُّ ثالثنا حتي الصباح تسقيني وأسقيها
كأن سودَ عناقيد بلمتها أهدت سلافتها خمراً إلى فيها

وقال : مسيءٌ محسن طوراً وطوراً فما أدري عدوّى أم حبيبي
و بعض الظالمين وان تناهي شهيٌّ الظلم مغتفر الذنوب

وقال : قمرٌ دون حسنه الأَقمارُ وكثيبٌ من النقا مستعارُ
وغزال فيه نفار وما ينكر من شيمة الظباء النفارُ
لاأعاصيه فى اجتراح المعاصى في هوى مثله تطيبُ النارُ
قد حذرتَ الملاحَ دهراً ولكن ساقنى نحو حبه المقدارُ
كم أردتُ السلوّ فاستعطفتنى رُقية من رُقاكَ ياعيارُ

وقال : من السلوان في عينيه لك آياتٌ وآثارُ
أراها منك بالقلب وفى الأضلاع أبصار
إذا ما برد القلـ ـب فما تُسخنه النار

وقال : يامعشرَ الناس هل لى مما لقيت مجير
أصابَ غرّةَ قلبي ذاكَ الغزال الغرير
فعمر ليلي طويل وعمر يومى قصير

وقال : أجملى ياأمّ عمرو زادك الله جمالا
لاتبيعيني برخص ان في مثلى يغالى
أنا انجُدْتِ بوصل أحسن العالم حالا

---

١ فى الاصول الصداع   ٢ الاولى بمعنى الصدود والثانية بمعنى الصداع

الاوصاف والتشبيهات

قال في وصف الجسر

كأنما الماءُ عليهِ الجسر   درج بياض خُطّ فيهِ سطر
كأننا لما تهيا العبر   أسرة موسى حين شق البحر

وجلس يوماً في البستان البديع والماء يتدرج في البرك فقال ! في وصفه وكل واصف فانما يشبّه الموصوف بما هو من جنس صناعته ، وربما يكثر رؤيته له

انظر الى زهرِ الربيع   والماء في بِركِ البديع
واذا الرياح جرت عليـ   ـه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا   ئح بيننا حِلق الدُّروع

وقال فى وصف النار والفحم

لله برد ما أشد   ومنظر ما كان أعجب
جاء الغلام بناره   هَوْجاءَ فى فحم تلهب
فكأنما جمع الحليّ   فمحرق منهُ ومذهب
وكأنها لما خبت   ما بيننا ند معشب

وقال : مددنا علينا الليلَ والليلُ راضع   الي أن تردى رأسه بمشيب
بحالٍ ترد الحاسدين بغيظهم   وتطرف عنا عين كل رقيب
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه   مبادى نصول فى عذار خضيب

وقال :

وجلّنار مشرف   على أعالى شجرة
كأن في رءوسهِ   أحمرَه وأصفره
قراضة من ذهب   فى خِرق معصفره

وقال فى جارية سبيت

وخَريدة كرمت على أبائها   زمنا وعند سِبائها لم تكرم

خطبت بحدّ السيف حتى زوّجت ... كرهاً وكان صداقها المقسم[1]
راحت وصاحبها لعرس حاضر ... برضى الإله وأهلها في مأتم

ينظر معنى البيت الاول [و الثالث] الى قول المتنبي:

تبكي عليهن البطاريق في الدجى ... وهنّ لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الايام مابين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

ولأبي فراس في طعنة أصابت خده

لما رأت أثرَ السنان بخده ... ظلت تقبله[2] بوجه عابس
خَلَفَ السنانُ بهِ مواقعَ لثمها ... بئسَ الخلافة للمحب البائس
حسن الثناء بقبح ماصنع القنا ... يوم الطعان بصحن خد الفارس

الحكمة والموعظة

غِنى النفسِ لمن يعقـ ... ـل خيرٌ من غنى المال
وفضلُ الناس في الأنفـ ... ـس ليس الفضل في الحال

وقال: المرء نصبَ مصائب لاتنقضي ... حتي يُوارَى جسمهُ في رمسه
فمؤجل يلقى الردى في أهله ... ومعجل يلقى الردى في نفسه

وقال: أنفق من الصبر الجميل فإنه ... لم يخشَ فقراً منفقٌ من صبره
والمرء ليس ببالغ في أرضه ... كالصقر ليس بصائد في وكره

وقال: خفِّض عليك ولا تكن قلق الحشا ... مما يكون وعلّهُ وعساهُ
والدهرُ أقصر مدةً مما ترى ... وعساكَ أن تُكفى الذي تخشاه

وقال: عرفتُ الشرَّ لا للشـ ... ـرّ لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر ... من الناس يقع فيه

وقال: لعمرك ما الأبصار تنفعُ أهلها ... إذا لم يكن للمبصرين بصائر

---

١ المقسم محل قسم الغنائم ٢ في الاصول: تقابله

وهل ينفع الخطيُّ غيرَ مثقفَ　　وتظهرُ الا بالصقال الجواهر
وكيف يُنال المجدُ والجسم وادع　　وكيف يحاز الحمد والوَفر وافر
وقال: إذا لم يعنكَ اللهُ فيما تريدهُ　　فليس لمخلوق إليك سبيـل
وإن هو لم يُرشدكَ في كل مسلك　　ضللتَ ولو أن السماك دليل
وقال: لست بالمستضيم من هو دوني　　اعتداء ولست بالمستضام
رب أمر عففت عنه اختياراً　　حذراً من أصابع الأيتام
أبذل الحق للخصوم إذا ما　　عجزت عنه قدرة الحـكام

الروميات من غرر ابى فراس

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب، وأصابته عين الكمال، أسرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه، وحصل مثخنا بخرشنة، ثم بقسطنطينية، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة وقد قيل: على كل نجح رقيب من الآفات، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة[1] سيف الدولة وفرط الحنين الى أهله وإخوانه وأحبابه، والتبرم بحاله ومكانه عن صدر حرج وقلب شج، تزداد رقة ولطافة تبكي سامعها، وتعلق بالحفظ لسلاستها فمنها قوله:

ما للعبيد من الذى　　يقضى به الله امتناع
ذُدت الأسود عن الفرا　　ئس ثم تفرسني الضباع !!
وقوله: قد عذُب الموت بأفواهنا　　والموتُ خيرٌ من مقام الذليل
إنا إلي الله لما نابنا　　وفي سبيل الله خير السبيـل

ولما شقت فخذه عن نصل السهم الذى أصابهُ قال:

فلا تصفنَّ الحرب عندى فإنها　　طعاميَ مُذ بعت الصبا وشرابي

---

١ استزاده أي استقصره واستقصره عده مقصرا

وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زُرق النصول إهابي
ولججتُ في حلو الزمان ومره وانفقت من عمري بغير حساب

وقال بخرشنة

ان زرتُ خرشنةً أسيراً فلقد حللتُ بها مغيرا
ولقد رأيت النار تنـ ـتهب المنازل والقصورا
ولقد رأيت السبي يجـ ـلب نحونا حوّا وحورا
من كان مثلي لم يبت الاّ أميرا أو أسيرا
ليست تحلُّ سراتُنا الا الصدورَ أو القبورا

وكتب اليه سيف الدولة قصيدة منها :

دعوتك للجفن القريح المسهدِ لدى وللنوم القليل المشرّد
وماذاك بخلا بالحياة وانها لَأول مبذولُ لِأوَّل مجتدى
ولازال عني أن شخصا معرّضا لنبل العدا ان لم يصب فكأن قدِ
ولكنني أختار موت بنى أبي على سَروَات الخيل غيرَ موسد
وآبى وتأبى أن أموت موسداً بأيدي النصارى موت أكمد أكبد
نضوتُ على الأيام ثوب جلادتي ولكنني لم أنضُ ثوب التجلد
فمن حسن صبر بالسلامة واعدِ ومن ريب دهر بالردى متوعدي
فمثلك من يدعى لكل عظيمة ومثلىَ من يُفدى بكل مسودّ
تشبث بها أُكرومة قبل فوتها وقم في خلاصي صادق العزم واقعد
فان تفتدونى تفتدوا اشرف العلا وأسرعَ عَوّاد اليكم [1] معود
يدافع عن اعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهند
متى تخلف الايامُ مثلي لكم فتى طويلَ نجاد السيف رحبَ المقلد
ولا وأبي ماساعدان كساعد ولا وأبي ماسيدان كسيد

(١) الاصول : اليهم

وإنك للمولى الذى بك اقتدى ... وانك للنجم الذى بك اهتدى
وأنت الذى عرفتني طرُق العلا ... وأنت الذي هذبتني كل مقصد
وأنت الذي بلغتنى كل غاية ... مشيت اليها فوق أعناق حسَّدى م
فيا ملبسي النعمى التي جل قدرُها ... لقد أخلقت تلك الثياب فجدد(١)
ألم تر أنى فيك صافحت حدها ... وفيك شربت الموت غير مصرد(٢)
وفيك لقيت الألف زرقاً عيونها ... بسبعين فيها كل أشأم انكد
يقولون جنِّبْ عادةً ماعرفتها ... شديد على الانسان مالم يعوّد
فقلت أما والله ماقال قائل ... شهدت لهُ في الخيل ألأمَ مشهد
ولكن سألقاها فإِما منية ... هي الظن أو بنيان عز مؤيد(٣)
ولم أدر أن الدهر في عدد العدا ... وأن المنايا السود يرمين عن يد

وكتب الى والدته وقد ثقل من الجراح التي به

مصابى جليل والعزاء جميل ... وظنى بأن الله سوف يزيل
جراحٌ تحاماها الأُساة مخافة ... وسقمان بادٍ منهما ودخيل
وأسرٌ أقاسيهِ وليل نجومهُ ... أرى كل شيء غيرهنَّ يزول
تطول بى الساعات وهي قصيرة ... وفى كل دهر لايسرُّك طول
تناسانىَ الأَصحاب إِلا عصابة ... ستلحق بالأخرى غداً وتحول
وان الذى يبقى على العهد منهم ... وان كثرت دعواهم لقليل
أقلب طرفي لاأرى غير صاحب ... يميل مع النعماءِ حيث تَميل
وصرنا نرى أن المتارك محسن ... وأن خليلا لايضر وَصول(٤)

كأنه مأخوذ من قول المتنبي

١ أخلقت : بليت ٢ المصرد المقطوع ٣ فى الديوان الطعن ولعلها الظعن

(٤ يتيمة ل)

إنا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس انعام وافضال
(رجع) تصفحت أحوال الزمان فلم يكن إلي غير شاك للزمان رصول
أكل خليل هكذا غير منصف وكل زمان بالكرام بخيل
نعم دعت الدنيا الي الغدر دعوة أجاب اليها عالم وجهول
وفارق عمرو بن الزبير شقيقهُ وخلى أميرَ المؤمنين عقيل
فيا حسرتى من لي بخلٍّ موافق أقول بشجوى مرة ويقول[1]
وان وراء الستر أمّا بكاؤها عليّ وان طال الزمان طويل
فيا أمتا لا تعدمى الصبر انهُ إلى الخير والنجح القريب رسول
ويا أمتا لا تحبطى الأجرَ انهُ على قدَر الصبر الجميل جزيل
تأسي كفاك الله ماتجدينهُ فقد غال هذا الناسَ قبلك غول
لقيتُ نجوم الأفق وهي صوارم وخضتُ سواد الليل وهو خيول
ولم أرع للنفس الكريمة خلة عشية لم يعطف عليّ خليل
ولكن لقيت الموت حتى تركتهُ وفيهِ وفي حدّ الحسام فلول[2]
ومن لم يوقِّ الله فهو ممزق ومن لم يعز الله فهو ذليل
ومن لم يرده الله في الامر كله فليس لمخلوق اليهِ سبيل

وكتب الى سيف الدولة :

هل تعطفان على العليل لا بالاسير ولا القتيل
باتت تقلبهُ الاكـ ـفُّ سحابة الليل الطويل
فقد الضيوفُ مكانه وبكاهُ أبناءُ السبيل
وتعطلت سمرُ الرما ح وأغمدت بيضُ النصول
يافارجَ الكرب العظيـ ـم وكاشف الخطب الجليل

---

١ الشجو الحاجة ٢ الحسام المفلول : المنثلم

كن ياقويّ لذا الضعيـ ـف وياعزيز لذا الذليـل
قرّبهُ من سيف الهـدي في ظـلّ دولته الظليـل
لم أروِ منه ولا شفيـ ـت بطول خدمته غليلى
ولـئن حَننت الى ذرا ه لقد حننت الى وَصول
لا بالقَطوب ولا الغضو ب ولا الكذوب ولا الملول
ياعدّتى في النائبا ت وظلتى عند المقيل
أين المحبة والذما م وما وعدتَ من الجميل؟
احمل على النفس الكـريمة فيَّ والقلب الحمول

وكتب الى والدته

لولا العجوز بمنبج ما خِفت أسبابَ المنيه
ولكان لي عما سـألـ ـت من الفدا نفس أبيّه
لـكن أردت مرادها ولو انجذبت الى الدنيه
امست بمنبج حرة بالحزن من بعدي حريه
فيها التقى والدين مجـموعان فى نفس زكيه
لا زال يطرق منبجا في كل غادية تحيه
ياامَّتا لا تحزنى وثقي بفضل الله فيه
ياامتا لا تيأسى لله ألطاف خفيه
أوصيك بالصبر الجميـل فانهُ خير الوصيه

وكتب الى غلامين لهُ [يقال لهما ضاف ومنصور يستجفيهما] (١)

هل تحسّان لي رفيقا رفيقا يحفظ الودّ أوصديقا صَدوقا
لارعى الله يا خليليّ دهرا فرقتنا صروفهُ تفريقا

١ الزيادة عن الديوان

كنت مولاً كما وما كنت الاّ والداً محسنا وعمّاً شفيقا
فاذكراني وكيف لا تذكراني كلما استخون الصديق صديقا
بت ابكيكما وان عجيبا ان يبيت الاسير يبكي الطليقا

وكتب إلى غلامه منصور

مغرم مؤلم جريح أسير ان قلبا يطيق ذا لصبور
وكثير من الرجال حديد وكثير من القلوب صخور
قل لمن حل بالشآم طليقا بأبي قلبك الطليق الاسير
أنا أصبحت لا أطيق حراكا كيف أصبحت أنت يا منصور

وكتب اليه

ارثِ لصب بك قد زدتهُ على بلايا أسره أسرا
قد عدم الدنيا ولذاتها لكنهُ ما عدم الصبر
فهو أسير الجسم في بلدة وهو أسير القلب في أخرى

وكتب اليه ايضا

ياليل ما أغفلَ عما بي حبائبي فيك واحبابي
ياليل نام الناس عن موجع ناءٍ على مضجعه نابي
هبت له ريح شآمية متتْ إلى القلب بأسباب
أدت رسالات حبيب بها فهمتها من بين أصحابي

بلغني أن الصاحب كان يستظرف هذين البيتين ويستملحهما ويكثر الإعجاب بهما وكتب إليهما :

لأيكم أذكرُ وفي أيكم أفكرُ
وكم لي على بلدتي بكاء ومستعبرُ
ففي حاب عدتي وعزيَ والمفخرُ

وفي منبج مَن رضا هانفسُ ما اذخرُ
ومَن حبها زلفة بها يكرم المحشرُ
وأصبية كالفرا خ أكبرهم اصغرُ
يخيل لي أمرهم كأنهم حضرُ
وقوم ألفناهمُ وغصن الصبا أخضرُ
فحزني ما ينقضي ودمعي ما يفترُ (١)
اياغفلتا كيف لا أرجى كما أحذرُ
وماذا القنوط الذى أراه وأستشعر
بلى إن لى سيدا مواهبهُ أكثرُ
بذنبيَ أوردتني ومن فضلك المصدرُ

وقال وقد حضره العيد .

ياعيدُ ما عدتَ بمحبوب على معنى القلب مكروب
ياعيد قد عدت الى ناظر عن كل حسن فيك محجوب
ياوحشة الدار التى ربها اصبح فى أثواب مربوب (٢)
قد طلع العيد على أهلها بوجه لا حسنَ ولا طيب
مالي وللدهر واحداثه لقد رمانى بالأعاجيب

وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية

اقول وقد ناحت بقربى حمامة أياجارتى هل تشعرين بحالى
معاذ الهوى ماذقت طارقة الهوى ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزونَ الفؤاد قوادمٌ على غصُن نائى المسافة عالى

---

١ الفتور السكون والهدوء ٢ المربوب العبد

أياجارتا ماأنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالى (١)
تعالى ترى روحا لدىّ ضعيفة تردَّد فى جسم يعذب بالى
أيضحك مأسور وتبكى طليقة ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلةً ولكن دمعى في الحوادث غالى

وكتب الى سيف الدولة

اما لجميل عند كنّ ثوابُ ولا لمسيءٍ عندكن متاب
اذا الخل لم يهجرك الا ملالة فليس له الا الفراق عتاب
اذا لم أجد من خلة ما أريده فعندي لأُخرى عزمة ورِكاب
وليس فراق ما استطعت فان يكن فراق على حال فليس إياب

أخذهُ من قول القائل وهو أوس بن حَجَر

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليهِ بوجهٍ آخرَ الدهر تقبلُ

(رجع) صبور ولو لم يبق منى بقيةٌ قؤول ولو ان السيوف جواب
وقور واحداث الزمان تنوشنى وللموت حولى جيئة وذهاب
بمن يثق الانسان فيما ينوبهُ ومن اين للحرّ الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الاّ اقلهم ذئابا على أجسادهنّ ثياب
تغابيت عن قوم فظنوا غباوة بمفرِق اغبانا حصى وتراب
ولو عرفونى بعض معرفتى بهم اذًا علموا انى شهدت وغابوا
إلِي اللهِ أشكو اننا بمنازل تحكم في آسادهنّ كلاب
تمرّ الليالى ليس للنفع موضع لدي ولا للمعتفينَ جناب
ولا شدّ لى سرج على متن سابح ولا ضربت لى بالعَراء قِباب

١ الصواب تعالى بفتح اللام واسكان الياء ولكنه أتى بها على اللغة الشاذه

ولا برقت لى فى اللقاء قواطع ... ولا لمعت لى في الحروب حراب
ستذكر ايامى نمير وعامر ... وكعب على علاتها وكلاب
أنا الجار لازادى بطيء عليهمُ ... ولا دون مالى في الحوادث باب
ولا أطلب العوراء منهم اصيبها ... ولا عورتى للطالبين تصاب
بنى عمنا ما يفعل السيف في الوغى ... اذا فل منهُ مضرب وذباب
بنى عمنا نحن السواعد والظبا ... ويوشك يوما أن يكون ضراب
وما أدّعي ما يعلم الله غيره ... رحابُ علىّ للعفاة رحاب
وافعالهُ للراغبين كريمة ... واموالهُ للطالبين نهاب
ولكن نبا منهُ بكفيَ صارم ... واظلم في عينىّ منهُ شهاب

ألمّ فيه بقول البحترى

سحاب عدانى جودهُ وهو ريِّق[1] ... وبحر خطانى فيضهُ وهو مفعم
وبدر أضاء الارض شرقا ومغرباً ... وموضع رحلى منهُ أسود مظلم

(رجع) وأبطأ عنى والمنايا سريعة ... وللموت ظفر قد اظل وناب
فان لم يكن ودّ قريب نعدهُ ... ولا نسب بين الرجال قُراب[2]
فأحوط للاسلام أن لا يضيعنى ... ولى عنهُ فيه حوطة ومناب
ولكننى راضٍ على كل حالة ... لنعلم أيُّ الحلتين سراب
وما زلت أرضي بالقليل محبة ... لديه وما دون الكثير حجاب
واطلب ابقاء على الود ارضهُ ... وذكرى منى في غيره وطلاب
كذاك الوداد المحض لا يرتجى لهُ ... ثواب ولايخشى عليه عقاب

ومثله للمتنبي

وما أنا بالباغى على الحب رشوةً ... ضعيفُ هوًى يُبغى عليه ثواب

---

١ أى وهو قريب منى كأنه على ريقى ٢ القرب : القريب

رجع وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع ... وفي كل يوم لُقية وخِطاب
فكيف وفيما بيننا مُلكُ قيصر ... وللبحر حولى زَخرة وعباب؟
أمِن بعد بذل النفس فيما تريده ... أُثاب بمُرّ العتب حين أثاب
فليتكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتكَ ترضى والأنامُ غِضاب
وليتَ الذى بيني وبينكَ عامرٌ ... وبيني وبينَ العالمينَ خَراب
اذا صح منكَ الوُدُّ فالكلُّ هين ... وكلُّ الذي فوق التراب تراب

وكتب اليه

بالكره مني واختيارِكْ ... أن لا أكونَ حليفَ دارِكْ
ياتاركى أنى لشكـ ... ـركَ ماحييتُ لَغَيرُ تاركْ
كن كيف شئتَ فإننى ... ذاكَ المواسِي والمشارِكْ

وكتب اليه :

أبى غَربُ هذا الدمع إلا تشرُّعا ... ومكنون هذا الحب الاّ تضوّعا[1]
وكنت أرى أنى مع الصبر واحد ... اذا شئت لى ممضى وان شئت مرجعا
فلما استمر الحبُّ في غلوائه ... رعيت مع المضياعةِ الغِرِّ مارعى[2]
فحزنىَ حزن الهائمين مبرحا ... وسرى سرُّ العاشقين مضيعا
وهبت شبابى والشباب مَضِنه[3] ... لأبلج من أبناءِ عمىَ أروعا
أبيت معنى مِن مخافة عَتبهِ ... وأصبح محزونا وامسي مروعا
فلما مضى عصر الشبيبة كله ... وفارَقنى شَرخ الشباب فودعا
تطلبت بين العتب والهجر فرجة ... فحاولت أمراً لايرام ممنعا
وصرت اذا مارمت في الخير لذةً ... تتبعتها بين الهموم تتبعا

١ الغرب عرق فى العين ٢ الغلواء الغلو وأول الشباب ٣ المضنة النفيس

وها أنا قد حلى الزمان مفارقى　　وتوّجنى بالشيب تاجاً مرَصعا
فلو أنني مُكنت مما أُريده　　من العيش يوماً لم أجد فيَّ موضعا
أما ليلةٌ تمضى ولابعض ليلة　　أُسرُّ بها هذَا الفؤادَ المفجعا
أما صاحبٌ فرد يدوم وفاؤهُ　　فيصفى لمن يصفى ويرعى لمن رعى
أفى كلِّ دار لي صديق أودُّهُ　　اذا ماتفرقنا حفظت وضيعا
[أقمت بأرض الروم عامين لاأرى　　من الناس محزونا ولا متصنعا](١)
اذا خفت من أخوالىَ الروم خطة　　تخوّفت من أعمامىَ العربَ أربعا
(وان أوجعتنى من أعادى شيمةٌ　　لقيتُ من الأحباب أدهى وأوجعا)
ولو قد رجوت الله لا شيء غيرَه　　رجعت الى آلي وأملت أوسعا
لقد قنعوا بعدى من القطر بالندي　　ومن لم يجد الاّ القنوع تقنعا
وما من انسانٌ فأخلف مثله　　ولكن يرجى الناس أمراً مرقعا
تنكرَ سيف الدِّين لما عتبته　　وعرّض بى تحت الكلام وقرعا
فقولا له من صادق الودِّ اننى　　جعلتك مما رابنى الدهر مفزعا
ولو أننى أكننته فى جوانحى　　لأورق مابين الضلوع وفرّعا
فلا تغترر بالناس ما كلُّ من ترى　　أخوك إذا أوضعتَ فيالأمر أوضعا
فلله احسان علىّ ونعمة　　ولله صنع قد كفانى التصنعا
أرانىَ طرْقَ المكرمات كما أرى　　علىٌّ وأسعى لى عليًّا كما سعى
فإن يك بطءٌ مرةً فلطالما　　تعجل بى نحو الجميل فأسرعا
وان يجفُ فى بعض الأمور فإننى　　لأَشكره النعمى التي كان أودعا
وان يستجدّ الناسَ بعدى فلم يزل　　بذاك البديلِ المستجدِّ ممتعا

وكتب اليه أبو فراس : مفاداتى ان تعذرت عليك فأْذن لى في مكاتبة أهل

---

١ الزيادة من الديوان

خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري ، فأجابه سيف الدولة بكلام حسن ، وقال له ومن يعرفك بخراسان ؟ فكتب اليه أبو فراس :

أسيفَ الهدي وقريعَ العرب ... إلامَ الجفاءُ وفيم الغضب
ومابال كتبك قد أصبحت ... تنكبني مع هذي النكب
وأنتَ الكريم وأنتَ الحليم ... وأنت العطوف وأنت الحَدِب [1]
وما زلتَ تُسعفني بالجميـ ... ـل وتُنزِلني بالمكان الخصِب
وانك للجبلُ المشمخـ ... ـرُّ لي بل لقومك بلْ للعرب
[وتدفع عن عاتقي الخطو ... ب وتكشف عن ناظِرَيَّ الكرب]
عُلاً يُستفادُ وعافٍ يفا ... د وعز يشاد ونعمى تُرَبّ
وما غضَّ مني هذا الاسا ... ر ولكن خلصت خلوص الذهب
ففيم يقرِّعني بالخمو ... ل مولى به نلتُ أعلى الرتب
وكان عتيداً [2] لديَّ الجوا ... ب ولكنْ هيبته لم أجب
أتنكر أني شكوتُ الزما ... نَ وأني عتبتك فيمن عتب
فألاَّ رجعتَ فأعتبتني ... وصيرْت لي ولقومي الغلب
فلا تنسبن إلى الخمو ... لَ عليك أقمتُ فلم أغترب
وأصبحت منك فان كان فضلٌ ... وان كان نقص فأنت السبب
وإن خراسان إن أنكرت ... عُلايَ فقد عرفتها حلب
ومن أين ينكرني الأبعدو ... نَ أمِن نقص جدٍ أمِن نقص أب
ألست وإياك من أسرة ... وبيني وبينك عِرق النسب
وِداد تناسب فيه الكرا ... م وتربية ومحل أشب
ونفس تَكبرُ الا عليـ ... ـك وترغب إلاك عمن رغب

---

١ في ط : الحزب والديوان : الحرب ولعل الصواب ماذكرناه ٢ العتيد المهيا الحاضر

فلا تعدلن فداك ابن عمـ ـك لا بل غلامك عما يجب
وأنصف فتاكَ فانصافه من الفضل والشرف المكتسب
فكنت الحبيب وكنت القريـ ـب ليالي أدعوك من عن كثب
فلما بعدت بدت جفوة ولاح من الأمر مالا أحب
فلو لم أكن بك ذا خبرةٍ لقلتُ صديقك من لم يغب

وكتب اليه أيضاً

زماني كلهُ غضبٌ وعتب وأنت عليّ والايام ألبٌ (١)
وعيشُ العالمين لديك سهلٌ وعيشي وحدهُ بفناك صعب
فكيفَ وأنت دافعَ كلّ خطبٍ مع الخطب الملم عليّ خطبُ
الى كمْ ذا العتاب وليس جرم وكم ذا الاعتذار وليس ذنب
فلا تحملْ على قلبٍ جريح به لحوادث الايام نَدْبُ (٢)
أمثلي تُقبلُ الأقوالُ فيهِ ومثلكَ يستمرُّ عليه كِذْبُ
جنانى ماعلمتَ ولي لسانٌ يقدُّ الدرعَ والانسانَ عضبُ (٣)
وزندي وهو زندك ليس يكبو وناري وهي نارك ليس تخبو
وفرعي فرعك السامى المعلّى وأصلى أصلك الزاكى وحسب
وفضلى تعجز الفضلاء عنه لأنك أصله والمجد تِربُ (٤)
فدت نفسي الأميرَ وكان حظى وقربى عنده ما دام قرب
فلما حالت الأعداء دونى وأصبح بيننا بحر ودَرب
ظللتَ تبدّل الأقوال بعدى ويبلغني اغتيابك ما يغب (٥)
فقل ماشئت فيّ فلى لسان ملئٌ بالثناء عليك رطب

---

١ الالب التدبير على العدو من حيث لايعلم ٢ الندب الاثر الباقى بعد اندمال الجرح
٣ العضب صفة للسان ٤ الترب المساوى فى السن ٥ أغب انقطع يوماوجاء يوما

وقابلني بإنصاف وظلم تجدني في الجميع كما تحب

وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة ، وتتضرع اليه فلم يكن عنده مارجت من حسن الايجاب ، ووافق ذلك عنفاً من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى وزيادة في ارهاقهم فكتب الى سيف الدولة :

ياحسرةً ما أكاد أحملها آخرها مزعج وأولها
عليلةٌ بالشآم مفردةٌ بات بأيدي العدى معللها
اذا اطمأنت وأين؟ أو هدأت عنت لها ذكرة تقلقها
تسأل عنا الركبان جاهدة بأدمع ماتكاد تمهلها
يامن رأى لي بحصن خرشنة أسد شرى في القيود ارجلها
يامن رأى في الدروب شامخة دون لقاء الحبيب أطولها
ياأيها الراكبان هل لكما في حمل نجوى يخف محملها
[قولا لها إن وعت كلامكما وان ذكرى لها ليذهلها]
ياأمتا هذه منازلنا نتركها تارةً وننزلها
ومنها : ياسيداً ما تُعد مكرمةٌ إلا وفي راحتيك أكملها
ليست تنال القيود من قدمي وفي اتباعي رضاك أحملها
لا تتيمم والماء تدركه غيرك يرضى الصغرى ويقبلها
أنت سماءٌ ونحن أنجمها أنت بلادٌ ونحن أجبلها
أنت سحابٌ ونحن وابله أنت يمينٌ ونحن أشملها(١)
بأي عذرٍ رددت والهةً عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح ردّ واحدها ينتظر الناس كيف تقفلها(٢)

---

١ أشمل جمع شمال ٢ تمتاح تطلب وتقفل من القفول وهو الرجوع

تلك العقود التي عقدت لنا ... كيف وقداً حكمت تحللها
أرحامنا منك لم تقطعها ... ولم تزل دائبا توصلها
سمحت مني بمهجة كرمت ... أنت على يأسها مؤملها
ان كنت لم تبذل الفداء لها ... فلم أزل في هواك أبذلها
تلك المودّات كيف تهملها ... تلك المواعيد كيف تغفلها
أينَ المعالى التي عرفتَ بها ... تقولها دائباً وتفعلها
ياواسعَ الدار كيف توسعها ... ونحن في صخرة نزلزلها(١)
يا ناعمَ الثوب كيف تبدله ... ثيابنا الصوف ما نبدّلها !
يا راكبَ الخيل لو بصرت بنا ... نحمل أقيادَنا وننقلها(٢)
رأيت في الضرّ أوجها كرمت ... فارق فيك الجمالُ أجملَها
قد أثر الدهر في محاسنها ... تعرفها تارةً وتجهلها
لا يفتح الناس بابَ مكرمة ... صاحبها المستغاث يقفلها
أينبرى دونك الكرام لها ... وأنت قمقامها وأجملها
وأنت إن عزّ حادث جلل ... قُلَّبها المرتجى وحُوّلها(٣)
منك تردّى(٤) بالفضل أفضلها ... منك أفادَ النوال أنولها
فإن سألنا سواك عارفةً ... فبعدَ قطع الرجاء نسألها
لم يبق في الناس أمةٌ عرفت ... إلا وفضل الامير يشملها
نحن أحق الورى برأفته ... فأين عنا وكيف معدِلها
يامنفق المال لا يريد به ... إلا المعالي التى يؤثّلها(٥)
أصبحت تشرى مكارماً فضلا ... فداؤنا ماعلمت أفضلها
لا يقبل الله قبل فرضك ذا ... نافلة عنده تنقلها

---

١ زلزل الصخرة قطعها ٢ الاقياد جمع قيد ٣ القلب الحول البصير بالامور المحتال لها
٤ تردى لبس ٥ اثل المعالى بناها ونماها

وكتب الى أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة :

ياسيديّ أراكما لاتذكران أخاكما
أوَجدتما بدلا به يبني سماء علاكما
أوَجدتما بدلا به يفرى(١) نحورعداكما
من ذا يعاب بما لقيـ ـت من الورى إلا كما
لاتقعدا بي بعدها وسلا الأمير أباكما
وخذافداي جعلت من ريب المنون فداكما

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنبج

قف في رسوم المستجا ب وناد أكناف المصلى(٢)
تلك المنازل والملا عب لاأراها الله محلا(٣)
أوطنتها زمن الصبا وجعلت منبج لي محلا
حيث التفتّ رأيت ما ء سائحا وسكنت ظلا
والماء يفصل بين زهر الرّوض في الشطين فصلا
كبساط وشي جرّدت أيدى القيون عليه نصلا(٤)
من كان سرّ بما عرا ني فليمتْ ضُرًّا وهزلا
ماغضّ مني حادثٌ والقرم قرمٌ حيث حلاّ
أنّى حللت فإنما يدعونني السيفَ المحلّى
ولئن خلصت فانني شَرَق العدا طفلاوكهلا(٥)
ما كنت إلاّ السيف زا دَ على صروف الدهر صقلا(٦)
ولئن قتلتُ فإنما موتُ الكرام الصّيدِ قتلا

---

١ فرى النحر شقه ٢ المستجاب والمصلى مكانان ٣ المحل الجدب ٤ القيون جمع قين وهو الحداد ٥ شرق العدا لانهم يغصون برؤيته ٦ الصقل الجلاء

يغترُّ بالدُّنيا الجهو لُ وليس بالدنيا مملَّى (١)

وقال من قصيدة :

أراكَ عصىَّ الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهىٌ عليك ولا أمرُ
بلي أنا مشتاق وعندىَ لوعة ولكنَّ مثلي لايذاع له سرُّ
إذا الليل أضوى (٢) بي بسطت يدَ الرجا وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصبابةُ والفكرُ

ومنها:

وإني لجرّار لكلِّ كتيبة معوّدةٍ أن لا يُخلّ بها النصرُ
وأصدأحتى ترتوي البيضُ والقنا وأسغبحتى يشبعَ الذئبُ والنسر (٣)

ومنها :

أُسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهرٌ ولا ربهُ غمر
ولكن إذا حُمَّ القضاءُ على امرىءٍ فليس له برٌّ يقيه ولا بحر
وقال أُصيحابي الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما مرٌّ
ولكنني أمضى لما لايعيبني وحسبك من أمرين خيرهما الأَسر
ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوأته (٤) عمرو

وكتب إلى سيف الدولة قصيدةً منها :

مالي جزعت من الخطوب وإنما أخذَ الالهُ لبعض ما أعطاني
إن لم تكن طالت سنيَّ فإن لي رأىَ الكهول ونجدةَ الشبان
قَمن بما سرَّ الأعادي موقفي والدهر برّز لى مع الأقران
يادهرُ خنتَ مع الأصادق خلقي وغدرتَ بي في جملة الإخوان

---

١ المملى الممدود في عمره ٢ أضوى الليل طرق ٣ الصدي العطش والسغب الجوع
٤ المهر ولد الفرس والغمر الذى لم يجرب الامور ٥ السوأة العورة

لكنّ سيفَ الدولة المولى الذى   لم أنسهُ وأراهُ لا ينساني
أيضيعني من لم يزل لى حافظا   كَرَماً ويخفضني الذى أعلاني
إني أغار على مكاني أن أرى   فيه رجالا لاتسدُّ مكاني

وقال من قصيدة :

يعزُّ على الأحبة بالشآم   حبيبٌ بات ممنوع المنام
وإني للصبورُ على الرزايا   ولكنّ الكِلام على الكِلام (١)
جروحٌ ما يزلنَ يردن مني   على جرح قريب العهد دامي
تأملني الدمستق إذ رآني   فأبصر صيغة الليث الهمام
أتنكرني كأنك لست تدرى   بأني ذلك البطل المحامي
فلا هنئتها نعمى بأخذى   ولا وُصلت سعودُك بالتمام
أما من أعجب الأشياء عِلج (٢)   يعرّفني الحلال من الحرام
وتكنُفهُ بطارقة تيوس   تبارى بالعثانين (٣) الضخام
لهم خُلقُ الحمير فلستَ تلقى   فتى منهم يسير بلا حِزام
يُريغونَ (٤) العيوب وأعجزتهم   وأيُّ العيب يوجد في الحسام
ثناءٌ طيب لا خلف فيه   وآثار كآثار الغمام
إلام على التعرُّض للمنايا   ولى سمع أصمُّ عن الملام
بنو الدنيا إذا ماتوا سواء   ولو عمر المعمّر ألفَ عام
ألا يا صاحبيَّ تذكراني   إذا ما شمتما البرقَ الشآمي (٥)
إذا ما لاحَ لي لمعانُ برْقٍ   بعثت إلى الأحبة بالسلام

وكتب اليهِ ابنُ الأسمر يوصيه بالصبر فأجابهُ :

ندبت لحسن الصبر قلبَ نجيب   وناديت بالتسليم خيرَ مجيب

---

١ الكِلام جمع كلم وهو الجرح ٢ العلج الرجل من كفار العجم ٣ العثانين جمع وهو اللحية ومافضل منها بعد العارضين ٤ يريغ العيب يطلبه ٥ شام البرق لمحه ورآه

ولم يبق مني غيرُ قلب مشيَّع (١) وعودٍ علي ناب الزمان صليب
وقد علمت أمي بأن منيتي بحدِّ حسام أو بحدِّ قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها بمهلكه في الماء أمُّ شبيب

كانت أم شبيب رأت في منامها وهي حبلى كأن ناراً خرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في الماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعي إليها لم تصدق حتى قيل إنه قد غرق في الماء فأقامت المناحة .

تجشمتُ خوفَ العار أعظمَ خطة وأملتُ نصراً كان غيرَ قريب
وللعار خلَّى ربُّ غسانَ ملكهُ وفارقَ دينَ الله غيرَ مصيب
ولم يرتغب في العيش عيسى بنُ مصعب ولا خف خوف بالحزون خبيب (٢)

وأحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال لهُ الدمستق إنما أنتم كتّاب ولا تعرفون الحرب ، فقال لهُ أبو فراس نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام؟ ثم قال :

أتزعم يا ضخمَ اللغاديد (٣) أننا ونحن أسودُ الحرب لانعرف الحربا
فويلك من للحرب ان لم نكن لها ومن ذا الذى يضحي ويمسي لها تربا
[ومن ذا يكف الجيش من جنباته ومن ذا يقود العين أو يصدم القلبا]
وويلك من أردى أخاك بمرعش وجلل ضربا وجهَ والدكِ العضبا (٤)
[وويلك من خلي ابن أختك موثقاً وخلاّكَ باللُّقان تبتدر الشعبا (٥)
أتوعدنا بالحرب حتى كأننا وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا]
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسدا وكنتَ بها كلبا
[فسل برد، سل عنا أباك وصهره وسل أهل بردا ليس أعظمهم خطبا

١ المشيع الشجاع القوى ٢ في الديوان ولاحب خوف بالحروب حبيب
٣ اللغاديد جمع لغد وهى ما أطاف باقصى الفم أي الحلق ٤ العضب السيف
٥ اللقان اسم بلد رموقعة والشعب الجبل

وسل قرتاشا والشمقمق صهره وسل سبطه البطريق اثبتهم قلبا
وسل صيدكم آل الملايين اننا نهبنا ببيض الهند عرضهم نهبا
وسل أهل بهرام وأهل بلنطس وسل آل شنوان الخناجرة الغلبا
وسل بالبطرصيس العساكر كلها وسل بالمسيطرناطس الروم والعربا
ألم تكفهم قتلا ونهبا سيوفنا وأسد الشرى الملأى وان جمدت رعبا]
بأقلامنا أجحرت(١) أم بسيوفنا وأسد الشرى قدنا اليك أم الكتبا
تفاخرنا بالضرب والطعن والقنا لقدأوسعتك النفس يا ابن استها كذبا
رعى الله أوفانا — إذا قال — ذمةً وأنفذنا طعنا وأثبتنا ضربا

وقال من قصيدة :

خليليّ ما أعددتما لمتيم أسير لدى الأعداء جافي المراقد
فريد عن الأحباب لكن دموعه مثانٍ علي الخدّين غير فرائد
جمعت سيوف الهند من كل وجهة وأعددت للأعداء كل مجالد
إذا كان غيرُ الله للمرء عدّةً أتته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة وكان يراها عدّة للشدائد(٢)
[وجرت منايا مالك بن نويرة عقيلته الحسناء أيام خالد]
وأردى ذُوأبا في بيوت عتيبة بنوه وأهلوه بشدْو(٣) القصائد

ولما خفف عن أبي فراس ورفه ، ونوظر في أمر الهدنة والأسارى ، وأجيب إلى ملتمسه بعد أن أكرم وبجل قال :

ولله عندى في الإسار وغيره مواهب لم يُخصص بها أحد قبلي
حللت عقوداً أعجز الناس حلها ومازلت لاعقدى يذم ولاحلي
إذا عاينتني الرومُ قدذل صيدها كأنهم أسرى يدى بلا كبل(٤)

١ أجحر دخل الجحر ٢ الحنفاء القوس ٣ الشدو انشاد الشعر والتغنى به
٤ الصيد جمع أصيد وهو الملك والكبل القيد

وأوسع أياما حللت كرامة ... كأنى من أهلي نقلت إلى أهلي
فأبلغ بنى عمي وأبلغ بني أبى ... بأنى فى نعماءَ يشكرها مثلي
وما شاءَ ربى غيرَ نشرِ محاسني ... وأن يعرفوا ما قدعرفتم من الفضل

ما أخرج من مزدوجته الطردية

ما العمرُ ما طالت به الدهور ... العمرُ ما تم به السرور
أيام عزى ونفاذ امرى ... هى التى أحسبها من عمري
[ما أجورَ الدهر على بنيه ... وأغدرَ الدهر بمن يصفيه]
لو شئت مما قد قَللنَ جدّا ... عددت أيام السرور عدّا
أنعتُ يوما مرَّ لى بالشام ... ألذّ ما مرّ من الايام
دعوت بالصقَّار ذات يوم ... عند انتباهى سحرا من نومى
قلت لهُ اختر سبعة كبارا ... كلٌّ نجيب يرد الغبارا
يكون للأرنب منها اثنان ... وخمسه تفرد للغزلان
واجعل كلاب الصيد نوبتين ... يرسل منها اثنان بعد اثنين
ثم تقدمت الى الفهّاد ... والبازيارين[1] بالاستعداد
وقلت إنَّ خمسة لتقنع ... والزرَّقان الفرخ والملمّع
وأنت ياطباخ لا تباطا ... عجل لنا اللفاتَ والاوساطا
وياشرابيُّ البلقسيات ... تكون للراح ميسرات
بالله لا تستصحبوا ثقيلا ... واجتنبوا الكثرة والفضولا
ردُّوا فلانا وخذوا فلانا ... وضمنونى صيدَ كم ضمانا
فاخترت لما وقفوا طويلا ... عِشرين أو فُوَيقها قليلا
عصابةٌ أكرم بها عصابه ... معروفة بالفضل والنجابه
ثم قصدنا صيد عين باصر[2] ... مظنةَ الصيد لكلٍّ خابر

---

١ البازيارين جمع بازيار وهو لفظ فارسى معناه حامل الباز ٢ عين باصر مكان

جئناهُ والشمسُ قبيل المغرب   تختال في ثوب الأصيل المذهب
وأخذ الدُّراج في الصياح   مكتنفا من سائر النواحي
في غفـلة عنا وفي ضلال   ونحن قد زرناهُ بالآجال
يطرَبُ للصبح وليس يدرى   أن المنايا فى طلوع الفجر
حتى إذا أحسستُ بالصباح   ناديتهم حيَّ على الفلاح
نحن نصلى والبُزاةُ تخرج   مجرَّداتٍ والخيولُ تُسْرج
وقلت للفهّاد إمض وانفرد   وصح بنا إن عن ظبي واجتهد
فلم يزل غير بعيـد عنـا   اليـه يمضي ما يفرُّ منـا
وسرت في صفٍّ من الرجال   كأنما نزحف للقتال
فما استوينا كلنـا حتى وقف   غليم كان قريبـاً من شرف
ثم أتانى عجلا قال السبق   فقلت إن كان العيان قد صدق
سرت اليه فأرانى جاثمه   ظننتها يقظى وكانت نائمه
[ثم أخذت نبلة كانت معى   ودرت دورين ولم أوسع]
حتى تمكنت فلم أخط الطلب   لـكل حتف سبب من السبب

ومنها : ثم دعوت القوم هذا بازي   فأيكم ينشط للبراز
فقال منهم رشأ أنا أنا   ولو درى ما بيدى لأذعنا

ومنها : جئت بباز حسن وَهَبْرج   دون العقاب وفويق الزُّمّج[1]
زين لرائيه وفوق الزين   ينظر من نارين فى غارين
كأن فوق صدره والهادي[2]   آثار مشى الـذّر في الرماد
[ذي منسر فخم وعين غائره   وأفخـذ مثـل الجبـال وافره

١ الهبرج السمين وقد جاء في ط اصبهرج ولعلها مبهرج وفى الديوان هرج والزمج طائر
٢ الهادى العنق

ضخم قريب الدستبان جداً　　يلقى الذي يحمل منه كدّا
وراحة تحمل كفي بسطة　　زادت على قدر البزاة بسطة]
سُرّ وقال هاتِ قلت مهلا　　احلفْ على الردّ فقال كلا
أما يمينى فهي عندى غاليه　　وكلمتى مثل يمينى وافيه
فقلتُ خذه هِبةً بقبله　　فصدّ عنى وعلته خجله
ثم ندمت غايةَ الندامه　　ولمتُ نفسى أكثرَ الملامه
على مزاحى والرّجال حضّر　　وهو يزيد خجلا ويحصر (١)
فلم أزل أمسحه حتى انبسط　　وهشّ للصيد قليلا ونشط

ومنها في وصف البازى واستيلائه علي الكركى

حتى اذا جندله كالعندل (٢)　　ايقنت ان العظم غير الفضل
صحت الى الطباخ ماذا تنتظر　　أنزل عن المهروهات ماحضر
جاء بأوساط وجردباج　　من حجل الطير ومن دُراج
فما تنازلنا عن الخيول　　يمنعنا الحرص من النزول
وجيء بالكاس وبالشراب　　فقلت وفرها على أصحابى
أشبعنى اليومَ وروانى الفرح　　فقد كفانى بعض وسط وقدح

ومنها : ثم انصرفنا والبغال موقره (٣)　　فى ليلة مثل الصباح مسفره
حتي أتينا رحلنا بليل　　وقد سُبقنا بجياد الخيل
ثم نزلنا فطرحنا الصيدا　　لما عددنا مائة وزَيدا
فلم نزل نشوى ونقلي ونُصب　　حتى طلبنا صاحيا فلم نُصب
شرباً كما عنّ من الزّقاق　　بغير ترتيب وغير ساقى
ولم نزل سبعَ ليال عددا　　أسعدَ من راحَ وأحظى من غدا

---

١ الحصر العى فى المنطق ٢ العندل الناقة العظيمة ٣ الموقرة المحملة

وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمذانى قال قال الصاحب أبو القاسم يوما لجلسائه وأنا فيهم ـ وقدجرى ذكر أبي فراس ـ لايقدر أحد أن يزوّر على أبي فراس شعراً فقلت ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول :

رُويدكَ لاتصل يدَها بباعكْ ولاتغر السباع الى رباعك
ولا تعنِ العدوّ علي إني يمين ان قطعتَ فمن ذراعك

فقال الصاحب صدقت ، قلتُ أيد الله مولانا قدفعلتُ ولعمرى انه قد أحسن ولكن لم يشق غبار أبي فراس :

وكتب على ظهر الجزء المشتمل علي مزدوجته التى أولها

ما العمر ماطالت بهِ الدهور العمر ماتم به السرور

هذه الابيات

أُروِّح القلبَ ببعض الهزل تجاهلا منى بغير جهلِ
أمزحُ فيه مزحَ أهل الفضل والمزحُ أحيانا جِلاءُ العقل

فصـــل

قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها ؛ ولاسيما الروميات التى رمى بها هدف الإحسان ، وأصاب شاكلة الصواب، ولعمرى انهـا كما قرأته لبعض البلغاء لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، أو استدعى به الطير نزلت.

ولما خرج قمر الفضل من سراره[1] وأطلق أسد الحرب عن إساره لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافى عن مهجته . ودلت قصيدة قرأتها لأبي اسحق الصابى في مرثيتـه على أنه قتل في وقعـة كانت بينه وبين بعض موالي أسرته ، وماأحسن وأصدق قول المتنبي :

١ السرار آخر ليلة من الشهر

فلا تنلكَ الليالي ان أيديها اذا ضربن كسرن النبعَ بالغرَب(١)
ولا يعنّ عدوًّا أنت قاهره فإنهن يصدن الصقر بالخَرَب(٢)

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لابى فراس قوله عند موته رحمه الله تعالى

أبنيتى لا تجزعي كلٌّ الانام إلى ذهاب
نوحي عليّ بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي اذا كلمتنى فعييت عن ردّ الجواب
زين الشباب أبو فِرا س لم يمتع بالشباب

اللهم ارحم تلك الروح الشريفة

الباب الرابع

فى ملح شعر آل حمدان وغيرهم من امراء الشام وقضاتها وكتابها

أخبرنى جماعة من أهل الادب أن المتنبى لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال : قد تجوزت فى قولي ، وأعفيت طبعى ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان ، وفيهم من يقول :

وقد علمت بما لاقته منا قبائل يعرُب وبنو نزار
لقيناهم بأرماح طوال تبشرهم بأعمارٍ قِصار

يعني أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، ومنهم من يقول يعني أبا العشائر :

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي والخيل من تحت الفوارس تنحط(٣)
لقرأتَ منها ماتخط يدُ الوغى والبيض تشكل والأسنة تنقط

---

١ النبع شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال والغرب نبت ضعيف ينبت على الانهار
٢ الخرب ذكر الحبارى يريد انهن يصدن القوى بالضعيف ٣ النحوط الزفير

وانشدني ابو بكر الخوارزمي لبعضهم :

أغمامُ ما يدريك ما أفعالنا   والخيل تحت النقع كالأشباح
تطفو وترسب في الدماء كأنها   صورُ الفوارس في كؤوس الراح

وأنشدت لأبي العشائر :

سطا علينا ومَن حاز الجمال سطا   ظبيٌ من الجنة الفردَوْس قد هبطا
لهُ عذارانِ قد خطا بوجنته   فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا
وظلَّ يخطو فكلٌّ قال من شغف   ياليتهُ في سواد الناظرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه فقلت لهُ مايجد الأمير فأشار إلي غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن رضوانَ غفل عنه فأبق من الجنة وأنشد :

أسقمَ هذا الغلام جسمي   بما بعينيه من سقام
فتورُ عينيه من دلال   أهدى فتورا الي عظامي
وامتزجت روحه بروحي   تمازُجَ الماء بالمدام

وكان أبو الحسن الماسَرجي ينشد في تدريسهِ مسألة « الحرّ لايقتل بالعبد » هذين البيتين وهما لبعض آل حمدان

خذوا بدمي هذا الغزالَ فإنهُ   رماني بسهميْ مقلتيهِ على عمد
ولا تقتلوهُ إنني أنا عبده   ولم أرَ حرّا قط يقتل بالعبد

وانشدت لبعضهم وهو أحسن ما سمعت في معناه

للعبدِ مسألةٌ لديك جوابها   إن كنت تذكرهُ فهذا وقته
ما بالُ ريقك ليس ملحا طعمهُ   ويزيدني عطشاً إذا ما ذقتهُ !

ووجدت بخط ابي بكر الخوارَزمي هذه الأبيات منسوبة إلي أبي وائل تغلب

ابن داود بن حمدان ، ورُوي لغيره

لا والذى جعل الموا لىَ فى الهوى خدَمَ العبيد
وأصار في أيدي الظِّبا ءِ قِيادَ أعناق الأُسود
وأقام ألوية المنيــة بين أفنية الصدود
ما الوردُ أحسن منظراً من حُسن توريد الخدود

ووجدت بخطهِ لحمدان الموصلى

يا رسولَ الحبيب ويحك قد ألقى عليكَ الحبيبُ حسناً وطيبا
وتعلمتَ حسنَ ألفاظه تِلـ ك فظرفت بادِياً ومجيبا
ولقد كدتُ أن أضمك لولا أن يسيءَ الظنونَ أو يستريبا
خيفةً أن يكون ذاكَ كما قيـ ل قديما صارَ الرسول حبيبا

ولابي وائل الحمدانى لما أسرهُ المبرقع

ياخليليّ أسعدانى فقد عيـ ل اصطباري على احتمال البليّه
غربة قارظيــة [1] وغــرام عــامري ومحنــة علويَّة

ولأبي زهير وهوَ مما يتغنى به

وزعمتَ أنى ظالم فهجرتنى ورميتَ في قلبي بسهم نافذِ
فنعم ظلمتكَ فاغتفرلي زلتى هذا مقامُ المستجير العائذ

وأنشدني الأمير أبوالفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى هذه الابيات ولم يسمّ قائلا ، ثم وجدتها في بعض التعليقات منسوبة إلى بعض آل حمدان

أجِلْ عينيك في عيني تجدْها مشرَّبة ندى وَردِ الخدود
وصافحني تجد عبقاً بكفي يضوعُ اليك من ردع النهود[2]
وخذ سمعي اليك فان فيهِ بقايا من حديثٍ كالعقود

---

١ يشير الى المثل المعروف حتى يؤوب القارظان ٢ العبق الطيب والردغ اثر الطيب

وأنشدنى أبو الحسن محمد بن أبى موسى الكرخى قال أنشدنى القاضى أبو القاسم على ابن المحسن بن القاضى أبى القاسم التنوخى قال أنشدنى أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبى محمد لنفسه تغمدهم الله تعالى برحمته واسكنهم بحبوحة جنته

إنى لاحسدُ لا في أسطر الصحف إذا رأيت اعتناقَ اللام للألف
وما أظنهما طالَ اجتماعهما . الا لما لقيا من شدّة الشغف

قال وأنشدنى أيضا لنفسه

أفدى الذى زرتهُ بالسيف مشتملا ولحظُ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعتُ نجادى في العناق لهُ حتى لبست نجاداً من ذوائبه (١)
فكان أنعمنا عيشاً بصاحبه من كان في الحب أشقانا بصاحبه

قال وأنشدنى أيضا لنفسه

قالت لطيف خيالٍ زارَها ومضى بالله صفهُ ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفتهُ لو مات من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا فى الحبّ عادته يا بردَ ذاك الذى قالت على كبدى

وأنشدنى أيضا قال أنشدنى لنفسه في جارية كانت معاجزها تبلى بسرعة

أرى الثياب من الكتّان يلمحها ضوءٌ من البدر أحيانا فيبليها
وكيف تنكرُ أن تبلى معاجزُها والبدرُ في كل حين طالعٌ فيها

وقد أحسن غاية الاحسان والعرب تزعم أن البدر يبلي الثياب الحلوة وقوله :

أيا منْ صبرتُ على فقده وان كان لى مؤلما موجعا
لقد نال كلّ الذي يشتهى حسودٌ علينا ببَيْنٍ دعا

وأنشدنى أيضا للحسين بن ناصر الدولة :

لو كنتُ أملكُ طرفي مانظرتُ به من بعد فرقتكم يوماً إلي أحد

---

١ النجاد حمائل السيف والذوائب جمع ذؤابة وهى شعر الناصية

ولستُ أعتدُّه من بعدكم نظراً ... لأنهُ نظرٌ من مقلتي رمدِ

منصور واحمد أبناء كيغلغ

أديبان شاعران من أولاد أمراء الشام فمن مشهور ملح منصور قوله :

خنتُ الذي أهوى من الناس ... ونمتُ عن جودي وعن باسي

يومَ أرى الدجن فلا أرتوي ... من ريق إلفي ومن الكاس

وقوله : كأنها والقُرْط في أُذنها ... بدر الدجى قرّط المشتري

قد كتبَ الحسن على وجهها ... ياأعينَ الناس قفي وانظري

وقوله من أبيات

يديرُ في كفهِ مداما ... ألذُّ من غفلة الرقيب

كأنها إذ صفت ورقت ... شكوى محبٍّ إلى حبيب

وقوله :

عادَ الزمانُ بمن هويتُ فأعتبا ... ياصاحبيَّ فسقياني واشربا

كم ليلة سامرتُ فيها بدرَها ... من فوقِ دِجلة قبل أن يتغيبا

قامَ الغلام يديرُها في كفه ... فحسبتُ بدرَ التمِّ يحملُ كوكبا

والبدرُ يجنح للغروب كأنه ... قد سلَّ فوقَ الماءِ سيفاً مذهبا

وقد أكثروا في وصف القمر على الماء وبيت منصور هذا من غرر ذلك وأحسن ماسمعت فيه على كثرته قول القاضي التنوخي

أحسن بدجلة والدجى متصوّب ... والبدر في أفق السماء مغرّب

فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ ... وكأنه فيها طِرازٌ مذهّب

وقول أبي الفتح كُشاجم:

مازلت أُسقاها على ... وجه غزال مونق

بقمرٍ منتقبٍ بخاتم منتطق
والبدر فوقَ دِجلة والصبح لما يشْرِق
كحليةٍ من ذهبٍ على رداءٍ أزرق

ومن ملح منصور قوله :

كتبت إليك بماء الجفو ن وقلبي بماء الهوي مشْرَب
فكفي تخطُّ وقلبي يـ ل وعيني تمحو الذى تكتب

وقوله ألبسني ذلةَ العبيدِ من قلبه صِيغَ منْ حديدِ
ونمّ طرْفي بما أُلاقي مِن كمدٍ دائِم المزيدِ
وكيفَ يخْفي الهوَى عَميد ودمعه صاحب البريد

وقوله :

قالوا عليك سبيلَ الصبر قلت لهم هيهات ان سبيل الصبر قد ضاقا
مايَرْجع الطرف عنه حينَ يبصره حتى يعودَ اليهِ القلب مشتاقا

ولاحمد :

لايكن للكأس في كفك يوم الغيث لبث
أو ما تعلم أنّ الـ غيثَ ساقٍ مستحث

وله: ولولا أن برْذَوْن الْـ هوي يمْتلف الرّطبه
ركبناه الى الصيد وأرسلنا له كلبه
فصيدْنا ثعلب الهجرا ن تلكَ الخبةَ الضبه
وصيرنا لزيت الوصـ ل من جلد استها ربه

وله ويروى لديك الجن

قلت له والجفون قرحى قد أقْرَحَ الدّمْع مايليها

مالِيَ في لوعتي شبيهٌ ... قال وأبصرتَ لي شبيها ؟ !

وله : بدت من خلل الحجبِ ... كمثل اللؤلؤِ الرَّطب
فأدمى خـدُّها لحظي ... وأدمى لحظُـها قلـبي

وله : واعطشي إلى فم ... يمج خمراً من بَرَدْ
انْ قسم الناس فحسـ ... ـبي بكَ من كلِّ أحد

أبو محمد جعفر وابو احمد عبد الله ابناء ورقاء الشيباني

من رؤساء عرب الشام وقوادِها ، والمختصين بسيف الدولة . ومامنهما إلاَّ أديب شاعر جوادممدّح ، وبينهما وبين أبي فراس مجاوَبات واليهما أرسل أبو فراس يقول من قصيدة :

أتاني عن بني وَرْقاءَ قول ... أَلذُّ جَنًى من الماء القراح
وأطيبُ من نسيم الروض حفت ... به اللّـذّاتُ من رَوْح وراح
ولو أني اقترحتُ على زماني ... لـكنتم يا بني ورقا اقتراحي

ولأبي أحمد في جوابها من قصيدة أولها

أصاح قلبهُ أمْ غيرُ صاحي ... وقدعنّـت له عُفْـرُ البطاح
ظباءُ الوَحش تحكي ماثلات ... ظباءَ الإِنس بالصُّـوَرِ الملاح

ومنها : يُدِرنَ مِراضَ أجفانٍ صحاح ... فياعجبي من المرْضي الصحاح
ومازالتْ عيونُ العينِ فينا ... تؤثر فوْق تأثير السـلاح

ومنها : أمُطلعةَ الهلال على قضيبٍ ... ومسدِلةَ الظلام على الصباح!
عدتني عن زيارتكِ العوادي ... ودهرٌ للأَكارم ذو اطراح !

ومنها : أمِدْره تغلبٍ لسَنا وعلما ... ومصقع نطقهاعند التلاحي [1]

١ اللسن بالتحريك الفصاحة والمصقع البليغ والعالي الصوت • والتلاحي الخصام

لقد أوتيتَ علما واضطلاعا بآداب وألفاظٍ فصاح
لِقَوْلكَ المَضاءُ إذا انتضاهُ الـ ـقصيدُ على المهنَّدة الصِّفاح

ولهُ من قصيدة

ألا ليتَ شِعْري والحوادثُ جَمَّةٌ وما كنتُ فى دهري إلى الناس شاكيا
أمخترمي ريبُ المنون بحسرةٍ تبلغُ نفسى مِنْ شجاها التراقيا؟ (١)
إلى الله أشكو إنّ فى الصدر حاجةً تمرُّ بها الأيَّام وهى كما هيا

ومنها فى ذكر بنى كعب وإيحاشهم سيف الدولة حتى أضرَّ بهم

وإنهمُ لما استهاجوا صيالهُ وما كانَ عن مستوْجبِ البطش وانيا (٢)
كمن شبَّ ناراً فى شعار ثيابهِ وهيج ليثاً للفريسة ضاريا

ولهُ من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبى فراس التى أولها

(لعلَّ خيالَ العامرية زائر)

عمرن بعمّار من الإنس برهة فهاهن صفرٌ ليس فيهنّ صافر (٣)
أخلّت بمغناها دُمىً وخرائد وحلت بأقصاها مَهاً وجآذر (٤)
أهنّ عيون باللحاظ دوائر على عاشقيها أم سيوفٌ بواتر؟
ضعائف يقهرن الأشدّاءَ قدرة عليهم وسلطان الصبابة قاهر
ومنها: الا يا ابن عمّ يستزيد ابنَ عمه رويدكَ إنى لانبساطكَ شاكر
تصفحت ما أنفذته فوجدته كما استودعتْ نظمَ العقودِ الجواهر
وذكرنى رَوْضاً بكته سماؤه فضاحكه مستأسد وهو زاهر
عرائس يجلوها عليك خدورها ولكنها تلك الخدور دفاتر

١ الاخترام الموت والشجى الحزن ٢ الوانى: المتباطىء ٣ الصفر الخلو والصافر كل ذى صوت من الطير ٤ الدمى جمع دمية وهى الصورة المنقشة من الرخام

فعدْلاً فإنّ العدلَ في الحكم سيرة   بها سار في الناس الملوك الأَساور (١)

ولما قال أبو فراس :

إنا إذا اشتدّ الزما   ن وناب خطبٌ وادلهمّ

من أبيات قد مرت أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من أبيات :

أنتم كما قد قلت بلْ   أعلى وأشرف ياابن عمْ
ولكم سوابقُ كلِّ فخـرٍ   واللواحقُ من أمم
احسنتَ والله العظيمِ   نظامَ بيتك حين تم
فيما ذكرت من السيو   ف وما ذكرتَ من النعم
حتى كأنّ بنظمه   للحسن دراً منتظم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة الى أبي إسحاق الصابي ، وكانت بينهما مودة وتزاوُر فانقطع عنه ابو أسحاق لبعض العوائق !

ياذا الذى جعل القطيعة دأبهُ   إن القطيعة موضع للريب
ان كان وُدُّك في الطويّةِ كامنا   فاطلب صديقا عالِماً بالغيب !

فاجابه ابو اسحاق بهذه الابيات

قد يهجر الخلُّ السليمُ الغيب   للشغل وهو مبرّأٌ من ريب
ويواصِل الرجل المنافق مبدياً   لكَ ظاهراً مستبطنا للعيب
لا تفرحنّ من الصديق بشاهدٍ   حتى يكون موافقاً للغيب
وتأمل المسودّ من شَعر الفتى   أهو الشبيبة أم خضاب الشيب؟
واذا ظفرت بذى ودادٍ خالص   فاغفر له مادون غش الجيب

وكتب أبو اسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها :

ومشمولة صرفٍ صَرفت بشربها   وجوه لحاتي قاطبات الحواجب (٢)

---

١ الأَساورة قوم من العجم نزلوا البصرة كالاحامرة   ٢ اللاحى اللائم

اذا جال فيها المزج خلت حبابها عيون الأفاعى أو قرونَ الجنادب
وعاذلة فى بذل ما ملكت يدى رددت لها المسعى بصفقة خائب
فانّ زئيرَ الأسد من كلّ جانب ليشغل سمعى عن صياح الثعالب
أفي الحقّ أن قايستَ غيرَ محقق فظاظةَ جندى الى ظَرْف كاتب
ولا سيما أنت الذى نشرت له محاسن كالاعلام فوق المراقب[1]
وما زلت بين الناس صدر محافل وعين مقامات وقلبَ مواكب

وكتب اليه ابو احمد قصيدة منها

ياهلالا يُدعى أبوه هلالا جلّ باريك في الورى وتعالى
أنت بدرٌ حسناً وشمسٌ علوّا وحسامٌ عزماً وبحرٌ نوالا

ابو حصين على بن عبد الملك الرقى القاضى بحلب

هو الذى يقول فيه السرى الموصلى من قصيدة

لقد أضحت خلال أبى حصين حصونا في الملمات الصعاب
كسانى ظلُّ وابله وآوى غرائبَ منطقى بعد اغتراب
وكنتُ كروضة سقيتُ سحابا فأثنت بالنسيم على السحاب

وكتب اليه أبو فراس وقد عزم على المسير إلى الرّقة قصيدة افتتاحها :

ياطولَ شوقى إن كان الرحيل غدا لا فرق الله فيما بيننا أبدا

فأجابه القاضى بقصيدة أولها

الحمد لله حمداً دائماً أبداً أعطانىَ الدهرُ مالم يعطه أحدا

ومنها

ان كان ماقيل من سير الركاب غدا حقا فانى أرى وشك الحمام[2] غدا

---

١ المراقب جمع مرقب وهو مكان المراقبة ٢ الحمام الموت

ومنها في ذكر سيف الدولة

لولا الأمير وأن الفضل مبدؤهُ منهُ لقلت بأنَّ الفضل منك بدا
دام البقاءُ لهُ ماشاء مقتدرا تمضي أوامرهُ ان حلّ أو عقدا
يذل أعداءهُ عزًّا ويرفع مَنْ والاهُ فضلا ويبقى فى العلا أبدا

وكتب أبو حصين الى أبي فراس من قصيدة جوابا :

مَن واثبَ الدهرَ كان الدهرُ قاهرَه ومن شكا ظلمه قلَّت نواصره
ان كان سار فإن الروح تذكره والعين تبصرهُ والقلبَ حاضره
يامن أخالصهُ ودّى وأمحضهُ نصحي وتأتيه من وصفي جواهره
أتى كتابكَ والأنفاس خافتةٌ والجسم مستسلم والسقمُ قاهره
والطرف منكسرٌ والشوق طارقه والوجد باطنه والصبر ظاهره
فانتاشني وأعادَ الرُّوحَ في بدني وشدَّ صَدْعاً وكسراً أنت جابره
مازلت في نزهة منه وفي زهر وأحسنُ الروض مادامت زواهره
حسبي بسيدنا فخراً أصول به هو الفخور وما خَلق يفاخره
من ذا يطاوله أم من يماجده ؟ أم من يساجله(١) أم من يكاسره ؟
أم من يُفاقهه أم من يشاعره ؟ أم من يجادله أم من يناظره ؟
أم من يقاربه في كل مكرمة ؟ أم من يناضله أم من يساوره ؟(٢)
أم من يبارزه أم من يواقفه ؟ فى كل معترك أم من يصابره ؟
الحرب نزهته والبأس همته والسيف عزمتهُ والله ناصره
والجود لذته والشكر بغيته والعفو والعُرف والتقوى ذخائره

ومنها

هذا جواب عليلٍ لاحراك به قد خانه فهمه بل مات خاطره

١ المساجلة المفاخرة والمباراه ٢ المساورة المواثبة

يشكو اليك بعاداً عنك أتلفه   وطولَ شوق ونيرانا تخامره[1]
إن كان قصر فيا قال مجتهدا   فانت بالعدلِ والإحسانِ عاذرُه

وقال أيضا فيه :

آليتُ إنى ما بقيتُ رهينَ شكرِ الحارثِ
فإذا المنية شارفت[2] ورثتُ ذلكَ وارثى
رِقى له من بعد سيـ ـدنا وليس لثالث
قسما على صِدْقِ الضميرِ ولستُ فيهِ بحانث

ابو الفرج سلامة بن بحراحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجرى مع الماء لطافة وسلاسة كقول :

من سرَّه العيدُ فما سرنى   بل زاد فى همى وأشجانى
لأنه ذكرنى مامضى   من عهد أحبابى وإخوانى!

ونظيرهما لغيره :

من سره العيدُ الجديـ   ـدُ فما لقيت به سرورا
كانَ السرورُ يتمُّ لى   لو كان أحبابى حضورا

ولأبى الفرج و يروى للقاضى أبى النعمان البصرى :

نوْحُ حمامٍ بيثرب غرِد   هيَّج شوقى وزادَ فى كمدي
وا كبدى من عذابكم ! وكذا   من ذاقَ ماذقتُ صاحوا كبدى !
فارقت إلفى فصار فى بلد   بالرَّغم منى وصرتُ في بلد

وأنشدنى أبو على محمد بن عمر الزاهر . قال أنشدنى القاضى أبو الفرج

---

١ خامره خالطه   ٢ شارفت قاربت

بيروت عن نفسه :

مولايَ مالىَ منكَ بخت   قد ذبتُ من كمدٍ ومتُّ
تصفو بك الدنيا ولا   يصفو لعبدكَ منك وقت
مولاى ماذنبى اليـ   ـك فلو عرفتُ الذنبَ تبتُ
لا أننى أُنسيتكم   أو أننى للعهد خنت
إن كان ذاك فلا بقيـ   ـتُ وان بقيتُ فلا سلمتُ

ابو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب ، وحلبه الكتابة أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه في استغراق الأغراض ، وتحصيل المراد ، وقد ذكره أبو اسحاق الصابي في الكتاب التاجى ومدحه السري بقصائد منها قوله من قصيدة :

محت رسمَ الكرى عن مقلتيه   رواسمُ لا تملُّ من الرسيم (١)
تروم وقد فرعن بنا فروعا   من الفياض (٢) طيبة الأروم
اذا طافت بعبدِ الله لاقت   سمات المجد في الوجه الوسيم
لك القلم الذى يضحى ويمسي   به الإقليم محمىَّ الحريم
هو الصِّلُّ (٣) الذى لو عض صلا   لأسلمه الى ليل السليم (٤)
أخو حِكم اذا بدأت وعادت   حكمنَ بعجز لقمان الحكيم
ملكت خطامها فعلوت قُساً   برونقها وقيسَ بن الحطيم

١ يقال رسم الغيث الديار أى عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالأرض والرسيم نوع من السير للابل والرواسم الابل التى تسير هذا السير ٢ الفياض نهر والاروم جمع أرومة وهى الأصل ٣ الصل الحية ٤ والسليم الملدوغ

نجوم لا تغور فمن دراري | يُسار بضوئهنّ ومن رُجوم
كحلي الخَوْدمؤتلف النواحي | ووشي الروض مختلف الرقوم

وكان يعجن مداده بالمسك ، ولا تلاقُ [1] دواته الا بماء الورد تفاديا من قول القائل :

دعِيٌّ في الكتابة لا روى | له فيها يعدُّ ولا بديه
كأن دواته من ريق فيه | تُلاَق فريحها أبدا كريه

وإيثاراً لما قال الآخر :

في كفه مثل سنان الصَّعْدة | ارقش بزّ الأفعوان جلده [2]
كأنما النقشُ اذا استمده | غالية مدوفة [3] بنده

ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع في معناه أحسن منه :

قم فاسقني بين خَفْق الناي والعود | ولاتبع طيب موجودٍ بمفقود
كأساً اذ أبصرَتْ في القوم محتشما | قال السرورُ له قم غيرَ مطرود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا | نزوج ابنَ سحاب بنت عنقود [4]

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر قال أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في غلام له أثير لديه استوحش منه لميله الى غلام آخر يقال له اقبال :

أنكرت إقبالي على إقبال | وخشيت أن تتساويا في الحالِ
هيهات لاتجزع فكل طريقة | ربحٌ يهونُ وأنت رأس المالِ

قال وأنشدني فى لنفسه ذلك الغلام :

الآن تهجرني وأنتَ المذنب | وظننتَ أنك عاتبٌ لاتُعتب

---

١ الليقة قطعة من صوف أو غيره توضع فى الدواة ويصب عليها المداد
٢ الصعدة القناة المستوية والا نعوان الافعى ٣ المدوفة المسحوقة المخلوطة
٤ ابن السحاب الماء ، وبنت العنقود الخمر

وأمنتَ من قلبي التقلبَ واثقاً بوفائه لك والقلوب تقلّب

وقال :

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الكرام على الشراب

ولثمك وجنتيْ قمرٍ منيرٍ يجول بخدّه ماء الشباب

ابو القاسم الشيظمي

قال يصف نُمْرُقة رآها بجنب سيف الدولة :

نمرقة منها استعا ر الروض أصناف الملح (١)

فيها لمن يبصر من ريشِ الطواويس ملح

كأنما دارت على سمائها قوسُ قُزَح

ابو ذر استاذ سيف الدولة

قال : نفسى الفداء لمن عصيتُ عواذلى في حبه لم أخش من رُقبائه

الشمسُ تطلع في أسرّة وجهه والبدرُ يطلع من خلال قبائه

وله أيضا :

مروَّع منكَ كلَّ يوم محتمل فيك كلَّ لوم

ان كنت أنكرت ملك رقى غصباً سراحا بغير سوم

فقل لجنبيّ أين قلبي ؟ وقل لعينيّ اين يومي؟

ابو الفتح البكتمرى

يعرف بابن الكاتب الشامي ، له شعر يتغني بأكثره ملاحة ولطافة ، أنشدنى أبو بكر الخوارزمى قال أنشدنى ابن الكاتب لنفسه بالشام

---

١ النمرقة الوساده الصغيره

وروضةٍ راضية عن الديم وطأتها بناظرى دون القدم
وصنتها صونى بالشكر النعم

قال وأنشدنى لنفسه :

قالوا بكيتَ دما فقلـ ـت مسحت من خدي خَلوقا [1]
أبصرتُ لؤلؤَ ثغرِه فنثرتُ من جفنى عقيقا
لولا التمسكُ بالهوى لحُملتُ في دمعى غريقا

وأنشدنى غيره له

قمرٌ كأن قوامه من قدّ غصن مستَرَق
وكأنما اصطبح الربيـ ـع بوجنتيه واغتبق
وكأنما قلم الزمرّ د فوق عارضه مَشَق [2]

وله من أبيات

سقانى بعينيه كأْسَ الهوي وثنَّى وثلث بالحاجب
كأنّ العذار على خدّه فذلك من مشقة الكاتب

ووجدت على ظهر دفتر عراقى الخط هذين البيتين منسوبين إليه :

رُدّوا الهدو كما عهدت الى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكى رمتم أن تغدروا ما بعد فرقة بيّعين تخير

وله زعم في الميضأة

أحقّ بيت من بيوت الوري بصونه قِدما وإيثاره
بيتٌ إذا زاره زائر فقد قضى أعظم أوطاره
يدخلهُ المولى بخزٍّ كما يدخله العبد بأطماره
وهو إذا ما كان مستنظفا مروءة الإِنسان في داره

١ الخلوق الطيب ٢ المشق الخط

وأنشدنى أبو بكر الخوارزمي قال أنشدنى بعضهم لنفسه في أبي الفتح بن الكاتب ولم ينصف فضله

ان أبا الفتح فتى كاتبٌ والشعر من آلته فضلُ
أنشدَنا شعراً فقلنا له ذا غَزَلٌ ويحك أم غزْل؟
وملتُ عنه نحو أصحابنا أسألهم هل عندكم نعل ؟!

أبو الفرج الكاتب العجلي

أنشدنى أبو بكر الخوارزمى له أبياتا تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها وعذوبة ألفاظها ، وذكر أنه من أفراد مطبوعى تلك البلاد فمنها قوله

أقولُ له يامذِيقى الهوى ولم ألكُ فيما مضي ذقته
سألتكَ باللهِ لاتدْنني إلى أجلٍ مادنا وقته
ملكتَ فؤادِى فعذَّبتهُ ولو أنهُ في يدى صنتهُ

ومنها قوله

أرسلتُ نظرَة وامق[1] لك خائفٍ من عينِ واشٍ لحظه مايفتر
وجعلتُ أوهِمُ أنّ قلبى مضمر شيئا سوى نظري وأنت المضمر

ومنها قوله

وأريه أنى قد سلوت وإنى لَمشوقٌ والله صب إليه
وهواهُ يدبُّ فى كل قلب كدبيب السواد في عارضيه

ومنها قوله وأنشدنيه غيره

عذارٌ كالطرازِ على الطرازِ وبدر فى الحقيقة لا المجاز
ولو جاز السجودُ له سجدنا ولكن ليس ذاك بمستجاز

---

١ الوامق المحب

أبو عبد الله الحسن بن خالويه

أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وكانت اليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه ، وله شعر لم يحضرني منه الآن الا قوله في وصف برد همذان

إذا همذان اعتارها القرُّ(١) وانقضي   برغمك أيلول وأنت مقيم
فعينك عمشاء وأنفك سائل   ووجهك مسودُّ البياض بهيم
وأنت أسير البرد تمشي بعلة   على السيف تحبو مرة وتقوم
بلاد إذا ما الصيف أقبل جنةٌ   ولكنها عند الشتاء جحيم

ولبعضهم في برد همذان

همذان متلفةُ النفوس ببردها   والزمهرير وحرُّها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وخريفها   فكأنما تموزها (٢) كانون

ولأبي علي كاتب بكر

يا بلدةً أسلمني بردُها   وبردُ من يسكنها للقلق
لا يسلم الشاتي به من أذى   من لثق أو دمق أو زلق(٣)

ولابي الربيع البلخي في الشاش

الشّاشُ(٤) في الصيف جنّةْ   ومن أذي الحرّ جُنه
لكننى تعتريني   بها لدى البرد جِنه

وفي مثل هذه الصنعة ، وان كان في غير المعنى لغيره :

ياشادناً متّ قبله   قد صار في الحسن قِبله

---

١ القر برد الشتاء ٢ تموز احد الشهور القبطية ٣ اللثق ركود الهواء أو كثرة الندى والدمق ريح باردة يصحبها ثلج ٤ الشاش بلد وراء النهر

أمنن على بقُبله تشفي فؤاداً مُوّله

ولابن خالويه أيضا :

اذا لم يكن صدرُ المجالس سيداً فلاخيرَ فيمن صدّرته المجالس
وكم قائلٍ مالي رأيتكَ راجلا؟ فقلت لهمن أجل أنك فارس!

ابو الفتح عثمان بن جني النحوى اللغوي

هو القطبُ في لسان العرب ، واليه انتهت الرياسة فى الادب . وصحب أبا الطيب دهراً طويلا ، وشرح شعرهُ ونبه على معانيه واعرابه ، وكان الشعرُ أقلَّ خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حاله ، فمن ذلك قوله في الغزل :

غزالٌ غيرُ وحشيٍّ حكي الوحشيّ مقلتهُ
رآه الوردُ يجنى الور دَ فاستكساه حلته
وشمّ بأنفه الرّيحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ءَ فاختلستهُ نكهته

وله : أيادارهم ماأنتِ مذ انتووْا[1] ولا أنا مذْ سار الركاب أنا أنا
وجود المنى أن لايكاثر بالمنى ونيْل الغنى أن لايكاثر بالغنى
ومن كان في الدنيا أشدّ تصورا تجده عن الدنيا أشدّ تصونا

الشمشاطى

هو أبو الفتح الحسن بن على بن محمد ، لم يقع الى من شعره الاقوله في البنفسج

اشرب على زهر البنف سج قبل تأنيب الحسود
فكأنما أوراقه آثار قرصٍ في الخدود

---

١ انتووا رحلوا

وقوله في الجلنارَ :

وبدا الجُلَّنارُ مثلَ خدود	قد كساها الحياءُ ثوبَ عقار[1]
صبغةَ الله كالعقيق تراه	أحمراً ناصعا لدى الاخضرار

وممن يليق ذكره بهذا المكان من أعيان الشام، وليس يحضرني شعره أبو القاسم الآمدى ، واذا حصلت عليه ألحقته به وهذا آخر الباب الرابع :

الباب الخامس

في ذكر أبي الطيب المتنبي وماله وماعليه

هو – وإن كان كوفي المولد – شاميّ المنشأ وبها تخرَّج ومنها خرج ، نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثمَّ هو شاعر سيف الدولة المنسوب اليه المشهور به ، إذ هو الذى جذب بضبعه[2]، ورفع من قدره ، ونفَّق سعر شعره وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظهُ . كما قال وأحسن ماشاء :

وما الدهرُ إلاّ من رُواة قصائدى	إذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لايسير مشمِّراً	وغنَّى به من لايغنى مغرِّدا

وكما قال :

ولى فيكَ مالم يقل قائلٌ	وما لم يسر قمرٌ حيثُ سارا
وعندى لك الشُّرُدُ[3] السائرا	ت لايختصصن من الأرض دارا
إذا سِرنَ من مِقْوَلٍ مرَّة	وثبن الجبال وخُضن البحارا

---

١ الجلنار زهر الرمان والعقار الخمر ٢ الضبع العضد كلها ٣ الشرد جمع شريده وهى القضيده السائره .

هذا من أحسن ماقيل في وصف الشعر السائر ، وأبلغُ منه قول علي بن الجهم حيث قال :

ولكن بإحسان الخليفة جعفر دعاني إلى ماقلتُ فيه من الشعر
فسار مسيرَ الشمس في كل بلدة وهبَّ هبوب الريح فى البر والبحر

فليس اليوم مجالس الدرس أعمرَ بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ، ولا أقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون المغنين والقوّالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين ، وقد ألفت الكتب فى تفسيره وحلّ مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه . وتكلم الأفاضل فى الوساطة بينه وبين خصومه ، والافصاح عن ابكار كلامه وعُونه[1] . وتفرقوا فرقا فى مدحه والقدح فيه والنضح[2] عنه والتعصب له وعليه . وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه وتفرده عن أهل زمانه . بملك رقاب القوافى ، ورقّ المعانى . فالكامل من عُدَّت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته « ومازالت الاملاك تهجى وتمدح »

وأنا مورد فى هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يرتضى وما يستهجن من مذاهبه فى الشعر وطرائقه . وتفصيل الكلام فى نقد شعره ، والتنبيه على عيونه وعيوبه . والإشارة إلى غرره وعُرَره[3] وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله وما تكثر فوائده ، وتحلو ثمرته ، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميزه عن أصحابها بعلوّ الشأن فى شعر الزمان ، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام

---

١ العون جمع عوان وهي من النساء من كان لها زوج ٢ النضح الرشح يقال قوس نضوح أى نضاحة بالنبل ٣ العرر القابح والمعرات

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر به إلى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه من المكاتب ، ويردده فى القبائل ، ومخايله نواطق الحسنى عنه ، وضوامن النجح فيه ، حتى توفى أبوه وقد ترعرع أبو الخطيب وشعر وبرع ، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا الى بيعته قوما من رائشى نبله ، على الحداثه من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدّى خبره إلى والي البلدة ، ورفع إليه ماهم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل فى الحبس قصيدته التى أولها :

أيا خدَّد اللهُ وردَ الخدود ... وقدّ قدودَ الحسانِ القدودِ

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أما لكَ رِقى ومن شأنه ... هباتُ اللُّجين وعتق العبيد

دعوتك عند انقطاع الرجا ... ء والموت منى كحبل الوريد

دعوتك لما بَرَانى البلى ... وأوهنَ رجلىّ ثقل الحديد

ومنها :

وقد كان مشيهما فى النعا ... ل فقد صارَ مشيهما فى القيود

وكنتُ من الناس فى محفل ... فها أنا فى محفل من قرود

تعجَّلَ فىَّ وجوبَ الحدو ... دو حدّي قبل وجوب السجود !

أي انما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب علي الصلاة بعد ، ويجوز أن يكون قد صغر سنه وأمر نفسه عند الوالي، لأن من كان صبياً لم يظن به اجتماع الناس اليه للشقاق والخلاق :

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ اليه مبرة :

أهون بطول الثَّواء[1] والتلف والسجن والقيد ياأبا دُلف
غيرَ اختيارٍ قبلت برَّك بي والجوع يُرضى الأُسودَ بالجيف

يشبه قول أبي عيينة :

ما أنت الا كلحم ميت دعا الي أكله اضطرارُ

(رجع) كن أيها السجن كيف شئت فقد وطّنت للموت نفس معترف
لو كان سكناى فيك منقصة لم يكن الدرّ ساكنَ الصدف

ويحكى أنه تنبأ فى صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه . وحكى أبو الفتح عثمان بن جنى قال سمعت أبا الطيب يقول إنما لقبت بالمتنبى لقولى :

أنا ترب الندا ورب القوافى وسمام[2] العدا وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها الله غريبٌ كصالح فى ثمود

وفى هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

وما زال في بُرد صباه إلى أن أخلق بُرد شبابه ؛ وتضاعفت عقود عمره ُ يدور حب الولاية والرياسة فى رأسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه ، في الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان والاستيلاء على بعض الأطراف ، ويستكثر من التصريحُ بذلك في مثل قوله

لقد تصبَّرت حتى لاتَ مُصطَبرٌ فالآن أُقحم حتى لات مقتحم
لأتركنّ وجوهَ الخيل ساهمةً والحربُ أقوم من ساقٍ على قدم[3]
[والطعن يحرقها والزجر يقلقها حتى كأن بها ضربا من اللمم[4]
قد كلمتها العوالى فهي كالحة كأنما الصاب معصوب على اللجم] [5]

---

١ الثواء الاقامة ٢ السمام جمع سم ٣ الساهمة المتغيرة ٤ اللمم الجنون ٥ كلمتها جرحتها والكالحة الفاتحة أفواهها لما بها من الجرح والصاب نبت مر

بكلّ منصلت مازال منتظري ... حتى أدلْت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمسَ نافلة ... ويستحل دم الحجاج في الحرم

وقوله: سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ماالتثموا مرد
ثقالٌ اذا لاقوا خفاف اذا دعوا ... كثير إذا شدوا قليل اذا عدوا
وطعنٍ كأن الطعن لاطعن بعده ... وضرب كأن النارمن حرّه برد
اذا شئت حنت بي علي كل سابح ... رجال كأن الموت في فمها شهد

وقوله: ولا تحسبنّ المجد زقًّا وقينة ... فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وان ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر (١)
وتركك في الدنيا دويا كأنما ... تداول سمعَ المرء أنمُله العشر

وقوله: وان عمرتُ جعلت الحرب والدة ... والسمهرى أخا والمشرفيّ أبا
بكل أشعثَ يلقى الموتَ مبتسما ... حتى كأنّ لـه في قتله أربا
قُحٌ يكاد صهيل الخيل يقذفه ... من سرجه مرحاً للعز أو طربا
الموت أعذر لي والصبرُ أجمل بي ... والبَرُّ أوسع والدنيا لمن غلبا

وكان كثيراً مايتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله ، ويمشى في مناكب الأرض، ويطوي المناهل والمراحل . ولازاد إلا من ضرب الحراب ، على صفحة المحراب (٢) . ولا مطية الا الخف أو النعل ، كما قال

لا ناقتى تقبل الرديف ولا ... بالسوط يوم الرّهان أُجهدها
شراكها كورها ومشفرها ... زمامها والشسوع مقودها

وانما ألم في هذا المعنى بأبى نواس فى قوله

اليك أبا العباس من بين من مشي ... عليها امتطينا الحضرمى الملسنا

---

١ الهبوات جمع هبوة وهى الغبرة العظيمة والمجر الجيش ٢ المحراب العنق

قلائصَ لم تعرف حنيناً على طلى   ولم تدر ما قرع الفنيق ولا الهنا[1]

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف

أظمأتني الدنيا فلما جئتها   مستسقيا مطرت عليَّ مصائبا

وحبيت من خوص الركاب بأسود   من دارشٍ فغدوت أمشي راكبا[2]

وكما قال في الاعتداد بالرحلة والقدرة على الرجلة

ومهمه جُبته على قدمي   تعجز عنه العرامس الذُّلل[3]

[بصارمي مرتدٍ بمخبرتي   مجتزيء بالظلام مشتمل]

اذا صديق نكرت جانبه   لم تعيني في فراقه الحيل

في سَعة الخافقين مضطرَب   وفي بلاد من اختها بدل

وشتان ما بين حاله هذه والحال التى قال فيها

وعرَّفاهم بأنى من مكارمه   أقلب الطرف بين الخيل والخوَل

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين الكركي والعندليب

ويحكى ان على بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التى أولها

بأبي الشموس الجانحات غواربا

ومنها   حالامتى علم ابن منصور بها   جاء الزمانُ الي منها تائبا

الادينارا واحدا فسميت الدينارية

ولما انخرط فى سلك سيف الدولة ودرَّت له أخلاف الدنيا على يده كان من قوله فيه :

تركت السرى خلفي لمن قل ماله   وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

---

١ الطلى الصغير من ولد الابل والفنيق الفحل   ٢ الدارش من ضرب الجلود اسود

٣ العرامس النوق الشداد

وقيدْتَ نفسى فى هواك محبة ومن وَجدَ الاحسانَ قيداً تقيدا

وهذا البيت من قلائده وانما ألم فيه بقول أبى تمام

همى معلقةٌ عليك رقابها مغلولة انّ الوفاءَ اسار

ولكنه أخذ عباءة رِدّها ديباجا ، وأرسلها مثلا سائرا ، وكرر هذا المعنى فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله :

يامن يقتّلُ من أرادَ بسيفه أصبحتُ من قتلاك بالإحسان

نبذ من اخباره

لما أنشد سيف الدوله قصيدته التى أولها

أجابَ دمعى وما الدّاعى سوى طللِ دعا فلباه قبل الرّكب والابل

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدوله فلما انتهى الى قوله

يا أيها المحسنُ المشكورُ من جهتى والشكر من جهةِ الإحسان لا قبلى

[ما كان نومي الا فوق معرفتى بأن رأيك لايؤتى من الزلل]

أقِلّ أنِل أقطع احمل علّ سلّ أعد زِد هشّ بشّ تفضل أدنِ سَرّ صِلِ

وقع تحت أقل : قد أقلناك ، وتحت أنل : يحمل اليه من الدراهم كذا ، وتحت أقطع : قد أقطعناكَ الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت احمل : يقاد اليه الفرس الفلانى ، وتحت علّ : قد فعلنا ، وتحت سل : قد فعلنا فاسْلُ ، وتحت أعد : أعدناك الي حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : يزاد كذا ، وتحت تفضل قد فعلنا ، وتحت ادن : قد أدنيناك ، وتحت سر : قد سررناك

قال ابن جني فبلغنى عن المتنبي أنهُ قال انما أردت سَرّ من السرية ، فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد فعلنا

قال وحكي لى بعضُ إخواننا أن المعقلي ـ وهو شيخ ـ كان بحضرته ظريف ، قال

له ـ وحسد المتنبي على ما أمر له به ـ يا مولاي قد فعلت به كل شيء سألكه فهلا قلت له لما قال لك هش بش ؟ هه هه هه . يحكى الضحك فضحك سيف الدولة ، فقال له ولك أيضا ما تحب وأمر له بصلة .

وذكر القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز فى كتاب الوساطة أن أبا الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال :

احل وامْرُر وضر وانفع ولِن واخـ شن ورِش وابر وانتدب للمعالي

وحكى ابن جنى قال حدثنى أبو علي الحسين بن احمد الصنوبرى قال خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من الصور إذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوى برمح طويل ، وسدَّدهُ الى صدرى ، فكدت أطرح نفسى عن الدابة فرَقا ، فلما قرب منى ثَنَى السنانَ وحسر[1] لثامه ، فإذا المتنبي وانشدنى :

نثرنا رءوساً بالأُحيدب منهم كما نُثرت فوقَ العروس الدراهمُ

ثمَّ قال كيف ترى هذا القول ، أحسن هو ؟ فقلت لهُ ويحك قد قتلتنى يارجل ، قال ابن جنى فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبى الطيب فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناءِ بما يقال في مثله

قال وأنشدت اباعلي ليلا قصيدةَ ابى الطيب التي اولها

واحرَّ قلباهُ ممن قلبهُ شَبِمُ[2]

فلما وصلت الى قولهِ فيها

وشرُّ ماقنصتهُ راحتيْ قنص شهبُ البزاة سواءٌ فيهِ والرخم

أعجب جداً بهِ ولم يزل يستعيده ، حتى حفظهُ ، ومعناهُ : إذا تساويتُ ومن لا قدر لهُ في أخذ عطاياك فأي فضل لى عليهِ ، وما كان من الفائدة كذا لم أفرح بهِ ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص بهِ الأفاضل

١ حسر اللثام : كشفه ٢ الشبم البارد الميت

قال وحدثني المتنبي قال حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر ، قال أحدثك بطريفة كتبتُ إلى امرأتي وهي بحَران كتابا تمثلت فيه ببيتك :

بم التعللُ لا أهلٌ ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكنُ

فأجابتني عن الكتاب ، وقالت ماأنت والله كما ذكرتهُ في هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهرتُ بعد رحيلي وحشةً لكم ثم استمرّ مريري وارعوى الوسنُ(١)

قال ولما سمع سيف الدوله البيت الذي يتلوهُ وهو قوله

وإن بُليت بودّ مثلَ ودكم فإنني بفراق مثلهِ قمنُ

قال سار وحقّ أبي قال ولما سمع قوله لفنا خسرو

وقد رأيتُ الملوكَ قاطبةً وسرتُ حتي رأيتُ مولاها

قال تُرَى هل نحن في الجملة ؟

سمعت ابا بكر الخوارزمى يقول كان ابو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر :

وإن أحق الناس باللُّوْم شاعرٌ يلوم على البخل الرجالَ ويبخل

وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله :

بَليتُ بِلى الأطلال إن لم أقفْ بها وقوفَ شحيح ضاع في التربْ خاتمه(٢)

فحضرت عنده يوما بحلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة فصُبَّ بين يديه علي حصير قد افترشهُ ووزن وأعيد في كيس ، واذا بقطعة كأصغر مايكون من ذلك المال قد تخللت خِلل الحصير فأكب عليها بمجامعهِ ، ينقرها ويعالج استنقاذهامنهُ ، ويشتغل بذلك عن جلسائهِ حتى توصل إلى اظهار بعضها ، فتمثل ببيت قيس بن الخطيم :

تبدّت لنا كالشمس بين غمامة بداحاجبٌ منها وضنَّت بحاجب

---

١ المرير جمع مريرة وهي القوة والوسن شدة النوم ٢ روى ان أبا العلاء قال لتلامذته أتدرون كم يقف الشحيح يبحث عن خاتمه ، انه ليقف اربعين يوما

ثم استخرجها وأمر باعادتها الى مكانها من الكيس ، وقال انها تُحضر المائدة ومعتهُ لما يقول أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدتهُ فيهِ التي أولها :

(مغانى الشعب طيباً في المغانى)

وانتهى الى قوله فيها

والقى الشرق منها فى ثيابى   دنانيراً تفرُّ من البنان

قال له عضد الدولة لأُقِرّنَّها في يديك ، ثم فعل .

قال ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلبى الوزير ذهاباً بنفسهِ عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبي ، فأغرى بهِ شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن سكَّرةَ [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمى والحاتمى وأسمعوه مايكره وتماجنوا به وتنادروا عليه فلم يجبهم ولم يفكر فيه ، وقيل لهُ في ذلك فقال إنى فرغت من اجابتهم بقولى لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء :

أرى المتشاعرين غُروا بذمي   ومن ذا يحمل الداء العضالا

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض   يجد مرًّا بهِ الماءَ الزلالا

وقولي :

أفي كلّ يومٍ تحت ضِبنى شويعر   ضعيف يقاويني قصير يطاول(١)

لساني بنطقي صامتٌ عنه عادلٌ   وقلبي بصمتى ضاحكٌ منه هازلُ

وأتعبُ من ناداك من لا تجيبهُ   وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وما التيهُ طِبي فيهمُ غير انى   بغيض الىَّ الجاهلُ المتعاقل

وقولي :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص   فهي الشهادةُ لي بأنى فاضل

---

(١) الضبن ما بين الكشح والابط

قال وبلغ ابا الحسين بن لنكك بالبصرة ماجرى على المتنبي من وقيعة شعراء بغداد فيه واستحقارهم له ، وكان حاسداً له طاعناً عليه هاجياً إياه ، زاعما أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال :

قولا لأهل زمانٍ لا خَلاقَ لهم ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا
أعطيتمُ المتنبي فوق مُنيته فزوّجوه برغمٍ أمهاتكم
لكنّ بغدادَ جادَ الغيثُ ساكنها نعالهم في قفا السقاء تزدحم

قال ومن قوله فيه :

متنبيكم ابنُ سقاء كوفا نَ ويوحى من الكنيف إليه
كان مِن فيه يسلحُ الشعرَ حتى سلحت فقحةُ الزمان عليه

ومن قوله أيضا فيه :

ما أوقح المتنبي فيما حكى وادعاه
أبيح مالا عظيما حتى أباحَ قفاه
ياسائلي عن غناهُ من ذاكَ كان غناه
إن كان ذاك نبيا فالجاثليق إله

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملا ، وفارق بغداد متوجهاً إلى حضرة أبي الفضل بن العميد مراغما للمهلبي الوزير ، فورد أرّجان واحمد مورده ، فيحكى أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان واجرائه مُجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، وكتب إليه يلاطفهُ في استدعائه ، وتضمن لهُ مشاطرتهُ جميع ماله فلم يقم لهُ المتنبي وزنا ، ولم يجبهُ عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد حضرةَ عضد الدولة بشيراز فأسفرت سفرتهُ عن بلوغ الأمنية وورود مشروع المنية ، واتخذه الصاحب غرضا يرشقهُ بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس

بحسناته وأحفظهم لها، وأكثرهم استعمالا إياها وتمثلا بها في محاضراته ومكاتباته وكان مثله معه كما قال الشاعر :

شتمتُ من يشتمني مغالطاً لأصرف العاذلَ عن لجاجته
فقال لما وقع البزاز في الثوب علمنا أنهُ من حاجته

وكما قال الآخر

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أرَ كالدنيا تذمُّ وتحلب

وكما قال الآخر

نبئتُ أنى إذا ما غبت تشتمني قل ما بدا لك فالمحبوب مسبوب

قطعة من حلّ الصاحب وغيره نظم المتنبي
واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل

فصل لهُ من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقيةَ الدهر المديد، والأمد البعيد، تعطس بأنف شامخ من المنعة، وتنبو بعطف جامح على الخطَبة. وترى أنّ الأيام قد صالحتها على الإعفاء من القوارع، وعاهدتها على التسليم من الحوادث. فلما أتاح الله للدنيا ابنَ بجدتها، وأبا بأسها ونجدتها جهلوا بونَ [1] ما بين البحور والأنهار، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار. فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين، ومثواهم القديم نهزة الحوادث، وفرصة البوائق. ومجرّ العوالى، ومجرى السوابق.

وإنما ألمّ بألفاظ بيتين لأبى الطيب أحدهما :

حتي أتى الدنيا ابنُ بجدتها فشكى اليه السهلُ والجبلُ

والآخر

---

١ البون بالضم والفتح المسافة بين الشيئين وابن بجدتها العالم بالشيء

تذكرت ما بين العُذَيْب وبارق   مجر عوالينا ومجرى السوابق

(وفصل له) لئن كان الفتحُ جليلَ الخطر حميد الاثر ، فان سعادة مولانا لتبشر بشوافع لهُ ، يعلم معها أن لله أسراراً فى علاه لايزال يبديها ، ويصل أوائلها بتواليها . وهو من قول أبى الطيب .

ولله سرٌّ فى علاك وإنما   كلام العدا ضرب من الهذيان

(فصل) ولو كان ما أحسنه شظيَّة من قلم كاتب لما غيرت خطه ، أو قذى في عين نائم لما انتبه جفنهُ . وهو من قول أبي الطيب :

ولو قلمٌ ألقيت في شقِّ رأسهِ   من السقم ما غيرت من خطِّ كاتب

وقول نصر

ضنيتُ حتى صرت لو زُجَّ بى   في ناظرِ النائمِ لم ينتبهِ

ومنهُ أخذ ابن العميد قولهُ

فلو أنَّ ما أبقيت فيجسدى قَذى   فى العين لم يمنع من الإغفاء

(فصل للصاحب في التعزية)

اذا كان الشيخ القدوةَ في العلم ومايقتضيه ، والأُسوةَ في الدين ومايجب فيه . لزم أنْ يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ فى ثارات الأسى والأُسى بمذهبه . فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ، الا اذا روينا لهُ بعض ماأخذناهُ عنهُ ، وأعدنا اليه طائفة مما استفدناهُ منهُ . وإنما هو حل من قول أبى الطيب .

أنتَ يا فوقَ أن يعزّى عن الأحباب فوق الذي يعزّيك عقلا

وبألفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذى لهُ قلتَ قبلا

(وفصل لهُ) وقد أثنى عليه ثناءَ لسان الزهر ، على راحة المطر

وهو من قول أبى الطيب :

وذكىّ رائحة الرياض كلامها   تبغى الثناءَ على الحيا فيفوح

والاصل فيه قول ابن الرومى

شكرَتْ نعمةَ الوَلِىِّ على الوسـمىِّ ثم العِهاد بعد العِهاد[١]
فهي تثنى على السماء ثناءً طيبَ النَّشرِ شائعا فى البلاد
من نسيمٍ كأن سراه في الأر واح مسرَى الأرواح فى الأجساد

ومما أورده من أبيات أبى الطيب كما هى قولهُ في كتاب أجاب به ابنَ العميد عن كتابه الصادر اليه عن شاطيء البحر في وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمتُ أنَّ سيدنا كتب وما أخطرَ بفكره ، سعةَ صدره . ولو فعل ذلك لرأى البحرَ وَشلا لا يفضل عن التبرُّض ، وثمداً لا يكثر عن الترشف [٢]

وكم من جبال جبتُ تشهد أنني الـ جبالُ وبحرٍ شاهدٍ أنني البحر[٣]

(ولهُ من رسالة فى التهنئة ببنت أولها) أهلا بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء وأم الأبناء . وجالبة الاصهار ، والاولاد الاطهار ، ثم يقول فيها

ولو كان النساء كمثل هـذي لفضلت النساء على الرِّجال
وما التأنيثُ لاسم الشمس عيب وما التـذكير فخر للهلال

وهما لابى الطيب من قصيدة فى مرثية والدة سيف الدولة إلا أنه يقول

(ولو كان النساء كمن فقدنا)

(وللصاحب من كتاب تعزية) وقلنا قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمس للطـَّفَـل [٣] ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأبى حكمُ الملوَين ، وقد غبنك إذ قاسمك الاخوين ، الا أن يعود فيلحق الباقي بالفانى ، والغابر بالماضى

---

١ الولى المطر بعد المطر والوسمى مطر الربيع الاول والعهاد أول مطره
٢ الوشل القليل والتبرض التبلغ بالقليل والثمد الماء القليل أيضا
٣ الطفل حين غروب الشمس

وعادَ فى طلبِ المتروكِ تاركُهُ ... إنا لنغفل والأيام في الطلب

ما كان أقصرَ وقتاً كان بينهما ... كأنه الوقت بين الوِرْد والقَرَب(١)

أقول : هذا كعادة المصدور فى النفث ، شكوى الحزن والبث . والا فما يعجب السفْرُ من تقدم بعض ، وكلٌّ بين الراحلة والرحل . لا يترك الموت ساعياً على وجه الارض ، حتى ينقله الى بطن الترب .

نحنُ بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لابد من شربهِ

تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمانٍ هنَّ من كسبهِ

فهذه الأرواحُ من جوِّه ... وهذه الاجسام من تربهِ

وهذا غيض من فيض مااغترفهُ الصاحب من بحر المتنبى ، وتمثل بهِ من شعره ولو ذكرت نظائرهُ لامتدّ نفس هذا الباب . وليس هو بأوحد فى الاقتباس من كلامه ، هذا أبو اسحق الصابى رسيلهُ في ذلك وزميلهُ ، وقد قرأت لهُ غير فصل فيما أشرت اليه ، ونبهت عليه . فمنهُ ما كتب فى تقريظ :

شاب مقتبل الشبيبة ، مكتهل الفضيلة . ولقد آتاهُ الله فى اقتبال العمر جوامعَ الفضل ، وسوّغهُ فى عنفوان الشباب محامدَ الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خلَّةً تتلافاها بتطاول المدة ، وثلمة تسدها بمزايا الحنكة . وإنما هو حلٌّ نظم أبى الطيب ، وان كان فى معنى آخر .

لا تجد الخمر فى مكارمه ... اذا انتشى خلَّة تلافاها

وأخذ من قول البحتري

تكرَّمت من قبل الكؤوس عليهم ... فما اسطعنَ أن يحدِثنَ فيك تكرُّما

ومنه ما كتب الى ابن معروف تهنئةً بقضاءِ القضاة :

منزلة قاضى القضاة تجلُّ عن التهنئة لأن ماتكتسبهُ الولاة بها من الصيت

---

١ القرب طلب الماء ليلا

والذكر . ويدّرعونهُ فيهامن الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها لهُ . واذا مدأحدهم اليها يدا تجذبها الى سِفالٍ ، جذبتها يدهُ الى المحل العالى ، فكأنّ أباالطيب المتنبى عناهُ أوحكاهُ بقولهِ

فوق السماء وفوق ما طلبوا　　فاذا أرادوا غاية نزلوا

ومنهُ ما كتب

وعاد مولانا الى مستقرّ عزّه عَوْدَ الحليّ الى العاطل ؛ والغيث الى الروض الماحل . وانما هو من قول أبي الطيب

وعدتَ الى حلبٍ ظافرا　　كعود الحليّ إلى العاطل

واذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما . فما الظنّ بغيرهما . وماأحسن قول الشاعر

ألا انّ حلّ الشعر زينةُ كاتب　　ولكنّ منهم من يحل فيعقد

وممن يحذو حذوهما الأستاذ ابو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي ، وما أظرف ما قرأت له فى كتابهِ الى أبي سعيد الشبيبي :

وقد اتانى كتاب شيخ الدولتين فكان فى الحسن ، روضةَ حزْن(١) بل جنة عدن وفي شرح النفس ، وبسط الانس ، برد الاكباد والقلوب ، وقميص يوسف في اجفان يعقوب . وهو من بيت ابى الطيب

كأنّ كل سؤال في مسامعهِ　　قميص يوسف فى اجفان يعقوب

وفصل لابى بكر الخوارزمى

وكيف أمدح الامير بخلق ضن به الهواء ، وامتلأت من ذكره الارض والسماء وابصره الاعمى بلاعين ، وسمعهُ الأصمّ بلا أذن . وهو حل نظم ابى الطيب :

تنشدُ أثوابنا مدائحهُ　　بألسن ما لهنّ أفواهُ

---

١ الحزن موضع لبنى يربوع فيه رياض وقيعان

اذا مررنا على الاصمّ بها   اغنتهُ عن مسمعيه عيناه

ولأبي بكر من رسالة

ولقد تساوت الالسنُ حتى حُسِدَ الابكم، وافسِدَ الشعرُ حتى أحمدَ الصمم

وهو قول ابي الطيب

ولا تبالِ بشعرٍ بعدَ شاعره   قدأفسدَ القولُ حتى أحمدَ الصممُ

وهذا ميدان عرِيضٌ وشوطٌ بطينٌ، وفيما ذكرتهُ كفاية، ولاستراقات الشعراء من ابي الطيب باب هذامكانهُ

أنموذج لسرقات الشعراء منه

قال المتنبي

وقد أخذ التمامَ البدرُ فيهم   وأعطاني من السقم المحاقا

اخذهُ أبو الفرج الببغاء فلطفهُ وقال

أوليس من احدى العجائب أنني   فارقته وحييتُ بعدَ فراقهِ

يامن يحاكي البدرَ عند تمامهِ   ارحم فتى يحكيهِ عند محاقهِ

وقال أبو الطيب

قد علَّم البينُ منّا البين أجفانا   تدمى وألَّف في ذا القلب أحزانا

أخذهُ المهلبي الوزير وقال

تصارمتِ الأجفانُ منذُ صرَمتني   فما تلتقي الاَّ على عبرة تجرى[1]

وقال أبو الطيب وهو من قلائده

وكنت إذا يممت أرضاً بعيدةً   سريت فكنت السرَّ والليل كاتمه

أخذهُ الصاحبُ وقال

تجشمتها والليل وحف جناحه   كأني سر والظلام ضمير

---

١ الصرم الهجر والقطع

وقال ابو الطيب وهو أيضا من قلائده

لبسنَ الوشيَ لا متجملاتٍ ... ولكن كي يصنَّ به الجمالا

اغارَ عليه الصاحبُ لفظاً ومعنى فقال

لبسنَ برُودَ الوشي لا لتجملٍ ... ولكنْ لصونِ الحسنِ بين برود

وإنما فعل ببيتيه مافعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف

والنجمُ في كبدِ السماءِ كأنه ... أعمى تحيرَ ما لديه قائد

فقال : ما بالُ هذي النجوم حائرةً ... كأنها العمىُ ما لها قائد

وهذه مصالتةٌ لاسرقة وهي مذمومة جدا عندالنقدة ،

وقال أبو الطيب ، وهو من فرائده

سقاكِ وحيانا بكِ الله إنما ... على العِيس نَوْرٌ والخدورُ كمائمه(١)

أخذه السري بن احمد قال ابن جنى انشدني لنفسهِ من قصيدة يمدح بها ابا الفوارس سلامة بن فهد وهي قولهُ

حيّا بهِ الله عاشقيه فقد ... أصبح ريحانة لمن عشقا

ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهايةٌ في العذوبة وخفة الروح.

والسريُّ كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله

وخَرْقٍ(٢) طال فيه السيرُ حتي ... حسبناهُ يسيرُ معَ الركاب

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب

يخدنَ بنا في جوزه وكأننا ... على كرةٍ أو أرضهُ معنا سَفر(١)

وقال السرى

وأحلَّها من قلب عاشقها الهوى ... بيتا بلا عمدٍ ولا أطناب

وهو من قول أبي الطيب

---

١ الكمائم أغطية الثمار والمصالتة أخذ البيت بلفظه ومعناه ٢ الخرق الارض الواسعة المقفرة ٣ الوخد نوع من سير الابل والجوز بمعنى الاجتياز

هام للفؤاد بأعرابيةٍ سكنت　　بيتا من القلب لم تضرب به طنبا

وقال السرى

وأنا الفداءُ لمن مَخِيلة برقهِ　　عندى وعند سوايَ من أنوائهِ

وإنما ألمَّ فيه بقول أبي الطيب

ليت الغمام الذى عندى صواعقهُ　　يزيلهنَّ إلى من عندهُ الديم

وقال أبو الطيب وهو من قلائده

فإن تفُق الأنامَ وأنت منهم　　فإن المسك بعضُ دم الغزال

وقال أيضاً

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم　　ولكن معدن الذهب الرَّغام (1)

أخذ أبو بكر الخوارزمى معنى البيتين وهما قريب من قريب فقال

فديتك ما بدالي قصدُ حرٍّ　　سواك من الورى الاَّ بدالى

وأنك منهمُ وكذاك أيضاً　　من الماء الفرائد واللآلى

وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ　　حجارةِ والزمرُّدِ في الجبال

وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره فى تفضيل البعض على الكل ، فأحسن غاية الأحسان حيث قال

فان يك سيَّارُ بنُ مكرم انقضى　　فانك ماءُ الورد ان ذهبَ الوردُ

وقال

وان تكن تغلب الغلباءُ عنصرها　　فإنَّ في الخمر معنى ليس فى العنب

ألمَّ بهِ أبو الفتح علي محمدِ البستى الكاتب فقال

أبوكَ حوَى العليا وأنت مبرز　　عليه اذا نازعتهُ قَصَبَ المجد

وللخمر معنى ليس في الكرم مثلهُ　　وفي النار نورٌ ليس يوجد في الزند

---

١ الرغام التراب

وخير من القول المقدَّم فاعترف   نتيجته والنحلُ يكرم للشـهد

وقال أيضا

أبوك كريم غـير أنك سابق   مداهُ بلا ضيم عليه ولا ذَيْم[1]
فلا يعجبنّ الناسُ ممـا أقولهُ   وأقضي بهِ فالغيث أندى من الغيم

وقال أبو الطيب

وصرتُ أُشكُّ فيمن أصطفيهِ   لعـلمي أنهُ بعض الأُنام

أخذهُ أبو بكر الخوارزمي فقال :

قد ظلمناكَ بحسنِ ال   ظنِّ يا بعـَض الانامِ

وقال أبو الطيب

أتى الزمانَ بنوه في شبيبتهِ   فَسرَّهم وأتيناه على الهرم

أخذهُ أبو الفتح وحسنهُ فقال

لاغَرْوَ ان لم تجدفي الدهْرِ مخترفا   فقد أتيناهُ بعدالشيب والخرف[2]

وقال أبو الطيب

هما الغرضُ الاقصى ورُؤْيتك المنى   ومنزلك الدنيا وانت الخـلائق

امتثلهُ أبو الحسن السُّلامي فقال

وبشرتُ آمالي بملك هو الورى   ودارٍ هي الدنيا ويومٍ هـو الدهرُ

وقال أبو الطيب

لم تزل تسمعُ المـديح ولـكنَّ   صهيل الجياد غـيرُ النُّهاق

أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفهُ جدًّا فقال

وتغنّـيك في النـداء طيـورٌ   أنا وحـدي ماينهنَّ الهُـزار

واذ قد ذكرت أنموذجا من سرقات الشعراء منهُ ، فلا بأس أن أذكر صدراً من

١ الذيم الذام   ٢ الخرف نقص العقل

سرقاته من الشعراء سوى ماأورده القاضي، أبو الحسن علي بن عبدالعزيز في كتاب الوساطة فشفى وكفى وبالغ فأوفي ، وسوى مامرّ ويمرّ منها في أماكنها من فصول هذا الكتاب

صـــــدر من سرقاته

قال مخلد الموصلي

يا مـنزلا ضنّ بالسلام   سُقيتَ ريّاً من الغمام
ماترك الدهرُ منك الاّ   ما ترك الشوقُ من عظامي

أخذه أبو الطيب فجوّده حيث قال

ما زالَ كلُّ هَزِيم الودق ينحلها   والشوق ينحلني حتى حكت جسدي (١)

عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهـاب وبالسبايا   وأبنا بالملوك مُصَفَّدينا

أخذهُ أبو تمام فأحسن إذ قال

إنّ الأُسود أُسود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب (٢)

وأخذهُ أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة

ونهبُ نفوس أهل النهب أولى   بأهل المجد من نهب القماش

بشّار بن برد

كأن مُثار النقع فوق رؤُوسنا   وأسيافنا ليل تهاوَى كواكبه

أخذه أبو الطيب وذكر الرماحَ مكان الأسياف فقال :

وكأنما كسى النهارُ بهـا دجى   ليلٍ وأطلعت الرماح كواكبا

١ هزيم الودق صوت السحاب ٢ المسلوب المقتول والسلب مايكون مع المحارب من آلته وفرسه خلافا لبعض الفقهاء في الفرس

مسلم بن الوليد

أرادوا ليخفوا قبرَهُ من عدوِّهِ   فطيبُ تراب القبر دلَّ على القبر

ألمَّ بهِ أبو الطيب فقال

وماريحُ الرياض لها ولكن   كساها دفنهم فى الترب طيبا

الفرزدق

وكنت فيهم كممطور ببلدتهِ   يسرُّ أنْ جمع الأوطان والمطرا

اخذهُ ابو الطيب فقال

وليس الذي يتَّبع الوبل رائداً   كمن جاءهُ في داره رائدُ الوبل

وفى قولهِ في هذه القصيدة

وخيلٍ اذا مرَّت بوحش وروضةٍ   أبت رَعيها إلاَّ ومرجلنا يغلى

رائحة من قول امريء القيس

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا   تعالوا إلى أن يأتيَ الصيد نحطب

أبو نواس ويقال إنهُ أمدح بيت للمحدثين

وكلتُ بالدهر عيناً غير غافلة   بجودِ كفيك تأسو كلَّ ما جرحا

أخذه أبو الطيب وزاد فيهِ حسن التشبيه فقال

تتَّبع آثارَ الرزايا بجوده   تتبُّع آثارِ الأَسنة بالفتل

أبو نواس وهو من قلائده فى وصف الخمر

اذا ما أتت دون اللَّهاة من الفتى   دعا همهُ من صدره برحيل (١)

أخذهُ أبو الطيب ونقلهُ الى معنى آخر فقال

وماهي إلا لحظة بعد لحظة   إذا نزلت فى قلبهِ رحل العقل

---

١ اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم

ابن أبي عيينة ، ويروى للخليل

زُرْ واديَ القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر ان شئت أو بادي
ترقى به السفن والظُّلمان حاضرة والضبُّ والنونُ والملاّح والحادي (١)

وهذا أحسن ماقيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البرّ والبحر والحاضرة والبادية. ألمّ به أبو الطيب في وصف متصيّد عضد الدولة بناحية سهلية جبليّة تجمع الأضداد

سَقياً لِدَشتَ الأَرزن الطوالِ بين المروج الفيح والأَغيال (٢)
مجاورَ الخنزير والرئبالِ داني الخنانيص من الأَشبال (٣)
مستشرفَ الذئب على الغزال مجتمع الأَضداد والاشكال

بعض العرب وهو من الأَمثال السائرة

اذا بَلَّ من داءٍ به ظن أنهُ نجا وبه الداءُ الذي هو قاتله (٤)

أخذهُ أبو الطيب فقال وأحسن

وإن أسلم فما أبقى ولكن سلمتُ من الحِمام الى الحِمام

بعض الرُّجّاز

هل يغلبنّي واحدٌ أُقاتله ريم على لبّاته سلاسله (٥)
سلاحهُ يوم الوغى مكاحله

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصفَ وأظهر الغرض حيث قال

من طاعني ثُغْرَ الرجال جآذرٌ ومن الرماح دمالج وخلاخل

---

١ الظلمان جمع ظليم وهو ذكر النعام والنون الحوت والحادي من يسوق الابل ويزجرها
٢ الدشت الصحراء وهي لفظة فارسية والارزن الشجر والفيح الواسع ومفرده فيحاء والغيل أجمة الاسد ٣ الخنانيص أولاد الخنزير ٤ الابلال النجاة من المرض ٥ الريم الظبي الخالص البياض واللبة موضع القلادة

ولذا اسمُ أغطية العيون جفونها   من أنها عملَ السيوف عوامل

أبو تمام

غرُبت خلائقهُ وأغرب شاعر   فيه فأبدَع مُغرِب في مُغرب

أخذه أبو الطيب فقال

شاعر المجد خِدنُه شاعرِ اللفـ   ـظ كلانا ربُّ المعانى الدقاق

أبو تمام

يمدُّون بالبيض القواطع أيدياً   فهن سواءٌ والسيوف قواطع

أخذهُ أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال

همام إذا مافارق الغمد سيفهُ   وعاينته لم تدر أيهما النصل

ابن الرومى

لاقدّست نعمى تسربلتها   كم حجة فيها لزنديق

أخذهُ أبو الطيب فقال

فانهُ حجة يؤذى القلوبَ بها   مَن دينه الدّهر والتعطيل و القدم

ولابن الرومى وأجاد

وأحسنُ من عقد العقيلة جيدها   وأحسنُ من سرْبالها المتجرِّدُ

أخذهُ أبو الطيب فقال

وربّ قبح وحُلّى ثقالِ   أحسنُ منها الحسنُ في المعطال

عبيد الله بن طاهر

وجرَّبت حتى لاأرى الدهر مُغْرِبا   على بشيء لم يكن في تجاربى

أخذه أبو الطيب فقال

قد بلوت الخطوب حلواً ومراً   وسلكتُ الأيام حزْنا وسهلا (١)

---

١ الحزن ضد السهل وهو الصعب

وقلتُ الزمانَ علما فما يُعْـ   ـرِبُ قولا ولا يجدِّد فعلا

وكرر هذا المعنى فقال

عرفتُ الليالي قبل ماصنعت بنا   فلما دهتنا لم تزدني بها علما

وكتب ابنُ المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيهِ عن ابنهِ أبي محمد ، ويسليه ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتا منها

ولقد غبنْتَ الدهرَ اذ شاطرتهُ   بأبي الحسين وقد ربحتَ عليه

وأبو محمدٍ الجليلُ مصابهُ   لكنّ يُمْنى المرءِ خيرُ يديهِ

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن أختهِ الصغرى ، ويسلّيهِ ببقاء الكبرى حيث قال

قاسمتكَ المنونُ شخصين جَوْرا   جعل القسمَ نفسهُ فيك عدلا

فإذا قستَ ماأخذن بما غا   دَرْن سرَّى عن الفؤاد وسلاّ

وتيقنتَ أن حظك أوفي   وتبينتَ أن جدك اعلى

وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركهِ الاقرار بالنظر في شعر المحدَثين فمما أخذهُ منهُ قولهُ

تكسّبُ الشمسُ منك النورَ طالعةً   كما تكسب منها نورَها القمرُ

وهو معنى قول ابن المعتز

البدرُ من شمس الضحى نورهُ   والشمس من نورك تستملى

وأخذ قولهُ وهو من قلائده ولعلهُ أمير شعره

أزورُهم وسوادُ الليل يَشفعُ لى   وأنثني وبياض الصبح يُغْرِي بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جني قال حدثني المتنبي — وقت القراءة عليه — قال لى ابن حنزابة وزير كافور : أعلمت أني أحضرتُ كتبي كلها وجماعةً من الأدباء يطلبون لى من أين أخذتَ هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ؟ وكان أكثر

من رأيتُ كتبا

قال ابن جني ثم انى عثرت بالموضع الذى أخذه منهُ اذ وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ ليّـن صغير جدا فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه وهو قولهُ فالشمسُ نمامةٌ والليل قوّاد

ولن يخلو المتنبي من احدى ثلاث: اما أن يكون ألمّ بهذا المصراع فحسنهُ وزينهُ، وصار أولى بهِ، ابن المعتز فأربى عليهِ في جودة الأخذ . واما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعهُ وتفرد بهِ ، فلله دره . وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه .

وما أحسن ماجمع فيهِ أربعَ مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سُبق الى مثلها وما زال الناس يعجبون من جمع البحترى ثلاث مطابقات فى قولهِ

وأُمةٍ كان قبحُ الجَوْرِ يُسخطها دهراً فأصبح حسنُ العدل يرضيها

حتى جاء أبوالطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة

ولبعض أهل العصر بيتٌ بجمع خمسَ مطابقات ، ولكنهُ لايستقلُّ إلا بإنشاد بيتين قبلهُ وهي :

عَذيرى من الأيام مدّت صروفُها الى وجه من أهوى يدَ النسخ والمحق
وأبدت بوجهى طالعاتٍ أرى بها سهامَ أبي يحيى مسددةً نحوي
فذاك سوادُ الخط ينهى عن الهوى وهذا بياضُ الوخط يأمر بالصحو (١)

وقال ابن الرومي

أرى فضلَ مال المرءِ داء لعرضهِ كما أنَّ فضـل الزادِ داءٌ لجسمهِ
فليس لداءِ العِرْض شيءٌ كبذلهِ وليس لداء الجسم شيءٌ كحسمه

ألمّ بهِ أبو الطيب فقال

يتداوَى من كثرة المـال بالإقـ ـلال جوداً كأنّ مالاً سِقام

١ الوخط فشو الشيب

بعض ماتكرر في شعره من معانيه

قال [في سيف الدولة]

وأنتَ المرءُ تمرضهُ الحشايا لهمتهِ وتشفيهِ الحروب

وقال [يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر]

وما في طبهِ أني جواد أضرَّ بجسمهِ طُول الجمام (١)

وقال [يمدح بدر بن عمار]

ليت الحبيبَ الهاجري هجرْ الكرى من غير جُرْمٍ واصلي صلةَ الضنا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين]

فياليت مابيني وبينَ احبتي من البُعد مابيني وبينَ المصائب

وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي]

إذا بدا حجبت عينيك هيبتهُ وليس يحجبهُ ستر إذا احتجبا

وقال [وقد حجبه بدر عمار]

أصبحتَ تأمرُ بالحجاب لخلوةٍ هيهاتَ لست على بالحجاب بقادر

من كان ضوءُ جبينهِ ونواله لم يُحجبا لم يَحتجب عنْ ناظر

فاذا احتجبتَ فأنتَ غير محجب واذا بطنتَ فأنت عينُ الظاهر

وقال [من قصيدة يمدحه بها]

أميرٌ أميرٌ عليهِ الندَى جوادٌ بخيلٌ بأن لا يجودا

وقال

ألاَ إن النـدى أضحى أميرا على مال الامير أبى الحسين (٢)

---

١ الجمام أن يترك الفرس بلا ضراب والضمير فى طبه يعود على الطبيب

٢ لم نعثر على هذا البيت فى الديوان

وقال [يمدح بدر بن عمار]

ومالٍ وهبتَ بلا مَوْعد　　　وقِرنٍ سبقتَ اليه الوعيدا

وقال [من القصيدة التى كتبها الى السلطان من حبسه]

لقد حال بالسيف دون الوعيد　　　وحالت عطاياه دون الوعود

وقال [من قصيدة يمدح بها كافورا]

وما رغبتى في عسجد أستفيدهُ　　　ولكنها فى مفخرٍ استجدُّهُ

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر]

فسرتُ اليكَ في طلب المعالي　　　وسارَ سوايَ في طلب المعاش

وقال [يمدح سعيدَ بن عبد الله]

قد علَّم البين منا البينُ أجفانا　　　تدمى وألف في ذا القلب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل]

كأن الجفونَ على مقلتيّ　　　ثيابٌ شُققنَ على ثاكل

وقال [يمدح بدر بن عمار]

كأنكَ بالفقرِ تبغى الغنى　　　وبالموت فى الحرْب تبغى الخلودا

وقال [في الحسين بن اسحق التنوخي]

كأنك في الإعطاء للمال مبغضٌ　　　وفي كلِّ حربٍ للمنية عاشقُ

وقال [في سيف الدولة]

ومن فرّ من احسانه حسدا لهُ　　　تلقَّاه منهُ حيث ماسار نائل

وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران]

فكأنما نُتجتْ قياماً تحتهم　　　وكأنما وُلدوا على صهواتها[1]

وقال [في الحسن بن عبد الله بن طغج]

---

١ الصهوات جمع صهوة وهى ظهور الخيل

وطعنَ غطاريفٍ (٢) كأنأ كفهم عرفنَ الردينيَّات قبلَ المعاصم

وقال [يشكو الحمى بمصر]

جرحت مجرّحا لم يبقَ منهُ مكانٌ للسيوف وللسهام

وقال [في مرثية والدة سيف الدولة]

رماني الدهرُ بالأرزاء حتى فؤادي في غِشاء من نبالِ

فصرتُ اذا أصابتني سهام تكسرتِ النصالُ على النصالِ

وقال [يمدح اباعلي هارون بن عبدالله الكاتب]

وشكيتي فقدُ السقام لأنه قد كان لما كان لي أعضاء

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً]

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي شيئا تتيمهُ عين ولا جيد

وقال [يصف مدينة مَرْعش]

تصدُّ الرياحُ الهوجُ عنها مخافةً وتفزع فيها الطيرُ أن تلقطَ الحبَّا

وقال [من قصيدة في مدح كافورا]

اذا أتتها الرياحُ النُّكْبُ في بلد فما تهب بها الاَّ بترتيب

وقال [يمدح الحسن بن عبيدالله بن طغج]

اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجةً تدوّرَ فوق البيض مثل الدرهم

وقال [في عضد الدولة]

وألقى الشرقُ منها في ثيابي دنانيراً تفرُّ منَ البنان

وقال [يمدح ابا شجاع محمد بن أوس]

ولقد بكيتُ على الشباب ولِمتي مسوَدّةٌ ولِماءَ وجهي رَوْنَقُ

حذراً عليه قبلَ يومِ فراقهِ حتى لكدتُ بماءِ جفني أشرَقُ

---

١ الغطاريف جمع غطريف وهو السيدالشريف

وقال [وقد أهداه عبد الله بن خراسان هدية]

هديةٌ ما رأيتُ مهديَها   الا رأيتُ العبادَ في رجل

وقال [يمدح بدر بن عمار

أحلما نَرى أم زمانا جديدا]   أم الخلقُ في شخص حى أعيدا

ومثلهُ [فى الحسين بن اسحاق التنوخي

هي الغرضُ الاقصى ورؤيتك المنى]   ومنزلكَ الدنيا وأنتَ الخلائقُ

ثم كررهُ وزاد فيه فقال

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنَّما   ردَّ الإلهُ نفوسَهم والأعصُرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما   وأتى فذلك اذ اتيت مؤخرا

والاصل فيه قول أبي نواس

ليس على الله بمستنكر   أن يجمعَ العالَم في واحد

وقال   متى تخطّى اليهِ الرجلُ سالمةً   تستجمع الخلق في تمثال انسان (١)

وقال فى سيف الدولة

هو الشجاع يعد البخل من جبن   وهو الجواد يعد الجبن من بَخَل

وقال [وقد ضرب ابو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤّاله وغاشيته]

فقلت إنَّ الفتى شجاعتَهُ   تريهِ في الشحِّ صورة الغرقِ

والأصل فيه قول ابى تمام

ايقنتُ أنَّ من السماح شجاعة   تدمى وأن من الشجاعة جودا

وقال [يمدح ابا شجاع عضد الدولة]

ومَنْ أعتاضُ منك إذا افترقنا   وكلُّ الناس زُورٌ ما خلاكا

وقال فى مثلهِ فتبرَّد وبالغ

١ لم اعثر عليه فى الديوان

إنما الناسُ انتُ وما النا سُ بناس فى موضع منك خالي [1]

وقال [فى سيف الدولة]

اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض ومَن فَوْقها والبأس والكرمُ والمحضُ

وقال [فيه أيضا]

وما أخصكَ فى بُرءٍ بتهنئة إذا سلمْتَ فكلُّ الناس قد سلموا

وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد]

تجاوز قدرَ المدح حتى كأنهُ بأحسن مايثنى ما عليه يعاب

وقال [فى عبد الله بن يحيى البحترى]

وعُظمُ قدرك فى الآفاق أوهمنى أنى بقلة ما أثنيتُ أهجوكا

وقال [يرثى عمه عضد الدولة]

وكانَ من عدّدَ إحسانهُ كأنهُ أسرفَ فى سبهِ

والأصل فى هذا قول البحتري

جلَّ عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاء

وقال [وهو مما سبق اليه]

نالَ الذى نلت منهُ منى لله ما تصنع الخمور

وقال

أفيكم فتى حيٌّ فيخبر ناعياً بماشربت مشروبةُ الراح من ذهنى

وقال [يمدح سيف الدولة]

عليمٌ بأسرار الديانات واللُّغى لهُ خطرات تفضحُ الناسَ والكتبا

وقال [في أبى العشائر علي بن الحسين]

كأنك ناظر في كل قلب فما يخفى عليك محل غاشِ

١ البيت آخر قصيدة مدح بها عبد الرحمن بن المبارك الانطاكى

وقال

ووكل الظنّ بالاسرار فانكشفت　　لهُ سرائرُ أهل السهل والجبل

وقال [لبدر بن عمار يمدحه]

فاغفر فدًى لك واحبُني من بعدها　　لتخصني بعطية منها أنا (١)

وقال　　له أيادٍ اليّ سالفةٌ　　أعُدُّ منها ولا أعَدِّدُها (٢)

وقال [وهو من قلائده]

خير أعضائنا الرءوس ولكن　　فضلتها بقصدك الأقدامُ

وقال　　وإن القيام الأُلى حوله　　لتحسدُ أرجلها الأرؤس

وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة]

وما الحسن في وجه الفتى شرف له　　اذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال في وصف الخيل

إذا لم تشاهدْ غير حسن شياتها　　واعضائها فالحسنُ عنك مغيب (٣)

وقريب منهُ قولهُ

يحبُّ العاقلون على التصافي　　وحبُّ الجاهلين على الوِسام

وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء

ذلَّ من يغبطُ الذليلَ بعيش　　ربَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمام

وقال [في صباه]

عش عزيزاً أو مُتْ وأنت كريمٌ　　بين طعن القَنا وخَفْق البنود

وقال [لعلي بن ابراهيم التنوخي يمدحه]

إذا ما لم تُسيرْ جيشاً إليهم　　أسرْتَ إلى قلوبهم الهُلوعا (٤)

---

١ الحباء العطاء　٢ عدده أحصاه　٣ الشيات جمع شية وهي لون الفرس　٤ أسار وسير بمعنى والهلوع الجزع المفرط.

وقال بعثوا الرُّعبَ في قلوبِ الاعادى فكأنَّ القتالَ قبل التلاقي

وقال

قد ناب عنكَ شديدُ الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع البُهُمِ

وقال

أبصروا الطعنَ في القلوب دِراكا قبلَ أن يبصروا الرماح خيالا

وقال

صيامٌ بأبواب القِبابِ جيادُهم وأشخاصهم فى قلب خائفهم تعدُو

وقال

تغيرَ عنهُ على الغارات هيبتهُ وما لهُ بأقاصى البرّ اهمال

والأصلُ فيهِ قول النبي صلى الله عليه وسلم (نصرْتُ بالرُّعْبِ) ثم أكثر الناسُ فيه ومن أوجز ما قالوا قول على بن جبَلَة العَكوّك

غداً مجتمع العزم لهُ جند من الرعب

وقال أبو الطيب

وأتعب خلق الله من زادَ همُّه وقصر عما تشتهى النفسُ وُجدهُ

وقال

لحى الله ذى الدنيا مناخاً لِراكبٍ فكلٌّ بعيد الهم فيها معذَّب

وقال : ومَعالٍ اذا ادَّعاها سواهم لزمته خيانة السُّرَّاق

وقال : مسكينةُ النفحاتِ الا أنها وحشية بسواهم لاتعبق

والآن حينُ أذكر ماينعى على أبى الطيب من معائب شعره ومقابحه

ومن ذا الذى تُرْضى سجاياهُ كلها كفى المرءَ فضلا أنْ تعدَّ معائبه

ثم أُقفى علي آثارِها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده

فحسن دُراريّ الكواكبِ أن تُرى طوالعَ في داج الليل غيهب

فنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً والبراعة والجودة معنى لأنه أول مايقرع الاذن ويصافح الذهن فاذا كانت حاله على الضد مجه السمع وزجه القلب ، ونبت عنه النفس وجرى أوله على ماتقوله العامة (أول الدن دردي)[1] ولابي الطيب ابتداءات ليست لعمري من أحرار الكلام وغرره بل هي كما نعاها عليه العائبون مستشنعة لايرفع السمع لها حجابه ، ولا يفتح القلب لها بابه كقوله

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وماشفيت نسيسا[2]

فانه لم يرض بحذف علامة النداء من هذى ، وهو غير جائز عند النحويين حتى ذكر الرسيس والنسيس . فاخذ بطرفى الثقل والبرد ، وكقوله

(أوه بديل من قولتي وَاهَا)

وهو برقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك

وكقوله وهو ماتكلف له اللفظ المتعقد والترتيب المتعسف لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجه ، ولاتقول ولاتقوم فائدة الانتفاع به بأداء التأذى باستماعه

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه[3]

وكقوله في استفتاح قصيدة فى مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وفى الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا مافيه من الطيرة ، التى تنفر منها السوقة فضلا عن الملوك

حكى الصاحب قال ذكر الاستاذ الرئيس يوما الشعر ، فقال وإن أول مايحتاج

---

١ الدن وعاء الخمر والدردى ما يبقى بسفله ٢ الرسيس مارس وثبت فى القلب من حب أو غيره والنسيس بقية النفس ٣ الطاسم الدارس المحو والساجم السائل المنهمر

حَيِهِ إليه حسن المطلع فان ابن أبى الشباب أنشدنى فى يوم نيروز قصيدة ابتداؤها

أقبرٌ وما طلّتْ ثراكَ يدُ الطل ؟

فتطيرت من افتتاحه بالقبر وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت كذلك كانت حال ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله

لاتقل بشري ولكن بشريان غُرَّة الداعي ويومُ المهرجان

فانهُ نفر من قوله لا تقل بشرى أشدّ نفار ، وقال أعمي وتبتدئ بهذا في يوم مهرجان !

قال الصاحب ومن عنوان قصائده التى تحير الافهام وتفوت الاوهام ، وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتماطيقى ، وبالاعداد الموضوعة للموسيقى

أحادٌ أم سداسٌ في أحاد لُييلتنا المنوطةُ بالتنادى

وهذا كلام الحُكل ورطانة الزُّطّ (١) وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعانى المنبوذة ، فأيّ هزة تبقى هناكَ وأيّ اريحية تثبت هنا ؟ وقد خطّأهُ في اللفظ والمعنى كثيرمن أهل اللغة وأصحاب حتى احتيج في الاعتذار لهُ والنضح عنه الى كلام لا يستأهلهُ هذا البيت ، ولا يتسع لهُ هذا الباب

ومن ابتداءاته البشعة التى تنكرها بديهة السماع قوله (مُلِثٌّ القطر أعطشها رُبوعا)(٢) وقولهُ (أثلث فإنا أيها الطلل) وقوله (بقائى شاء ليس هم ارتحالا)

قال الصاحب ومن افتتاحه العجيبة قولهُ لسيف الدولة في التسلية عند المصيبة

لا يُحزِن اللهُ الاميرَ فانني لآخُذُ من حالاته بنصيب

قال الصاحب لاأدري لمَ لايحزن سيف الدولة اذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق !

---

١ الحكل مالا يسمع صوته كالذر والحكلة العجمة فى الكلام والزط جيل من الهنود يقيم الان فى اقليم البنجاب ٢ الملث الدائم

ومنها اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء

والافصاح بذلك فى شعره عن كثرة التفاوت وقلة التناسب وتنافر الأطراف، وتخالف الأبيات وما أكثر مايحوم حول هذه الطريقة ويعود لهذه العادة السيئة ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبيناهو يصوغ أنفر حلى ، وينظم أحسن عقد . وينسج أنفس وشي ، ويختال فى حديقة ورد ، اذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في ابعاد الاستعارة أو تغويص اللفظ أوتعقيد المعنى الى المبالغة في التكلف والزيادة فى التعمق والخروج إلى الافراط والاحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن وكدر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لامساغ لها . واستهدف لسهام العائبين وتحكك بألسنة الطاعنين فمن متمثل بقول الشاعر

أنتِ العروسُ لها جمالٌ رائقٌ ۝ لكنها فى كلِّ يوم تصرَعُ

ومن مشبِّه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل علي غرائب المأكولات وبدائع الطيبات، ثم يتبعها بطعام وضر وشراب عكر ، أومن يتبخر بالندِّ المعشب المثلث ، المركب من العود الهندى والمسك الأصهب والعنبر الاشهب ، ثم يرنقهُ بإرسال الريح الخبيثة ، ويفسده بالرائحة الردية . اوبالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم، وطرائف الحكم ، ثم يعتريه سكرةُ الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذرونى فان العذرة متعذرة ، فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قولهُ

أتراها لكثرةِ العشاق ۝ تحسبُ الدمع خلقةً فى المآقي

وهو ابتداء ماسمع بمثله ومعنى تفرد بابتداعه ، ثم شفعهُ بما لا يبالى العاقل أن

يسقطه من شعره فقال

كيف ترثى التي ترى كلَّ جفن   رآءها غيرَ جفنها غير راقي

وقوله

ليالىَّ بعد الظاعنين شُكُولُ   طوالٌ وليلُ العاشقين طويلُ
يُبنَّ لِيَ البدرَ الذي لاأريده   ويخفين بدراً ماإليه وصول
وماعشتُ من بعدالاحبة سلوة   ولكنني للنائبات حمول
وما شرَقى بالماءِ إلا تذكراً   لماءٍ بهِ أهلُ الخليط نزول
يحرّمهُ لمعُ الاسنة فوقه   فليس لظمآنٍ إليهِ سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل فى ألفاظها فجاءت مصنوعة ثم اعترضتهُ تلك العادة المذمومة فقال

أغرّكم طولُ الجيوش وعرْضها   علىَّ شروب للجيوش أكول
إذا لم يكن لليث إلا فريسة   غذاهُ ولم ينفعكَ أنك فيل

ثم أتى بما هو أطمُّ منه فقال ، وذكر الصاحب أنهُ من أوابده التي لايسمع طول الابد بمثلها

إذا كان بعضُ الناس سيفاً لدولة   ففى الناس بوقاتٌ لها وطبول
فإن تكن الدُّولاتُ قسماً فإنها   لمن ورد الموتَ الزؤامَ تدول

قال الصاحب قولهُ الدولات وتدول من الألفاظ التيلورزق فضلَ السكوت عنها لكان سعيداً . وقال من قصيدة جمع فيها بين الشذرة والبعرة ، والدرة والآجُرَّة .

لك يامنازلُ في الفؤاد منازل   اقفرتِ أنتِ وهنَّ منكِ أواهل

وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ثم قال

وأنا الذى اجتلبَ المنيةَ طرفهُ   فمن المطالَبُ والقتيلُ القاتلُ

وهو وان كان مأخوذاً من قول دِعبل

لاتطلبا بظلامتي أحداً طرفي وقلبي في دمي اشتركا

فانه آخذ بأطراف الرشاقة والملاحة، ثم استمرّ في قصيدته فجاء بالمتوسط المقارب والبديع النادر والردي النافر حيث قال

ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عملَ السيوف عوامل

وهذا معنى في نهاية الحسن واللطف لوساعده اللفظ، ثم قال

كم وقفة سجرتك شوقا بعد ما غَرِيَ الرقيبُ بنا ولجّ العاذل (١)

فلم يحس موقع قوله سجرتك أي ملأتك (هكذا الرواية بالجيم، ولوكانت بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح

دون التعانق ناحلين كشكلتيْ نصبٍ أدقّهما وضمّ الشاكلُ (٢)

أى قريب بعضنا من بعض، ولم نتعانق خوف الرقيب

الاحسان

للّهو آونةٌ تمرّ كأنها قُبَلٌ يزوّدها حبيب راحل

جمحَ الزمانُ فما لذيذٌ خالصٌ مما يشوبُ ولا سرورٌ كامل

حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤْ يتهُ المنى وهو المقام الهائل

قال ابن جنى وهذا خروج غريب ظريف حسن، ما أعرفه لغيره يقول إن المنى رؤيتهُ إلاّ أن هيبته تهول، ثم قال فجمع اوصافا في بيت واحد

للشمس فيه وللرياح وللسحا ب وللبحار وللأسود شمائل

ثم قال وتحذق وتبرد

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحيات وملمات مناهل (٣)

---

١ في الديوان سجرتك وهو خطأ كما اشار الثعالبي ٢ يريد بالشكل علامات الضبط المعروفة ٣ يريد من العقيان ومن الحياة ومن الممات

وانما ألمَّ في صدر هذا البيت بقول أبي تمام (نأخذ من ماله ومن أدبه) ثم قال

علاّمة العلماء واللجُّ الذي لا ينتهي ولكلِّ لجٍّ ساحل

ثم قال فأحال

لو طابَ مولدُ كلِّ حيٍّ مثله ولدُ النساءُ ومالهن قوابل

قال القاضى أبو الحسن إن طيب المولد لايستغنى به عن المقابلة ، وإن استغنى عنها كان ماذا ، وأيّ فخر فيه ، وأيّ شرف ينالُ به ، ثم توسط وقارب فقال

ليزد بنو الحسن الشّراف تواضعا هيهات تُكتم في الظلام مشاعل

ستروا الندى سترَ الغراب سِفادَه فبدا وهل يخفي الرَّباب الهاطل (١)

ثم قال وتوحش وتبغض ماشاءَ الحاسد

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الاغرِّ دلائل

يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال

يافْخَرْ فان الناس فيك ثلاثةٌ مستعظم أو حاسد أو جاهل

أى ياهذا افخر فحذف المنادى وتباغض وتبادى ، ثم قال

لا تجسر الفصحاءُ تنشدُ ههنا شعراً ولكنى الهزبرُ الباسل

ثم قال وارسلهُ مثلا سائرا وأحسنَ جدا

وإذا اتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادةُ لى بأنى كامل

ما نال أهلُ الجاهلية كلهم شعري ولاسمعت بسحرى بابل (٢)

ثم قال وتعسف في اللفظ

أما وحقك وهو غاية مقسم لَلحقُّ أنت وما سواك الباطل

الطيبُ أنت إذا أصابك طيبهُ والماءُ انت اذا اغتسلتَ الغاسل

والتقدير الكلام الطيبُ أنت طيبهُ إذا أصابك ، والماءُ أنت غاسلهُ إذا اغتسلت

---

١ السفاد النزو والرباب المطر ٢ فى الديوان مازال

به وإنما ألمَّ فيهِ بقول القائل

وتزيدين طيّب الطيب طيباً　　إن تمسيه أين مثلك أينا ؟!

وقال من قصيدة كهذه التي تقدمت

قد علم البينَ منا البينُ أجفانا　　تَدْمَي وألف فى ذا القلبِ أحزانا

أمّلتُ ساعةساروا كشف معصمها　　ليلبث الحيُّ دونَ السير حيرانا

بالواخدات وحاديها وبى قمر　　يظل من وخدها فى الخدر حشيانا

وحشيان بالحاء المهملة من الغريب الوحشى ، الذى لايأنس به السمع ، ولايقبلهُ القلب . يقال حشي الرجل يحشي حشيا فهو حشيان إذ أخذهُ البهر . يقول إذا وخدت الابل تحت هذا القمر أخذهُ البهر لترفه

ومن المؤدبين من يروى خشيانا بالخاء معجمة من الخشية ، ثم قال وأحسن بلطف وظرف

قد كنتُ أشفق من دمعى على بصرى　　فاليومَ كلٌّ عزيز بعدكم هانا

ثم أراد أن يزيد على الشعراء فى وصف المطايا ، فأتى كما قال الصاحب بأخزى الخزايا فقال

لواستطعتُ ركبتُ الناسَ كلهم　　إلى سعيد بن عبد الله بُعرانا

قال الصاحب ومن الناسِ أمه فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعلهُ عصبة لا يريد أن يُركبوا إليه . فهل في الأرض أخش من هذا السخب وأوضع من هذا التبسط ، ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقولهِ

فالعيسُ أعقلُ مِن قوم رأيتهم　　عما يراهُ من الإحسان عميانا

وقال ، ثم قال وأجاد فى مدح الممدوح

إن كوتبوا أولقوا أو حوربوا وُجدوا

في الخطّ واللحظ واللفظ والهيجاء فرسانا

كأنْ ألسنهم في النطق قد جُعلت   على رماحهم فى الطعن خِرْصانا(١)
كأنهم يرِدون الموتَ من ظمأ   أو ينشقون من الخطىّ ريحانا

ثم قال :

خلائق لو حواها الزّنج لانقلبوا   ظميَ الشفاه جعادَ الشعر غرّانا (٢)

والزنجى لا يوجد الأجعدَ الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ، وقد احتج عنه أصحاب المعانى بما يطول ذكره . والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة

وملمومةٌ زَردٌ ثوبُها   ولكنه بالقنا مِخملُ
يفاجىءُ جيشاً بها حَينُه   وينذر جيشاً بها القسطل

ثم يتصور في هذا الكلام الغثّ الرث فيتبعهُ به حيث يقول

جعلتك في القلب لى عدّة   لأنك باليد لا تجعل

ولو قالهُ بعض صبيان المكاتب لاستحيي لهُ منهُ

ومنها استكراه اللفظ وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ، ويأخذ عليها فى الطرق الوعرة فيضلّ (٣) ويضل ويَتعب ويُتعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة

فتبيت تُسْئِدُ مسْئداً في نيِّهَا   إسئادَها في المهمه الأنضاءُ (٤)

وتقديره : فتبيت تسئد مسئد الانضاء فى نيها اسأدها في المهمه أى كلما قطعت الأرضَ قطعت الارض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا ، ويقول فى المدح

أنى يكونُ أبا البرايا آدم   وأبوك والثقلان أنتَ محمد

١ الخرصان جمع خرص وهو الرمح نفسه ٢ الشفة الظمياء الذابلة فى سمرة والغران جمع أغر وهو الابيض من كل شيء ٣ صل : صوت ٤ الاسئاد الاسراع فى المشى ليلا والني الشحم والمهمه الارض الواسعة والانضاء الهزال

وتقديره انى يكونُ آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنتَ الثقلان ، وقال من نسيب قصيدة

إذا عذلوا فيها أجبت بأنّةٍ حُبيّبتا قلبي فؤادي هيا جُمْلُ

أراد ياحبيبتي ثم أبدل الياء من حبيبتي ألفا تخفيفاً ، وقلبي منصوب لأنه بدل من حبيبتا وفؤادى بدل من قلبي ، وهذا كقولك أخى سيدي مولاي نداء بعد نداء ، ويقال فى النداء يازيد وأيازيد وهيا زيد

وأشباه هذه الابيات كثيرة فى شعره كقولهِ

لسانى وعينى والفـؤاد وهمتى أودّ اللواتى ذا اسمها منكَ والشطر

وقـوله

فتى ألف جزءٍ رأيهُ فى زمانهِ أقلُّ جزىءٍ بعضهُ الرأى أجمع

وقـوله

لولم تكن من ذا الورى اللذ منكَ هُو عَقِمت بمـولد نسلها حـوّاءُ

وهو مما اعتلّ لفظه ولم يصح معناه ، فاذا قرع السمع لم يصل إلى القلب الا بعد إتعاب الفكر وكدّ الخاطر ، والحمل على القريحة . إن ظفر بعد العناء والمشقة فقلمّا يحصل على طائل

ومنها عسف اللغة والاعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكارهُ وأن كان عند المحتجين عنهُ الاعتزارُ لهُ والمناضلةُ دونهُ كقولهِ

فدى من على الغبراءِ أوّلهم أنا لهذا الأبيّ الماجد الجائد القرم

ولم يُحك عن العرب الجائد وانما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد وكقوله

فأرحامُ شِعرٍ تتصلنَ لدُنّهُ وأرحام مالٍ لا تنى تتقطع

وتشديد النون من لدنّ غيرُ معروف في لغة العرب وكقوله :

شديد البعد من شرب الشّمول ترُنج الهندِ أو طلع النخيل

والمعروفُ عن العرب الأُترج ، والترنج مما يغلط فيهِ العامة . قال الصاحب لا أدرى الاستهلالُ أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟ وكقوله

بيضاء يمنعها تكلّم دلُّهـا تيهاً ويمنعها الحياء تميسـا

فنصب تميس مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين . وكقولهِ

وتـكرّمتَ رُكباتها عن مبرك تقعان فيهِ وليس مسكاً اذفرا

فجمع الركبات ثم انتقل الى التثنية فقال تقعان ، وهو ضعيف وغيرُ سديد في صناعة الإعراب ، وكقوله

ليس إلاك يا علىّ همـام سيفه دون عِرضه مسلول

وكقولهِ : لم ترَ من نادمت إلاكا لالسوى ودك لى ذاكا

فوصل الضمير بالاّ وحقهُ أن ينفصل عنهُ كما قال الله تعالى (ضلّ مَنْ تَدْعُونَ إلاَّ إيَّاهُ) وكقولهِ « لأنتَ أسودُ في عيني من الظلم » وألف التعجب لا تدخل على أفعل وإنما يقال أشدّ سواداً وحمرة وخضرة وكقوله « جلَلّا كما بى فليك التبريحُ » وحذف النون من يكن إذا استقبلها الالف واللام خطأ عند النحويين ، لأنها تتحرك إلى الكسر وإنما تحذف استخفافاً اذا سكنت وكقولهِ « أمط عنكْ تشبيهي بما وكأنه » والتشبيه محال وكقوله

لعظمت حتى لو تكون أمانةً ما كان مؤتمناً بها جبرين

قال الصاحب وقلب هذه اللام إلى النون أبغضُ من وجه المنون ، ولاأحسب جبرائيل عليهِ السلام يرضى منه بهذا المجاز ، هذا على ما فى معنى البيت من الفساد والقبح . وكقولهِ

حملتُ إليه من ثنائى حديقةً سقاها الحجاسقَ الرّياضَ السحائبِ

اى سقى السحائب الرياض

ومنها الخروج عن الوزن

كقوله

تفكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب مفاعيلن في عروض الطويل غير مصرع وانما جاء مفاعلن . قال الصاحب ونحن نحا كمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعداً

قال القاضي أبو الحسن وقد عيب أيضا بقوله

إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب

لانه أخرج الرمل على فاعلاتن ، وأجري جميع القصيدة على ذلك في الابيات غير المصرعة ، وإنما جاء الشعر على فاعلن وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن

ومنها استعمال الغريب الوحشي

واذا كان المتنبي من المحدثين بل من العصريين وجرى على رسومهم في اختيار الالفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل ربما انحطعنهم بالركاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على اقحاح المتقدمين حصل كلامه بين طرفي نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين . فمن ذلك الفن الذى ينادى على نفسه ويفاق موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره قوله

وما أرضى لمقلته بحلم اذا انتبهت توهمه ابتشاكا

والابتشاك الكذب ، ولم اسمع فيه شعراً قديما ولا محدثا سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث

لساحيه على الأجداث حفش كأيدى الخيل أبصرت المخالى

الساحي القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش مصدر

حَبَشَ السيل حَفَشاً إذا جمع الماءُ من كل جانب إلي مستنقع

وقوله في وصف السيف

ودقيق قَدَى الهباءِ أنيق   متوالٍ فى مستوٍ هزهاز

قدى بمعنى مقدار يقال بينهما قيد رمح وقدى رمحٍ وقولهُ

(نَطِسُ الخدودَ كما تطسنُ اليرَمعا)

تطسن اى تدق واليرمع الحجارة الرخوة

وقوله

وإلى حصى أرض أقام بها   بالناس من تقبيلها يلل

اليلل : إقبال الأَسنان وانعطافها على باطن الفم ولم أسمعهُ فى شعر غيره

وقوله

«الشمس تشرق والسحاب كنهورا » الكنهور القطع من السحاب العظيمه

وقوله

« وقد عمرت توالا ايها النال » والنال المعطي

وقوله

«أسائلها عن المتدَيِّريها» قال الصاحب لفظة المتديريها لو وقعت في بحر صاف لكدرتهُ ، ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهده ،وليس للمقت فيها نهاية ولا للبرد معها غاية ، المتديروها المتخذوها دارا

قال الصاحب ومن أطمّ مايتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة حتى كأنهُ وليد خباء وغذىّ لبن لم يطأ الحضر ،ولم يعرف المدر فمن ذلك قولهُ

أيفطمهُ التَّوْرَابُ قبل فِطامهِ   ويأكلهُ قبل البلوغ الى الاكل

وليس ذلك سائغاً لمثله وهو وليد قرية ، ومعلم صبية

ومن الجموع الغريبة التى يوردها قولهُ فى جمع الارض

أروضُ الناسِ من تربٍ وخوفٍ وأرضُ ابى شجاع من أمانِ

وقولهُ فى جمع اللغة « عليم بأسرار الديانات واللغَى »

وقوله فى جمع الدنيا « أعزُّ مكان فى الدُّنى سرج سابح »

وقولهُ فى جمع الأخ « كل آخائه كرام بنى الدنيا » قال الصاحب لو وقع الآخاء فى رائية الشماخ لاستثقل فكيف مع ابيات منها

قد سمعنا ماقلتَ فى الاحلام وانلناك بَدرةً فى المنام

والكلام إذا لم يتناسب زينتهُ جهابذته وبهرجتهُ نقاده

ومنها الركاكة والسفسفة بالفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

كقوله

رمانى خساسُ الناس من صائب استه وآخر قطنٌ من يديه الجنادل

وقوله وإن ماريتنى فاركبْ حصانا ومثّلهُ تخرُّ لهُ صريعا

وقوله

إن كان لا يدعى الفتي الا كذا رجلاً فسمِّ الناس طرًّا اصبعا

وقوله

قسًا فالأُسدُ تفزع من يديه ورقٌّ فنحن نفزع أن يذوبا

وقوله تألّمَ دَرزه والدرزُ لينٌ كما يتألّم العضب الصّنيعا

وعلى ذكر الدرز فقد حكى الصاحب فى كتاب الروزنامجة من حديث لحظة الطولونية المغنية مايشبه معنى هذا البيت ، وهو أنهُ قال سمعتها تقول ياجارية علىَّ بالقميص المعمول في النسج فقد آذانى ثقل الدروز وقوله

لسرىّ لباسهُ خشن القطن ومروىُّ مروَ لبس القرود

وقوله ما أنصف القومُ ضبّه وأمهُ الطُّرطُبَّه

رمـوا برأس أبيهِ ونا كوا الأمّ غلبه

وقوله والفظ درّ يريك الدرّ مخشلبا

وقوله

إن كان مثلك كان أو هو كائن فــبرئتُ حينئذٍ من الاسلامِ

قال الصاحب حينئذٍ ههنا أنفر من عنز منفلت

قال ومن ركيك صنعهِ فى وصف شعره والزراية على غيره قوله

إن بعضاً من القريض هراءٌ ليس شيئاً وبعضه أحـكام

منه ما يجلب البراعة والذهـ ـن ومنهُ ما يجلب البرْسامُ

قال وههنا بيت ترضى باتباعه فيه ، وماظنك بمحكم مناويهِ ثقة بظهور حقـه وابراء زنده، وإن لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب العزم ومقتضى الحزم، وهو

أطعناك طوعَ الدّهرِ يا بنَ ابنِ يوسف بشهوتنا والحاسدُو لك بالرغم

وقوله

تقضم الجمرَ والحديدَ الأعادى دونهُ قضم سكّرِ الأهواز

وقوله

فكأنما حسب الأسنةَ حلوة أوظنها البرنى والآزاذا (١)

قال الصاحب اذاجمع السكر إلى البَرْنِي والأزاذ تم الامر . قال وكانت الشعراء تصف المآزر تنزيها لالفاظها عما يستشنع ذكره حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذى لم يهتد لهُ غيرهُ فقال

إنى على شغفي بما فى خُمْرِها لأعِفُّ عما في سراويلاتها

وكثير من العُهر أحسن من هذا العفاف ، قال القاضى ومن أمثالهِ العامية قوله وكل مـكان أتاهُ الفتى على قدر الرِّجل فيه الخطي

---

١ الازاذ والبرني نوعان من التمر

ومنها ابعاد الاستعارة والخروج بها عن حدها

كقوله

مسرةٌ في قلوب الطيب مفرِقها　　　وحسرةٌ في قلوب البيض واليلب

وقوله

تجمعت فى فؤادهم همم　　　ملء فؤاد الزمان إحداها

وقوله

لم يحك نائلك السحابُ وانما　　　حُمَّت به فصبيبها الرُّحضاء (1)

وقوله

إلا يشبْ فلقد شابت لهُ كبد　　　شيباً إذا خضَّبتهُ سلوةٌ نصلا

وقوله

وقد ذقت حلواءَ البنين على الصبا　　　فلا تحسبنّى قلت ماقلت عن جهل

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوبا وللسحاب حمى وللزمان فؤاداً وللكبد شيبا ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة وطرق من الشبه والمقاربة

قال الصاحب ومازلنا نتعجب من قول أبي تمام (لا تسقنى ماءَ الملام) نخف علينا بحلواء البنين

ومنها الاستكثار من قول ماذا

قال القاضي وهي ضعيفة في صنعة الشعر دالة على التكلف ، وربما وافقت موضعا تليق به فاكتست قبولا فأما في مثل قوله

قد بلغتَ الذي أردتَ من البـ　　　ـرِّ ومن حقٌ ذا الشريف عليكا

١ الرحضاء عرق المحموم

وإذا لم تسر إلى الدار في وقـ تك ذا خفتُ أن تسير إليكا

وقوله

لولم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حواء

وقوله

عن ذا الذي حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه لجماله

وقوله وإن بكينا له فلا عجب ذا الحزن في البحر غير معهود

وقوله

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الاقدام للوجه لائم

وقوله

أبا المسك ذا الوجه الذى كنت تائقاً إليه وذا الوقت الذى كنت راجيا

وقوله : وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقوله أريد من زمنى ذا أن يبلغنى ماليس يبلغه فى نفسه الزمن

وقوله يضاحك فى ذا اليوم كل حبيبة

فهو كما تراه سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ماذكرناه من هذه الاشارة ، وأنت لاتجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً ، والمحدثون أكثر استعانة بها لكن في الفرط والندرة أو على سبيل الغلط والفلتة

ومنها الافراط فى المبالغة والخروج فيه الى الاحالة

كقوله

وتالوا ماالشتهوا بالحزم هونا وصاد الوحش نملهم دبيبا

وقوله

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

فبعده وإلى ذا اليوم لو تركضت ... بالخيل فى لهوات الطفل ما سعلا

وقوله

وأعجب منك كيف قدرت تنشا ... وقد أعطيت في المهد الكمالا

وأقسم لو صلحت يمين شيء ... لما صلح العباد له شمالا

وقوله

بمن أضرب الامثال أم من أقيسه ... إليك وأهل الدهر دونك والدهر

وقوله

ولو قلم ألقيت في شق رأسه ... من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقوله

من بعد ما كان ليلي لا صباح له ... كأن أول يوم الحشر آخره

فهو مما يستهجن في صنعة الشعر على أن كثيرا من النقدة لا يرتضون هذا الافراط كله

ومنها تكرير اللفظ فى البيت الواحد من غير تحسين

كقوله

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ... ويجهل علمى أنه بى جاهل

وقوله فى هذه القصيدة

فقلقت بالهم الذى قلقل الحشا ... قلاقل عيس كلهن قلاقل

قال الصاحب وما زال الناس يستبشعون قول مسلم

سلت وسلت ثم سل سليلها ... فأتى سليل سليلها مسلولا

حتى جاء هذا المبدع فقال

وأفجع من فقدنا من وجدنا ... قبيل الفقد مفقود المثال

وأظنّ المصيبة في الرائى أعظم منها فى المرثىّ وقوله

عظمتَ فلما لَمْ تكلّمْ مهابةً تواضعت وهو العُظْمُ عُظماً عن العظم

قال الصاحب وما أحسن ما قال الاصمعى لمن انشده

فما للنوى جدّ النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعةٌ لوصال

لو سلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله وقوله

ولا الضعف حتي يتبع الضعف ضعفهُ ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وقوله ولم ار مثلَ جيرانى ومثلى لمثلى عندَ مثلهم مُقام

وقوله

العارض الهتنُ ابنُ العارضِ الهتنِ ابنِ العارضِ الهتنِ ابنِ العارضِ الهتنِ

وقوله

وإنى وإن كان الدفينُ حبيبَهُ حبيبٌ الى قلبى حبيبُ حبيبي

وقوله

لكَ الخيرُ غيرى رامَ مِن غيرك الغنى وغيري بغيرِ اللاذقيةِ لاحِقُ

وقوله وهو أول ما عدل به الى السراد

ملولة ما يدوم ليس لها من ملل دائم بها ملل

وقوله

قبيل أنتَ أنتَ وأنتَ منهم وجدّك بشرٌ الملك الهمام

وقوله وكلكمُ آتى مأتى أبيه فكل فعالِ كلكم عجاب

وقوله

وما أنا وحدى قلتُ ذا الشعرَ كلهُ ولكنّ شعرى فيك من نفسه شعر

وقوله

إنما الناس حيث أنت وما النا س بناسٍ في موضع منك خالي

وقوله

ولولا تولي نفسه حمل حمله   عن الأرض لانهدت وناء بها الحمل

وقوله

ونهب نفوس أهل النهب أولي   بأهل النهب من نهب القماش

وقوله   وطعن كأن الطعـ   ـن لا طعن عنده

وقوله

أراه صغيراً قدرها عظم قدره   فما لعظيم قدره عنده قدر

وقوله

جواب مسائلي أله نظير   ولا لك في سؤالك لا ألالا

قال الصاحب ماقدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعاً ، وقد سمعت الفأفاء ولم أسمع باللألاء حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذى لا يقف حيث يعرف

ومنها اساءة الأدب بالأدب

وقوله

فغدا أسيراً قد بللت ثيابه   بدم وبل ببوله الأفخاذا

وقوله

وما بين كاذتى المستغير   كما بين كاذتى البائل(١)

وقوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع   فإن لحت حاضت فى الخدور العواتق

ويقال لما أنكرت عليه حاضت غيره فجعله ذابت ، وذكر البول والحيض مما لا يحسن وقوعه فى مخاطبة الملوك والرؤساء ، وأقبح موقعا من ذلك قوله فى

---

١ الكاذة ماحول السوأة من ظاهر الفخذين أو لحم مؤخرهما

قصيدة يرثى بها أختَ سيف الدولة ، ويعزيه عنها حيث يقول :

وهل سمعتَ سلاماً لى ألمّ بها   فقد أطلتُ وماسلمت عن كثب

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهن مايذكره المتغزل فى قوله :

يعلمن حين تحيي حسن مبسمها   وليس يعلم الا الله بالشنب

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول لو عزّ انسان عن حرمة لى بمثل هذا لالحقته بها ، وضربت عنقهُ على قبرها . قال الصاحب ولقد مررت على مرثية لهُ فى أمّ سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء أدب النفس ، وماظنك بمن يخاطب ملكا في أمه بقوله :

بعيشكِ هل سلوتِ فإن قلبي   وإن جانبتُ أرضك غيرُ سالى؟

فيتشوق اليها ، ويخطيءُ خطأ لم يسبق اليه ، وانما يقول مثلُ ذلك من يرثى بعض أهله ، فأما استعمالهُ إياه فى هذا الموضع فدال على ضعف البصر بمواقع الكلام وفي هذه القصيدة :

رُواق العزِّ فوقكِ مسبطرٌ   وملكُ عليِّ ابنكِ فى كمال

ولعل لفظة الاسبطرار فى مراثى النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المنبر ، قال ولما أبدع فى هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حَنوطٌ   على الوجه المكفن بالجمال

فلا أدرى هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجهَ والدة ملك يرثيها بالجمال أم قوله فى وصف قرابتها وجواريها

أتتهنّ المصائبُ غافلاتٍ   فدمع الحزن في دمع الدلال؟!

ومنها الايضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ولكن للاسلام حقه من الإجلال الذي لايسوغ الاخلال به وقولا فعلا ونظما

ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره ، وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ماقرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله :

يترشفنَ من فمى رشفَاتٍ هنَّ فيه أحلى من التوحيد

وقوله

ونُصفى الذى يكنى أبا الحسن الهوى وتُرضي الذى يسمى الإله ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح بها العلوي :

وأبهر آيات التهامى أنه أبوكم وإحدى مالكم من مناقب

وقوله

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذى الأفلاك فيه والدنا

وقد أفرط جداً لأن الذى الافلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل ، وقوله لفنا خسرو :

الناس كالعابدين آلهة وعبده كالموحد اللاها

وقوله

لو كانَ علمكَ بالإلهِ مقسما فى الناس مابعثَ الإلهُ رسولا

أو كانَ لفظكَ فيهمُ ما أنزل الـ توراة والفرقانَ والإنجيلا

وقوله

لو كانَ ذُو القرنين أعملَ رأيهُ لمَّا أتى الظلمات صِرْنَ شموساً

أو كانَ صادفَ رأسَ عازرَ سيفُه فى يوم معركةٍ لأعيا عيسى

عازر اسم الرجل الذى أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، باذن الله عزوجل

أو كانَ لجُّ البحر مثل يمينه ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى

وكأن المعانى أعيته حتى التجأ الى استصغار أمور الانبياء ، وفي هذه القصيدة

يامن نلوذ من الزمان بظله أبداً ونطرد باسمه إبليسا

وقوله وقد جاوز حد الإساءة

أيَّ محلٍّ أرتقى ! أى عظيم أتقى !
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقرٌ فى همتى كشعرة في مفرقي

وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وأخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة أن يقول مثل هذا الكلام الذي لاتسعه معذرة

ومنها الغلط بوضع الكلام بغير موضعه

كقوله

أغارُ من الزجاجة وهي تجري على شَفَةِ الأمير أبي الحسين

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه كما قال أبو الفتح كشاجم وأحسن :

أغار إذا دنت من فيه كأسٌ على درٍّ يقبله الزُّجاج

فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها وكقوله

وغر الدمستقَ قول الوشا ةِ أنَّ علياً ثقيل وِصبْ

فجعل الأمراء يوشي بهم ، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الرعية] ، ومن شأن الممدوح أن يفضل علي عدوه ، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه وليس فى اللغة أن يقال وشى فلان السلطان الي بعض رعيته ، وكقوله في وصف الحمى المعرقة

إذا ما فارقتنى غسّلتنى كأنا عاكفان على حرام

وليس الحرام أخص بالاغتسال منهُ من الحلال

وكقوله في وصف مهره وزاد في الاذن على الخرانق

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب وتشبه بطرف القلم وأذن الارنب على الضد من هذا الوصف

ومنها امتثال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة في مثل قوله في وصف فرس

« تَسبوحٌ لها منها عَليها شواهد »

وقوله

أفيكم فتى حي يخبرني عني بما شربت مشروبة الراح من ذهني

وقوله نال الذى نلت منه مني لله ماتصنع الخمور

وقوله كبر العيان عليّ حتى إنه صار اليقينُ من العيان توهما

وقوله وبه يضن على البرية لا بها وعليه منها لا عليها يوسى

وقوله ولولا أنني في غير نوم لكنت أظنني مني خيالا

قال الصاحب ولو وقع قولهُ

نحن مَنْ ضايق الزمان له فيـ ـك وخانته قربك الأيام

في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعته المتصوفة دهرا بعيدا ، ومن أشد ماقالهُ في هذا المعنى قوله

ولكنك الدنيا إلى حبيبةٌ فما عنك لي إلا اليكَ ذهابُ

ومنها الخروج عن طريق الشعر الى طريق الفلسفة

كقوله

ولجدتَ حتى كدتَ تبخل حائلا للمنتهى ومن السرور بكاء

وقوله

والأسى قبل فرقة الروح عجز والاسى لايكون قبلَ الفراق

وقوله

إلفُ هذا الهواء أوقعَ في الأنـ فُـس أن الحِمام مرُّ المذاق

وقولـه

تخالفَ الناسُ حتى لا اتفاق لهم إلا على شجَبٍ والخلف فى الشجب (١)
فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشركُ جسمَ المرء فى العطب

وقولـه

خلقت صفاتُك فى العيون كلامه كالخطّ يملأ مسمعىْ من أبصرا

وقولـه

تمتع من سُهادٍ أو رُقادٍ ولا تأمل كرًى تحت الرِّجام (٢)
فإنّ لثالث الحـالين معنى سوي معنى انتباهك والمنـام

قال ابن جني أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها

ومنها استكراه التخلص

قال القاضى لعلك لا تجد فى شعره تخلصا مستكرها إلا قوله

أحبك أو يقولوا جر نملٌ ثبيراً وابنُ ابراهيم ريعا (٣)

فأما قوله

فأفنى وما أفنته نفسى كأنمـا أبو الفرج القاضى له دونها كهف

وقوله

لو استطعتُ ركبتُ الناسَ كلهم إلى سعيد بن عبد الله بُعرانا

وقولـه

أعزُّ مكان فى الدنا سرجُ سابح وخيرُ جليس فى الزمان كتاب

---

١ الشجب الهلاك ٢ الرجام الحجارة توضع على القبر ٣ ثبير جبل وابن ابراهيم هو على بن ابراهيم التنوخى ممدوحه

وبحرٌ أبو المسك الخضمّ الذي له ... على كلّ بحر زَخرةٌ وعُباب

فهى وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط

ومنها قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غايةَ الإحسان وترقى الدرجة العالية وهى :

ولله سرٌّ في علاك وإنما ... كلامُ العدا ضربٌ من الهذَيان

أتلتمسُ الأعداء بعد الذى رأت ... قيامَ دليل أو وضوحَ بيان

رأت كلّ من ينوي لكَ الغدرَ يبتلي ... بغدر حياةٍ أو بغدر زمان

قضى اللهُ يا كافورُ أنك واحدٌ ... وليس بقاضٍ أن يُرَى لك ثانى

فما لك تختار القسيَّ وإنما ... عن السعد ترمي دونك الثقلان

ومالك تعنى بالأسنة والقنا ... وجدُّك طعانٌ بغيرِ سنان

ولِمْ تحمل السيفَ الطويلَ نجادُه ... وأنت غنيٌّ عنه بالحدثان

أرِد لى جميلاً جدت أو لم تجد به ... فإنك ما أحببتَ فيّ أتانى

هذا البيتُ الذى هو عَوْذتها

لو الفلك الدّوار أبغضتَ سعيه ... لعوّقه شيءٌ عن الدوران

وقوله في قصيدة منها

في خطه من كلّ قلب شهوة ... حتى كأن مدَاده الأهواء

ولكل عين قرةٌ فى قربهِ ... حتى كأن مغيبه الأقذاء

هذا البيت الذى جعله المقطع

لولم تكن من ذا الورى اللذْ منك هو ... عقمت بمولد نسلها حواء

وكقوله في آخر قصيدة

خلت البلاد من الغزالة ليلها ... فأعاضهاك اللهُ كى لا تحزنا

هذا آخر المقابح والمعائب ، وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التى زاد فيها على من تقدم وسبق بها جميع من تأخر

فمنها حسن المطلع

كقوله

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا ... فإنك كنتَ الشرق للشمس والغربا
نزلنا عنِ الأكوار نمشى كرامة ... لمن بان عنه أن نلم بِهِ ركبا

وقوله

الرأىُ قبل شجاعة الشجعان ... هوَ أولٌ وهى المحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس مِرَّةٍ ... بلغت من العلياءِ كلّ مكان

وقوله إذا كان مدحٌ فالنسيب المقدم ... أكلٌّ فصيح قال شعراً متيم
لحب ابن عبد الله أولى فإنهُ ... بهِ يبدأ الذكر الجميل ويختم

وقوله

أعلى الممالك ما يبنى على الأَسَلِ (١) ... والطعن عند محبيهنّ كالقبلِ

وقوله فؤاد ماتسلّيه المدام ... وعمرٌ مثلُ ما يهبُ اللئام

وقوله

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لِذَا الزمن ... يخلو من الهمّ أخلاهم من الفِطن

وقوله

اليومَ عهدكم فأين الموعدُ ... هيهات ليس ليوم عهدكم غد ؟
الموتُ أقرب مِخلباً من بينكم ... والعيش أبعدُ منكم لا تبعدوا!

وقوله

المجدُ عوفِىَ إذْ عوفيتَ والكرمُ ... وزال عنك إلى أعدائك الألمُ

---

١ الأسل الرماح

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله

مرّت بنا بين تربيها فقلتُ لها   من أين جانس هذا الشادنُ العربا(١)
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث ترى   ليث الشّرى وهو من عِجْل إذا انتسبا

وقوله

وغيث ظننا تحته أن عامراً   علا لم يمت أو في السحاب له قبر

وقوله

وإلا فخانتني القوافي وعاقني   عن ابن عبيد الله ضعفُ العزائم
إذا صلت لم أترك مَصالاً لصائلٍ   وإن قلتُ لم أترك مقالا لعالم

وقوله

نودّعهم والبينُ فينا كأنهُ   قَنا ابنِ أبى الهيجاءِ فى قلب فيلق

وقوله

ومقانبٍ بمقانب غادرتها   أقواتَ وحش كن من أقواتها(٢)
أقبلتها غرر الجيادِ كأنما   أيدى بنى عمران فى جبهاتها

وقوله

حدَقٌ يُذمّ من القواتل غيرها   بدرُ بنُ عمار بنِ اسمعيلا

وقوله

ولو كنت فى أسر غيرِ الهوى   ضمنت ضمان أبى وائل
فدي نفسه بضمان النضار   وأعطى صدورَ القنا الذابل

---

١ الشادن الظبى ٢ المقانب الذئاب الضارية

ومنها النسيب بالاعرابيات

كقوله

من الجآذر(١) فى زيّ الاعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب
إن كنت تسألُ شكا فى معارفها فمن بلاكَ بتسهيدٍ وتعذيب ؟
سوائرٌ ربما سارَتْ هوادجها منيعة بين مطعون ومضروب

أى لكثرة الرغبة فيهن وشدة الذب عنهن والمحاربة دونهن

وربما وخدت أيدى المطىّ بها على الجميع من الفرسان مصبوب
كم زَورة لي في الأعراب خافيةٍ أدهى وقد رقدوا من زَوْرة الذيب
أزورهم وسوادُ الليل يشفع لى وانثني وبياض الصبح يغري بي

قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت فى شرف لفظه ومعناه وجودة تقسيمه ، وكونه إميرَ شعره

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها وخالفوها بتقويضٍ وتطنيب
فؤادُ كلِّ محبٍّ في بيوتهم ومالُ كل أخيذ المال محروب
ماأوجه الحضر المستحسنات بهِ كأوجه البدويات الرعابيب
حسنُ الحضارةِ مجلوبٌ بتطرية وفي البداوة حسنٌ غيرُ مجلوب
أفدِي ظباءَ فلاةٍ ماعرَفن بها مضغ الكلام ولاصبغ الحواجيب
ولا برزْنَ من الحمام مائلةً اوراكهن صقيلاتُ العراقيب
ومن هوى كلّ من ليست مموهة تركت لون مشيبي غيرَ مخضوب
ومن هويِ الصِّدقِ فى قولى وعادته رغبتُ فى شَعَرٍ فى الوجه مكذوب

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن . وله طريقة ظريفة في وصف البدويات قد تفرَّد بحسنها وأجاد ماشاء فيها فمنها قوله

هامَ الفؤادُ بأعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تضرب به طنبا
مظلومة القدّ فى تشبيهه غصنا مظلومة الريق في تشبيهه ضَرَبا (١)

وقوله
إن الذين أقتَ واحتملوا أيامهم لديارهم دُوَل
الحسنُ يرحل كلما رحلوا معهم وينزلُ حيثما نزلوا
في مقلتى رشأ تُديرهما بدوية فتنت بها الحلل
تشكو المطاعمَ طولَ هجرتها وصدودَها ومن الذى تصل

وصفها بقلة الطعم وهي محمودة فى نساء العرب
ما أسأرت في القعب من لبن تركته وهو المسك والعسل (٢)
قالت ألا تصحو فقلت لها أعلمتِنى أن الهوى ثَمِلُ

وقوله
ديار اللواتى دارُهن عزيزة بطول القنا يُحفظنَ لا بالتمائم
حسانُ التثنّي ينقش الوشى مثله إذا مس في أجسادهنّ النواعم
ويبسمن عن دُرّ تقلدنَ مثلهُ كأنَّ التراقي وُشحت بالمباسم

ومنها حسن التصرف فى سائر الغزل

كقوله
قدكان يمنعنى الحياءُ من البكا فالآن يمنعه البكا أن يمنعا
حتى كأنّ لكلّ عظم رنَّة فى جلده ولكل عرق مدمعا
سفرت وبرقعها الحياءُ بصفرة سترت محاسنها ولم تكُ بُرقعا
فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهبٌ بسمطى لؤلؤٍ قد رُصّعا
كشفت ثلاث ذوائبٍ من شعرها في ليلةٍ فأرت لياليَ أربعا

---

١ الضرب : الشهد ٢ السؤر ما فضل من الشرب فى الاناء

واستقبلت قمرَ السماء بوجهها فأرتنيَ القمرين فى وقت معا

وهي مايتغنى به لرشاقتها وبلوغها كلّ مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة وكقوله

أيدري الربْع أيَّ دمٍ أراقا وأيّ قلوب هذا الركب شاقا ؟
لنـاَ ولأهـله أبداً قلوب تلاقي في جسـوم ما تلاقا

معناهُ ينظر إلى قول ابن المعتز

إنا على البعـاد والتفـرُّق لنلتقى بالذكـر إن لم نلتقى

ومنها : فليتَ هوى الأحبة كان عدْلا فحمّـلَ كل قلب ما أطـاقا
ومنها : وقد أخذَ التمامَ البدرُ فيهم وأعطانى من السقم المحاقا
وبينَ الفرع والقدمين نُورٌ يقـود بلا أزمتـها النياقا
وطرْفٍ إن سقى العشاقَ كأسا بها نقص سقانيها دهاقا(١)
وخصر تثبت الأحداق فيه كأن عليه من حدق نِطاقا

وقوله

كأنما قدُّها إذا انفتلت سكران من خمر طرفها ثمل
يجذبها تحتَ خصرها عَجزٌ كأنه من فراقها وجـل

وقوله

مثّـلت عينك في حشايَ جراحة فتشابها كلتاهما نجـلاء
نَـفَـذت عليَّ السابِرىَّ وربما تندقُّ فيه الصعدة السمراء

وكقوله

كأن العيـسَ كانت فوق جفني مُناخات فلما ثرن سالا
لبسن الوشي لا متجملاتٍ ولـكن كي يصنّ به الجمالا

١ الدهاق : المملوءة

وضفَّرْن الغـدائرَ لا لحسن ولـكن خفنَ في الشعر الضلالا

وهذا من احسانه المشهور الذى لا يشق غبارة فيه

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

بدَت قمراً ومالت غصنَ بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا (١)

وقـوله

ترنو الىَّ بعين الظبي مجهشة وتمسح الطلَّ فوق الورد بالعنَم (٢)

وقـوله

قمراً ترى وسحابتين بموضع من وجههِ ويمينه وشمالهِ

وقـوله

أعارنى سقم عينيهِ وحملني من الهوى ثقل ما تحويِ مآزره

وقـوله

عرفتُ نوائب الحدثان حتى لو انتسبت لـكنتُ لهـا نقيبا

وقوله فأتيت معتزما ولا أسد ومضيت منهزما ولا وَعل

وقوله في وصف الخيل

خرجنا من النقع في عارض ومن عرَق الركض في وابل

وقـوله

وجياد يدخلن في الحرب أعرا ءً ويخرجن من دم فى جِلال

واستعار الحـديدُ لونا وألقى لونه في ذوائب الأطفـال .

ومنها الابداع فى سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله : وانّ نهارى ليلةٌ مدلهمة على مقلة من فقدكم في غياهب

---

١ الرنو النظر ٢ العنم شجر حجازى ثمره احمر

بعيدةُ مابين الجفون كأنما　　عقدتم أعالى كل هدب بحاجب

ذكر ابن جنى انهُ مثلُ قول بشّار

جفت عينى عن التغميض حتى　　كأنّ جفونها عنهـا قصار

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمى في رطاناته

ورأسى مرفوع الى النجم كانما　　قفاىَ الى صلـبي بخيط مخيط

وقوله

كأن رقيباً منك سدَّ مسامعى　　عن العذل حتى ليس يدخلها العذل

كأن سهاد العين يعشق مقلتى　　فبينهما فى كل هجر لنا وصل

وقوله

رأيتُ الحميَّا في الزجاج بكفهِ　　فشبهتها بالشمس فى البدر في البحر

وقـوله في الحمى

وزائرتى كأنّ بها حياء　　فليس تزور إلا بالظلام

بذلتُ لها المطارف والحشايا　　فعافتها وباتت في عظامي

وقوله في وصف الظبي

اغناهُ حسنُ الجيد عن لبس الحلى　　وعـادةُ العري عن التفضـل

كأنهُ مضمخ بصندل

وقولهِ في سرعة الاوبة وتقليل اللبث

وما أنا غير سهم فى هواء　　يعود ولم يجد فيهِ امتساكا

قال ابن جنى قد اختلف أهلُ النظر في هذا الموضع فقال قوم إن السهم والحجر ونحوهما إذا رمي بهِ صعدا فتناهى صعوده كانت لهُ فى آخر ذلك لَبثة ما ، ثم يتصوب منحدرا . وقال آخرون لالبثة لهُ هناك وإنما أول وقت انحداره آخر وقت صعوده.

وقولهُ وهو أحسن ماقيل فى وصف محنة نهكت صاحبها واشتدت بهِ ثم عاد إلى

حال السلامة وقد هذبتهُ تلك الحال وزادتهُ صفاء وسهولة

وربتما شفيتُ غليلَ صدري بسير أو مُقام أوْ حسام
وضاقت خطةٌ فخرجت منها خروج الخمر من نسج الفِدَام (١)،

وقوله وهو مما لم يسبق اليه

كريم نفضتُ الناسَ لما لقيتهُ كأنهم ما جف من زادِ قادم
وكادَ سرُورِي لا يفي بندامتي على تركهِ في عمري المتقادم

وقوله وهو من بدائعهِ

رضوا بك كالرِّضا بالشيب قسراً وقد وَخط النواصيَ والفروعا

وقوله في وصف الشعر

اذا خلعتَ علي عِرْض لهُ حللا وجدتها منه في أبهى من الحلل
بذي الغباوة من إنشادها ضرر كما تضرُّ رياح الورد بالجُعَل

وذلك أن الجعل اذا طرح عليهِ الورد غشي عليه

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعتـه

كقولهِ

وإنما نحنُ في جيل سواسية شر على الحرّ من سقم على البدن
حولي بكل مكان منهمُ خلقٌ تخطي إذا جئتَ في استفهامها بمن

مَنْ انما يستفهم بها عمن يعقل ، يقول هؤلاءِ كالبهائم فقولك لهم من أنتم خطأٌ إنما ينبغي أن يقال لهم ما أنتم لأن موضع ما لما لا يعقل ، ويحكى أن جريرا لما قال

ياحبذا جبل الرّيان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

قال الفرزدق ولو كان ساكنهُ قروداً فقال لهُ جرير لو أردت هذا لقلت.

١ الفدام المصفاة

ما كانا ولم أقل من كانا

وكقوله

تتاج رأيك في وقت على عجل   كلفظ حرف وعاهُ سامعٌ فهِم

وقوله

من اقتضى بسوى الهندي حاجته   أجاب كل سؤال عن هلٍ بلَم

وقوله : أمضي إرادتهُ فسوف لهُ قد   واستقرب الاقصى فثمَّ لهُ هنا

سوف للاستقبال وقد موضوعة للمضى ومقاربة الحال ، يقول إذا نوى أمرا فكأنما يسابق نيتهُ وقوله

دون التعانق ناحلين كشكلتيْ   نصب أدقهما وضمّ الشا كل

وقوله ولولا كونكم فى الناس كانوا   هراءً كالكلام بلا معانى

وقولـه

قُشَيْر و بَلْعجلان فيها خفية   كراءين في ألفاظ ألثغ ناطق (١)

وقولـه

إذا كان ما تنويه فعـلا مضارعاً   مضى قبـل أن تلقى عليـه الجوازم

المضارع ما كان في أوله إحـدى الزوائد الأربع مثـل أقوم ونقوم وتقوم ويقوم يقول اذا نويت فعلا أوقعته قبل فوته وقبل أن يقال لم يفعل وان يفعل

وقوله

وكان ابنا عدوٍّ كاثراه   له ياءَى حروف أنيسيان

أنيسيان تصغير إنسان وتحقيره وإنسان عدد حروفه خمسة وهو اسم مكبر فاذا صغرته زدت عليه ياءين فزادت حروفه ونقص معناه فكذلك إذا كان لعدوه ابنان فكاثره بهما فيكونان زائدين في عدده ولكن ناقصين لسقوطهما وتخفهما

١ أصل بلعجلان بنو العجلان

ومنها المدح الموجه

ُداالثوب له وجهان ما منهما الا حسن كقوله

نَهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بأنكَ خالدُ

قال ابن جنى لو لم يمدح أبو الطيب سيفَ الدولة إلا بهذا البيت وحده لـكان قد بقى فيه مالا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه وكقوله

عمرُ العدو إذا لاقاه فى رهج ... أقلُّ من عمر ما يحوى إذا وهبا
مالٌ كأن غراب البين يرقبهُ ... فكلما قيل هذا مجتدٍ نعبا

وقوله ... تشرقُ تيجانه بغرَّته ... إشراقَ ألفاظه بمعناها

وَقوله ... تشرقُ أعراضهم وأوجههم ... كأنها فى نفوسهم شِيَم

وقولــه

إلى كم ترد الرسـل فيما أتوا لهُ ... كأنهم فيما وهبت مـلام

وقولــه

يخيلُ لى أنَّ البلاد مسامعى ... وأنِّىَ فيها ماتقول العواذل

وقولــه

كأن ألسنهم في النطق قد جعلت ... على رماحهم في الطعن خِرصانا

ومنها حسن التصرف فى مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله ... لقد رفع اللهُ من دولةٍ ... لها منك ياسيفها منصل

وقوله ... لولا سمى سيوفهِ ومضاؤه ... لمّاسُللن لكنّ كالأجفان

وقولـه

عزاءك سيفَ الدولة المقتدى بهِ   فانك نصل والشدائد للنصـل

وقولـه

يسمى الحسامَ وليست من مشابهة   وكيف يشتبه المخدومُ والخدم
كل السيوف إذا طال الضِّرابُ بها   يمسها غيرَ سيف الدولة السأمُ

وقولـه

تُهابُ سيوفُ الهند وهي حدائد   فكيف إذا كانت نزارية عُرْبا

وقولـه

تحير في سيف ربيعةُ أصلهُ   وطابعه الرحمن والمجد صاقل

وقوله   قلد الله دولة سيفها أنـ   ـت حساما بالمكرمات محلى
فإذا اهتزَّ للندى كان بحراً   وإذا اهتزَّ للعدا كان نصلا

وقوله : وأنت حسامُ الملك والله ضارب   وأنت لواء الدين والله عاقد

وقولـه

لقد سلَّ سيف الدولة المجد معلما   فلا المجدُ مخفيهِ ولا الضربُ ثالمه
على عاتقِ الملكِ الأغر نِجادُه   وفي يد جبَّار السموات قائمه
وإن الذى سمى عليا لمنصفٌ   وإن الذى سماه سيفاً لظالمه
وما كلُّ سيف يقطع الهامَ حده   وتقطع لزْبات الزمان مكارمه

وقولـه

إن الخليفة لم يسمكَ سيفهُ   حتى بلاكَ فكنتَ عينَ الصارم
واذا تُتَوَّجُ كنتَ درَّة تاجه   واذا تختمُ كنتَ فصَّ الخاتم

وقولـه

من للسيوف بأن تكون سميَّها   في أصلهِ وفرنده ووفائه

طبع الحديدُ فكان من أجناسهِ وعليٌّ المطبوعُ من آبائه

ومنها الابداع فى سائر مدائحه

كقوله

ملكٌ سنانُ قناته وبنانه يتباريان دماً وعرفاً ساكبا
يستصغرُ الخطرَ الكبير لوفده ويظُن دجلة ليس تكفى شاربا
كالبدر من حيث التفتَّ رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبدِ السماء وضوءُها يغشى البلادَ مشارقاً ومغاربا
كالبحر يقذِف للقريبِ جوهراً جوداً ويبعثُ للبعيد سحائبا

وقوله

ليسَ التعجُّب من مواهب ماله بلْ من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظَ العنان بأنمل ماحفظها الاشياءَ من عاداتها
لو مرَّ يركُض في سطور كتابه أحصى بحافر مهره ميماتها
كرمٌ تبين في كلامك مأثلا ويبين عِتقُ الخيل في أصواتها
أعيا زوالك عن محل نلته لا تخرج الأقمار من هالاتها

فيه مدح ومثل مضروب وتشبيه نادر

ذكر الأنامُ لنا فكان قصيدة أنتَ البديعُ الفردُ من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة وكقوله

ومازلتُ حتى قادنى الشوقُ نحوه يسايرنى في كل ركب له ذكرُ
وأستكبرُ الاخبارَ قبلَ لقائه فلما التقينا صغَّر الخبرَ الخبرُ

هذا ضدٌّ قولهم تسمع بالمعيدىِّ خير من أن تراه

أزالت بك الأيامُ عتبى كأنما بنوها لها ذنبٌ وأنت لها عذر

وكقوله

ألا أيها المالُ الذي قد أباده   تعزّ فهذا فعله بالكتائب
لعلك فى وقت شغلت فؤاده   عن الجود أو أكثرت جيش محارب

وقولـه

بعثوا الرعبَ فى قلوب الأعادي   فكأن القتالَ قبل التلاقى
وتكادُ الظُّبا لِما عوّدوها   تنتضي نفسها إلى الأعناق
كلُّ ذمر يزيدُ فى الموت حسناً   كبدور تمامها فى المحاق[1]
كرمٌ خشن الجوانب منهم   فهو كالماء فى الشّفار الرّقاق
ومعالٍ إذا ادّعاها سواهم   لزمتهُ جنايةُ السرّاق

وكقولـه

خيرُ أعضائنا الرؤوس ولكن   فضلتها بقصدك الأقدام

وكقولـه

قومٌ بلوغُ الغلام عندهم   طعنُ نحور الكماة لا الحُلُم
كأنما يولد الندَى معهم   لا صغرٌ عاذرٌ ولا هرمُ
إذا تولوا عداوة كشفوا   وإن تولوا صنيعة كتموا
تظن من فقدك اعتدادهم   بأنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالحتوف حاضرة   أو نطقوا فالصوابُ والحكم
أو شهدوا الحربَ لاقحاً أخذوا   من مهج الدارعين ما احتكموا
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا   فقولهم خابَ سائلى القسم
أو ركبوا الخيلَ غيرَ مسرجة   فإن أفخاذهم لها حزم
تشرق أعراضهم وأوجههم   كأنها فى نفوسهم شيم

---

١ الذمر الرجل الشجاع

أعيذكم من صروف دهركم فانه فى الكرام متّهم

وكقوله

الناس مالم يروكَ أشباهُ والدهرُ لفظٌ وأنت معناهُ
والجودُ عينٌ وأنت ناظره والبأسُ باعٌ وأنت يمناه
يا راحلا كلُّ من يودّعه مودّع دينهُ ودنياهُ
إن كان فيما تراهُ من كرم فيكَ مزيدٌ فزادكَ اللهُ

وكقوله

تمشى الكرامُ على آثار غيرهم وأنت تخلق ماتأتى وتبتدع
من كان فوقَ محلّ الشمس موضعهُ فليس يرفعه شيءٌ ولا يضع

وكقوله

فلما رأوه وحدَهُ دون جيشهِ دَرَوْا أنّ كلّ العالمين فضول

وكقوله

وأوردهم صدرُ الحصان وسيفهُ فتى بأسهُ مثلُ العطاءِ جزيلُ
جوادٌ على العلاّت بالمال كله ولكنهُ بالدارِعينَ بخيل[1]

وكقوله

أرى كلّ ذى ملك اليك مصيرهُ كأنك بحر والملوك جداول
إذا امطرت منهم ومنك سحابةٌ فوابلهم طَلٌّ وطلكَ وابل

وقوله

ودانت لهُ الدنيا فأصبح جالساً وأيامهُ فيما يريدُ قيامُ
وكلٌّ أناس يتبعون إمامهم وأنت لأهلِ المكرمات إمامُ
ورُبَّ جواب عن كتاب بعثته وعنوانُه للناظرين قتامُ

١ الدارعين جمع دارع وهو لابس الدرع

وكقوله

همُ المحسنون الكرَّ في حومة الوغى وأحسنُ منهم كرُّهم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم ولكنها معدودة في البهائم

وكقوله

أغرَّ أعداءهُ إذا سلموا بالهرب استكثروا الذي فعلوا
أنك من معشر إذا وهبوا مادون أعمارهم فقد بخلوا
كتيبةٌ لستَ ربها نَفلٌ وبلدة لستَ حليَها عطل (١)

وكقوله

لو كفرَ العالمون نعمته لماعدَتْ نفسهُ سجاياها
كالشمس لاتبتغي بماصنعت منفعةً عندهم ولا جاها

وكقوله

فجاءتْ بنا إنسان عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا

وهذا أحسن مايمدح به ملك أسود ولانهاية لحسنه ، وشرف معناه ، وجودة تشبيهه وتمثيله

ترفعَ عن عُون المكارم فعلهُ فما يفعل الفعلات إلا عذاريا (٢)
أبا كلِّ طيب لا أبا المسكَ وحده وكلَّ سحاب لا أخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كلُّ فاخر وقد جمع الرحمنُ فيك المعانيا

ألمَّ فيه بقول أبي نواس

كأنما أنت شيءٌ حوى جميعَ المعاني

١ النفل الغنيمة ٢ العون التي سبق اليها والعذاريا جمع عذراء

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق مع الاحسان والابداع

وهو مذهب له تفرَّد بهِ واستكثر من سلوكه اقتدارا منهُ وتبحراً فى الالفاظ والمعانى ، ورفعا لنفسهِ عن درجة الشعراء ، وتدريجا لها إلى مماثلة الملوك فى مثل قولهِ لكافور

وما أنا بالباغى على الحبِّ رشوة ضعيف هوًى يُبغى عليهِ ثواب
وماشئتُ إلا أن أدُلَّ عواذلى على أن رأيى فى هواك صواب
وأعلمُ قوماً خالفونى فشرقوا وغرّبت أنى قد ظفرت وخابوا
إذا نلتُ منكَ الودَّ فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب

وقوله لهُ [وقد اهداه مهرا أسود]

فلو لم تكن في مصر ماسرتُ نحوها بقلب المشوق المستهام المتيم

وقوله لابن العميد [يودعه]

تفضلت الأَيامُ بالجمع بيننا فلما حمدنا لم تُدِمنا على الحمد
فجد لي بقلب إن رحلت فإِننى مخلف قلبي عند من فضله عندى

وقوله لعضد الدولة

أروح وقد ختمت على فؤادى بحبك أن يحلَّ بهِ سواكا
فلو أنى استطعت حفظتُ طرفى فلم أبصر بهِ حتى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب

وكقوله لسيف الدولة

مالى أكتِّم حباً قد برَى جسدى وتدّعى حبَّ سيف الدولة الامَمُ
إن كان يجمعنا حبٌّ لغرته فليت أنا بقدر الحب نقتسم

يا أعدلَ الناس إلا في معاملتي فيك الخصامُ وأنت الخصم والحكم
إذا رأيت نيوبَ الليث بارزةً فلا تظنّنّ أن الليثَ يبتسم
أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحمَ فيمن شحمهُ ورم
وما انتفاعُ أخي الدّنيا بناظرهِ إذا استوت عنده الأنوار والظلَم
يا من يعزّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلّ شيء بعدكم عدَم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أَمَم[١]
إن كان سرّكمُ ما قال حاسدُنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاكَ معرفةٌ إن المعارف في أهل النهى ذِمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعدَ العيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذى عندى صواعقه يزيلهنّ إلى من عندهُ الديم[٢]
أرى النوى تقتضيني كل مرحلة لا تستقلّ بها الوخّادة الرسُم
لئن تركنا ضُمَيراً عن ميامننا ليحدثنّ لمن ودعتهم ندم[٣]
إذا ترحلتَ عن قوم وقد قدروا ألاّ تفارقهم فالراحلون هم
شرّ البلاد بلاد لا صديقَ بها وشرّ ما يكسب الإنسانُ ما يصم
وشرّ ماقنصتهُ راحتي قنص شهبُ البزاة سواءٌ فيه والرخم

وهى على براعتها واستقلال اكثر أبياتها بأنفسها ، تكاد تدخل في باب إساءة الادب بالادب وقد تقدم ذكره

ومنها استعمال الفاظ الغزل والنسيب فى اوصاف الحرب والجد

وهو أيضا مما لم يسبق اليه وتفرّد به ، أظهر فيه الحذق بحسن النقل، وأعرب

١ الامم القريب ٢ الديم جمع ديمة وهى المطر الدائم الغزير ٣ ضمير جبل

عن جودة التصرّف والتلعب بالكلام كقوله

أعلى الممالك ما يُبنى على الأسل　　والطعنُ عند محبيهنّ كالقُبَل

وقوله وهو من فرائده

شجاعٌ كأن الحرب عاشقة لهُ　　إذا زارها فدَّتهُ بالخيل والرجل

وكقوله

وكم رجالٍ بلا أرض لكثرتهم　　تركت جمعهم أرضاً بلا رَجل

ما زال طرفك يجري في دمائهم　　حتى مشى بك مشيَ الشارب الثمل (١)

وكقوله

والطعنُ شَزْرٌ والارضُ واجفة　　كأنما في فؤادها وَهَلُ (٢)

قد صبغت خدَّها الدماءُ كما　　يصبغُ خدَّ الخريدة الخجل

والخيلُ تبكي جلودُها عرقاً　　بأدمع ما تسحها مُقَل

وكقوله

تعوَّد ان لا تقضم الحبَّ خيلهُ　　اذا الهام لم ترفع جنوب العلائق

ولا ترد الغدرانَ إلا وماؤها　　من الدم كالريحان تحت الشقائق

وكقوله

فأتتك دامية الأظل كأنما　　حُذيت قوائمها العقيقَ الاحمرا

وإذا الحمائل ما يخدن بنفنفٍ　　الا شققن عليهِ برداً أخضرا

وكقوله

قد سوّدت شجرُ الجبال شعورهم　　فكأنّ فيه مسفة الغربان

وجرى على الورق النجيع القاني　　فكأنهُ النارنج في الأغصان

وكقوله : حمى أطرافَ فارسَ شمريٌّ　　يحض على التباقي في التفاني (٣)

١ الثمل السكران　٢ الوهل الضعف والفزع　٣ الشمرى الجاد في الامر المشمر له

بضرب هاجَ أطرابَ المنايا سوى ضرب المثالث والمثانى
كأنّ دم الجماجم في العناصِي كسا البلدانَ ريشَ الحَيقُطان[١]
فلو طُرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدقِ الحسان[٢]

وكقولهِ كَرَعن بِسبت في إناءٍ من الورد[٣]

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الآمدى فى كتاب الموازنة بين شعرى الطائيين قال سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف

وصالكُمُ هجرٌ وحبكُمُ قِلى وعطفكمُ صدٌّ وسلمكم حرب
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظة وكلُّ ذلولٍ من مراكبكم صعب

فقال والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول ابى الطيب المتنبي فى هذا الفن أولى بهذا الوصف

ضاقَ الزمانُ ووجهُ الارضِ عن ملك ملءِ الزمان وملء السهل والجبل
فنحن في جذَلٍ والرومُ فى وجل والبَرُّ فى شُغل والبحرُ فى خجل

وكقوله

الدهرُ معتذرٌ والسيف منتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
للسبي ما نكحوا والقتلِ ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وقوله

فلم يخلُ مِن نصر لهُ مَن لهُ يد ولم يخل مِن شكر لهُ مَن لهُ فم
ولم يخلُ من أسمائهِ عودُ منبر ولم يخلُ دينار ولم يخل درهم

١ العناصى جمع عنصوة وهى الشعر المتفرق فى جوانب الراس والحيقطان ذكر الدراج وريشه ملون ٢ يريد بقلوب العشق قلوب اهله ٣ السبت جلود تدبغ بالقرظ

وقوله

قليلُ عائدِى سقِمٍ فؤادى ... كثيرٌ حاسدى صعبٌ مرامي
عليلُ الجسم ممتنعُ القيام ... شديدُ السكر من غير المدام

وقوله بمصر ملوكٌ لهم ماله ... ولكنهم ما لهم همه
فأجود من جودهم بخله ... وأحمد من حمدهم ذمهُ
وأشرف من عيشهم موته ... وأنفع من وُجدهم عدمه

وقوله

لم نفتقد بك من مزن سوى لثق ... ولا من البحر غيرَ الريح والسفن
ولا من الليث الاّ قبح منظره ... ومن سواهُ سوى ماليس بالحسن

وقوله

يجلُّ عن التشبيه لا الكفُّ لجة ... ولا هو ضرغام ولا الرأى مخذم (١)
ولا جرحهُ يؤسي ولاغورهُ يرى ... ولا حدُّه ينبو ولا يتثلّم
محلك مقصود وشانيك مفحم ... ومثلك مفقود ونيلك خضرم (٢)

وقوله: أذمُّ الى هذا الزمان أهيلهُ ... فأعلمهم فَدم وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب وأبصرهم عمٍ ... وأسهدهم فهد واشجعهم قرد

وقوله

وغِناكَ مسألة وطيشك نفحة ... ورضاكَ فيشلة وربُّك درهم

وقوله عربى لسانه فلسفىٌّ ... رأيهُ فارسية أعياده

وقوله

سقتنى بها القطربّلىّ مليحة ... على كاذب من وعدها ضوءُ صادق (٣)
سهاد لأجفان وشمس لناظر ... وسقم لأبدان ومسك لناشق

---

١ المخذم القاطع ٢ الخضرم الكثير ٣ القطربلى الخمر المنسوبه الى قطربل

وأغيدُ يهوَى نفسه كلُّ عاقل ... عفيفٍ ويهوى جسمهُ كلُّ فاسق

ومنها حسن سياقة الاعداد

كقـوله

على ذا مضى الناسُ اجتماعٌ وفرقة ... وميتٌ ومولود وقالٍ ووامقُ

وقـوله

ألا أيها السيف الذى ليس مغمداً ... ولا فيه مرتابٌ ولا منه عاصم

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا ... وراجيك والإسلامِ أنك سالم

وقوله

لا يستحى أحد يقال له ... فضلوك آل بويه أو فضلوا

قدروا عفوْا وعدوا وفوْا اسئلوا ... أغنوْا علوْا أعلوْا ولوا عدلوا

وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة]

ورُبَّ جواب عن كتاب بعثته ... وعنوانهُ للناظرين قتام

حروف هجاءِ الناس فيه ثلاثة ... جواد ورمح ذابل وحسام

لماسمى الجيش جواباً جعل حروفهُ جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعا في الصنعة وقوله

ومرهف سِرتُ بين الجحفلين بهِ ... حتى ضربتُ وموج الموت يلتطم

فالخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفنى ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابن جنى قد سبق الناس إلى ذكر ماجمعهُ في هذا البيت ، ولكن لم يجتمع مثله فى بيت ماعلمت ، وقد قال البحتري

اطلبا ثالثاً سوايَ فإنى ... رابعُ العيس والدُّجى والبيدِ

وهذا اللفظ عذب ولكن ليس فيه جميع مافى بيت المتنبى وقوله

أنتَ الجوادُ بلا منٍّ ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مذل(١)

وقولـه

بى حرُّ شوق إلى ترشفهـا ينفصل الصبر حين يتصـل
فالثغرُ والفجرُ والمخلخل والمعصم دائى والفاحم الرّجل(٢)

وقولـه

ولـكنّ بالفسطاط بحراً أزرته حياتى ونصحي والهوى والقوافيا

[وقوله]

أميناً وإخلافا وغدراً وخسة وجبناأشخصاً لحتَ لى أم مخازيا ؟

ومنها ارسال المثل فى انصاف الابيات

كقـوله

مصائبُ قوم عند قوم فوائد ومن قصد البحر استقل السواقيا
وخيرُ جليس فى الزمان كتاب إن المعارف في أهل النهى ذمم
وربما صحت الأجسامُ بالعللِ وفى الماضي لمن بقى اعتبار
ويأبى الطباعَ على الناقل ومنفعة الغوث قبل العطب
هيهات تكتم فى الظلام مشاعل ومخطىء مَن رميُّه القمر
وما خير الحياة بلا سرور بجبهة العير يفدي حافرُ الفرس
ولا رأىَ فى الحبٍّ للعـاقـل ولـكن طبع النفس للنفس قائد
وليس يأكل إلاَّ الميتَ الضبع كل ما يمنح الشريف الشريف
والجوع يرضى الاسود بالجيف ومن فرح النفس مـا يقتـل
ويستصحب الانسانَ من يلائمه ان النفيس غريب حيثما كانا
فمن الرديفُ وقد ركبتُ غضنفراً اذا عظم المطلوبُ قلَّ المساعد

١ المذل الضجر والقلق ٢ الفاحم الرجل الشعر المرسل

ومن يسدّ طريقَ العارض الهطل وأدنى الشرك فى نسب جوارُ
وفى عنق الحسناء يستحسن العقدُ لا تخرج الأقمار من هالاتها
إن النفوس عـددُ الآجال ولـكنّ صدمَ الشرّ بالشرّ أحزم
أنا الغريق فما خوفى من البـلل أشدّ من السقم الذي أذهب السقما
فان الرفقَ بالجـانى عتاب إن القليـلِ من الحبيب كثير
بغيضٌ الىّ الجاهلُ المتعاقل وليس كلّ ذوات المخلب السبعُ
وللسيوف كما للناس آجالٌ فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
فأول قُرح الخيل المِهارُ والبرّ أوسع والدنيـا لمن غلبا
ليس التكحلُ فى العينين كالـكحل ويبينَ عتق الخيل فى أصواتها

ومنها ارسال المثلين فى مصراعى البيت الواحد

كقـوله

وكلّ امرىء يولي الجميل محببٌ وكلّ مكان ينبت العز طيب

وقـوله

في سعة الخافقينِ مضطربٌ وفي بلاد من اختها بدَلُ

وقـوله

الحبّ ما منع الكلامَ الألسنا وألذّ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

وقـوله

ذل من يغبط الذليل بعيش رُبَّ عيش اخف منه الحِمام
من يهنْ يسهل الهوانُ عليهِ مـا لجـرح بميت إيـلام

وقولـهِ

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسبُ المنـايا أن يكنّ أمانيا

وقولـه

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن ... يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وقوله

وأتعب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وقوله

لا تشتر العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد

وقولـه

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ... ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

وقيدت نفسى فى ذراك محبة ... ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

ومنها ارسال المثل والاستملاء والموعظة

وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجرى مجراها كقوله

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى ... بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

يخفى العداوة وهى غير خفية ... نظر العدو بما أسر يبوح

والأمر لله رب مجتهـد ... ما خاب إلا لأنه جاهـد

اليك فإنى لست ممن إذا اتقى ... عضاض الافاعى نام فوق العقارب

خير الطيور على القصور وشرها ... يأوي الخراب ويسكن الناووسا

ليس الجمال لوجه صح مارنه ... أنف العزيز بقطع العز يجتدع

وليس يصح في الافهام شيء ... إذا احتاج النهار الى دليل

قال ابن جني هذا كما يقول أهل الجدل من شك فى المشاهدات فليس بكامل العقل

وقد يتزيّا بالهوي غيرُ أهلهِ ويستصحب الانسانُ من لا يلائمه
وماتنفع الخيلُ الكرام ولاالقنا اذا لم يكن فوق الكرام كرام
ما كلُّ مايتمنى المرء يدركهُ تجرى الرياح بمالاتشتهى السفن
وأحبُّ أنى لو هويت فراقكم لفارقته والدهرُ أخبثُ صاحبِ
من خصّ بالذم الفراقَ فإننى من لا يرى في الدهر شيئا يحمد
ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدواً لهُ ما من صداقته بدّ
واذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجسام
تلفَ الذى اتخذ الشجاعة جنةً وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا
فان يكن الفعلُ الذى ساءواحداً فأفعاله اللاتى سَرَرْنَ ألوف
وإذا خفيتُ على الغبيّ فعاذر أن لا ترانى مقلةٌ عمياء
إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزابذلوا منها رضاك ومَنْ للعور بالحول
فآجرك الإله على مريض بعثت به الى عيسى طبيبا
إذا أتت الاساءةُ من لئيم ولم ألُم المسىءَ فمن ألوم
وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهى الشهادةُ لى بأنى فاضل
إذا ما قدرت على نطقةٍ فانى على تركها أقدر
واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاءٌ تضوى به الاجسام
وتوهموا اللعبَ الوغى والطعنُ فى الهيجاء غيرُ الطعن في الميدان
واذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا
ومن الخير بطء سيبك عنى أسرع السحب فى المسير الجهام
وليسَ الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه فى داره رائد الوبل
أبلغُ ما يُطلب النجاح به الطبعُ وعندَ التعمق الزلل
كم مخلصٍ وعلافي خوض مهلكة وقتلة قرنت بالذم في الجبن

وما قلت للبدر أنت اللجينُ ولاقلتُ للشمس انت الذهب
ومن ركبَ الثورَ بعد الجوا د أنكر أظلافهَ والغبب (١)
فقر الجهول بلا قلب الى أدب فقْر الحمار بلا رأس الى رسن
لايعجبنَّ مضيما حسنُ بزته وهل يروق دفينا جودةُ الكفن
اذا ما الناسُ جرّبهم لبيب فاني قد اكلتهم وذاقا
فلم أرَ ودَّهم إلا خداعا ولم ارَ دينهم الا نفاقا
ذريني أنل مالا ينال من العلا
فصعبُ العلا فى الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالى رَخيصةً ولابدَّ دون الشهد من إبر النحل
تمنّ يلذُّ المستهام بمثله وإن كان لا يغني فتيلا ولا يُجدى
وغيظٌ على الأيام كالنار في الحشا ولكنه غيظُ الأسير على القدّ
ومكائد السفهاء واقعةٌ بهم وعداوةُ الشعراء بئس المقتنى
لعنت مقاربةُ اللئيم فانها ضيفٌ يجرُّ من الندامة ضيفنا (٢)
وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب
تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسهُ ويسومها طلبَ المحال فتطمع

كأنهُ مأخوذ من قول لبيد

واكذبِ النفس إذا حدثتها إنّ صدق النفس يزرى بالأمل

وكقوله

وأتعبُ خلق اللهِ من زاد همهُ وقصر عما تشتهى النفسُ وُجدهُ

---

١ الغبب للبقر والديك ما تدلى تحت حنكيهما ٢ الضيفن هو من يصحب الضيف

فلا ينحال في المجد مالك كله ... فينحل مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذي المجد كفه ... إذا حارب الاعداء والمال زنده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
إذا كنت في شك من السيف فابله ... فاما تنفيه (١) . واما . تعده
وما الصارم الهندي إلا كغيره ... إذا لم يفارقه النجاد وغمده

وقولـه

إنما تنجح المقالة في المر ... ءِ إذا واقفت هوى في الفؤاد
وإذا الحلم لم يكن في طباع ... لم يحلم تقادم الميلاد
إنما أنت والد والأب القا ... طع أحنى من واصل الاولاد (٢)

وقولـه

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له ... إذا لم يكن في فعله والخلائق
وما بلد الانسان غير الموافق ... ولا أهله الأدنون غير الاصادق
وجائزة دعوى المحبة والهوي ... وان كان لايخفى كلام المنافق
وما يوجع الحرمان من كف حارم ... كما يوجع الحرمان من كف رازق

وقولـه

إنما أنفس الأنيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتيالا
من أطاق التماس شيء غلابا ... واقتساراً لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى ... أن يكون الغضنفر الرئبالا

وقولـه

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والإقدام قتال
وقلما يبلغ الانسان غايته ... ما كل ماشية بالرجل شملال

١ نفى السيف جعله من النفاية   ٢ واصل الاولاد : الاضافة فيه على معنى من

إنا لفي زمن تركُ القبيح بهِ	من أكثر الناس إحسان وإجمال
ذكر الفتى عمرُه الثاني وحاجتهُ	مافاتهُ وفضول العيش أشغال

وقولـه

يرى الجبناء أن العجزّ حزم	وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغنى	ولا مثلُ الشجاعة في الحكيم

قيل لهُ أنى يكون الشجاع حكيما فقال هذا على بن أبي طالب كرم الله وجههُ

وكم من عائبٍ قولاً صحيحا	وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذُ الأذهان منه	على قدر القريحة والعلوم

وقولـه

ولقد رأيت الحادثاتِ فلا أرى	يَقَقاً يميت ولاسوداً يعصم [1]
والهمُّ يخترمُ الجسيم نحافةً	ويُشيبُ ناصية الصبيّ ويُهرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ	وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
لا يخدعنك من عدو دمعهُ	وارحم شبابك من عدو يرحم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى	حتى يُراقَ على جوانبهِ الدمُ

قال ابن جنى أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم بهِ أكثرَ المحدثين. وهذه الابياتُ كلها غرر وفرائد لا يصدر مثلها إلاَّ عن فضل باهر، وقدرة على الابداع ظاهرة.

والظلمُ من شيم النفوس فان تجدْ	ذا عفةٍ فلعـلةٍ لا يظلم
ومن البلية عذلُ من لا يرعوى	عن جهلهِ وخطابُ من لا يفهم
ومن العداوةِ ما ينالك نفعهُ	ومن الصداقةِ ما يضر ويؤلم

وقوله

أرى كلّنا يبغى الحياة لنفسه	حريصاً عليها مستهاماً بها صبا

فحبُّ الجبان النفسَ أورده التقى وحبُّ الشجاع النفسَ أورده الحربا
ويختلف الرِّزقان والفعل واحد إلى أن ترى احسانَ هذا لذا ذنبا

وقوله

وفيك اذا جنى الجانى أناةٌ تُظنُّ كرامةً وهي احتقار
بنو كعب وما أثَّرت فيهم يدٌ لم يُدْمِها الا السوار
بها من قطعه ألم ونقصٌ وفيها من جلالته افتخار
لهم حق بشِركك فى نِزار وادنى الشرك في نسب جِوار
لعل بنيهم لبنيك جندٌ فأوَّلُ قرّح الخيل المهار (١)
وما في سطوة الأرباب عيبٌ ولا في ذلة العبدان عار

وقوله

من اقتضى بسوي الهندي حاجتهُ أجاب كل سؤال عن هل بلم
ولم تزل قلةُ الإنصاف قاطعة بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
هوِّنْ على بصر ماشق منظرهُ فانما يقظات العين كالحلم
لا تشكونَّ الى خلق فتشمتهُ شكوى الجريح إلى الغربان والرخم
وكن على حذر للناس تستره ولا يغرَّنك منهم ثغر مبتسم
وقتٌ يضيع وعمرٌ أنت مدتهُ فى غير أمته من سائر الأمم
أتى الزمانَ بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناه على الكبر

وقولـه

الرأيُ قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحلُّ الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس مِرة بلغت من العلياء كلَّ مكان
ولربما طعنَ الفتى أقرانهُ بالرأى قبلَ تطاعن الأقران

---

١ القرح جمع قارح ما بلغ التاسعة من عمره من ذوات الحافر

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

وقوله [يمدح كافورا]

لحا الله ذي الدنيا مُناخا لراكب فكل بعيدِ الهم فيها معذَّبُ
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً ولا اشتكى فيها ولا أتعتب
وبي ما يذود الشعرَ عني أقله ولكن قلبي يا ابنة القوم قلّب
أما تغلط الأيام فيّ بأن أرى بغيضا تنائى أو حبيبا تقرب

وقوله [يمدحه أيضا]

أبى خلقُ الدنيا حبيبا تديمه فما طلبي منها حبيبا تردهُ ؟
واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شيءٍ في طباعك ضدُّه

وقوله [يمدحه أيضا]

إذا ساء فعل المرءِ ساءت ظنونهُ وصدَّق ما يعتادهُ من توهمِ
وعادى محبيهِ بقول عداته وأصبح في ليل من الشك مظلم
ومنها وما كل هاوٍ للجميل بفاعل ولا كلٌّ فعال لهُ بمتمم
ومنها فأحسنُ وجه في الورى وجه محسن وأيمن كفّ فيهم كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همة وأكثر اقداماً على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم تُرِدْ بها سرورَ محبٍّ أو مساءةَ مجرم

وقوله [يمدح المغيث بن على العجلي]

فؤادٌ ما تسليهِ المدام وعمرٌ مثلُ ماتهبُ اللئام
ودهر ناسه ناسٌ صغار وإن كانت لهم جثثٌ ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدنُ الذهب الرَّغام
وشبه الشيء منجذبٌ اليهِ وأشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعل إلا ذو محل تعالى الجيشُ وانحط القتام

ولو حِيزَ الحفاظ بغير عقل تجنب عنقَ صيقله الحسام

وقولـه :

أبداً تستردُّ ماتهب الدنـ يا فياليت جودُها كان بخلا

فكفت كون فرحةٍ تورثُ الغـ مّ وخلّ يغادر الوجدَ خلاّ

وهي معشوقة على الغدر لاتحـ فظ عهداً ولا تتمم وصلا

كلُّ دمع يسيل منها عليها وبفكّ اليدين عنها يُخلى

أي كل من أبكته الدنيا فانما يبكي لفوت شيء منها ، ولا يخليها الانسان الاّ قسراً بفك يديه ، وفي هذه القصيدة

شِيَمُ الغانيات فلا ادـ رى لذا أنّثَ اسمها الناسُ أم لا ؟

ولذيذ الحياة انفس في النفـ س واشهى من أن يملّ وأحلى

واذا الشيخ قال أفّ فما ملّ حياة وانما الضعفَ ملاَّ

آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولى

ومنها افتضاضه أبكار المعانى ، فى المراثي والتعازى

كقولـه

سالِمُ أهل الوداد بعدَهم يُسلَمُ للحزن لا لتخليد

أى إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود ، لأن كلاًّ ميت

فما يُرجى الخلودُ من زمن أحمدُ حاليه غيرُ محمود

أى أحمد حاليك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل ، وقوله

المجدُ أخسرُ والمكارمُ صفقةً من أن يعيش بها الكريمُ الأروع

والناس أنزل في زمانك منزلا من أن تعايشهم وقدرك أرفع

قبحاً لوجهك يا زمانُ فإنهُ   وجه له من كل قبح برقُعُ
أيموت مثلُ أبي شجاع فاتك   ويعيش حاسده الخصيُّ الاوكع؟

وقولـه

عدمتهُ وكأنى سرتُ أطلبهُ   فما تزيدنى الدنيا على العدم
من لا يشابههُ الأحياء في شيم   أمسى يشابهه الأموات في الرمم

أحسن والله وأبدع ماشاء وقوله

وقد فارق الناسُ الأحبة قبلنا   وأعيا دواءُ الموت كلَّ طبيب
سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها   منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتى تملك سالب   وفارقها الماضى فِراق سليب

هذا كقول بعضهم في الموعظة : وإن مافي أيديكم أسلاب الهالكين ، ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون

علينا لك الإسعادُ ان كان نافعا   بشق قلوب لا بشق جيوب
فربَّ كئيب ليس تندَى جفونهُ   وربَّ كثيرِ الدمع غير كئيب
وللواجد المكروب من زفراته   سكون عزاء أو سكون لغوب[1]

وقولـه

ما كنتُ أحسب قبل دفنك في الثرى   أنّ الكواكب فى التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى   رُضوى على أيدى الرجال تسير
خرجوا بهِ ولكلِّ باك خلفه   صعقات موسى يومَ دُكَّ الطور
[والشمس في كبد السماء مريضة   والأرض واجفة تكاد تمور
وحفيف أجنحة الملائك حوله   وعيون أهل اللاذقية صور][2]
حتى أتوا جدثا كأن ضريحه   في كلِّ قلبِ موحِّدٍ محفور

---

١ اللغوب الاعياء الشديد   ٢ صور جمع أصور وهو المائلة عينه

كفل الثناء له برد حياته   لما انطوى فكأنه منشور

وقوله فى تعزية سيف الدولة عن أخته

ولعمري لقد شغلت المنايا   بالأعادي فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشات بالسيوف من الـ   ـدهر أسيراً وبالنوال مقلاًّ
خطبة للحمام ليس لها رد   وإن كانت المسماة ثكلا
واذا لم تجد من الناس كفؤاً   ذات خدر أرادت الموت بعلا

هذا أحسن ما قيل في مرثية حرم الملوك ، وقوله في مرثية طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه

فإن تك في قبر فإنك فى الحشا   وإن تك طفلا فالأسى ليس بالطفل
ومثلك لايبكى على قدر سنه   ولـكن على قدر المخيلة والفضل
عزاءك سيف الدولة المقتدي به   فانك نصل والشدائد للنصل
ولم أر أعصى فيك للحزن عبرة   وأثبت عقلا والقلوب بلا عقل
تخون المنايا عهده فى سليله   وتنصره بين الفوارس والرجل
ويبقى على مر الحوادث صبره   ويبدو كما يبدو الفرند على الصقل
وما الموت الا سارق رق شخصه   يصول بلا كف ويسعى بلا رجل
يرد أبو الشبل الخميس عن ابنه   ويسلمه عند الولادة للنمل
إذا ما تأملت الزمان وصرفه   تيقنت أن الموت ضرب من القتل
وما الدهر أهل أن يؤمل عنده   حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

وقوله

نحن بنو الدنيا فما بالنا   نعاف ما لا بد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا   على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوه   وهذه الأجسام من تربه
لو فكر العاشق في منتهى   حسن الذى يسبيه لم يسبه

لم يُرَ قَرْنُ الشمس في شرقه ... فشكت الأنفس في غربه
يموت راعي الضان في جهله ... موتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره ... واز داد في الامن على سربه
وغاية المفرط في سلمه ... كغاية المفرط في حربه ؟
فلا قضي حاجته طالب ... فؤادهُ يخفق من رعبه

ومنها الايجاع في الهجاء

كقوله

إن أوحشتك المعالى ... فانها دار غربه
وآنستك المخازى ... فانها لك نسبه

وقوله إني نزلت بكذابين ضيفهم ... عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي وجودهم ... من اللسان فلا كانوا ولا الجود
مايقبض الموت نفسا من نفوسهم ... الاّ وفى يده من نتنها عود

يعني العود الذى يتناوله المعالج للشيء القذر ليكون واسطة بينهُ وبين يده

وقوله العبد ليس لحر صالح بأخ ... لو أنهُ في ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد الا والعصا معهُ ... إن العبيد لأنجاس مناكيد
من علم الاسود المخصي مكرمة ... أقومهُ البيض أم آباؤهُ الصيد ؟
أم أذنهُ في يد النخاس دامية ... أم قدره هو بالفلسين مردود؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود

كأنه من قول ابى على البصير

عجز الراكبُ البصيرُ وأولى ... منهُ بالعجز راجل مكفوف

وقولهِ : فلا ترجّ الخير عند امرىءٍ ... مرّت يد النخاس فى رأسه

وقوله أخذت بمدحه فرأيت لهواً ... مقالى للأحيمق يا حكيم

ولما أن هجوت رأيت عيّا   مقالى لابن آوى ياحليم
فهل من غادر في ذا وهذا   فمدفوع الى السقم السقيم

وقوله

لقد كنت أحسب قبل الخصي   بأن الرءوس مقرّ النهى
فلما نظرت إلى عقله   رأيت النهى كلها في الخصي

وقوله [يهجو اسحاق ابن ابراهيم ابن كيغلغ]

يمشى بأربعة على أعقابه   تحت العلوج ومن وراءٍ يلجم
وجفونه ما تستقر كأنها   مطروفة أوفتّ فيها حِصرم
وتراهُ أصغر ماتراه ناطقا   ويكون أكذب مايكون ويقسم
وإذا أشار مكلما فكأنهُ   قرد يقهقه أو عجوز تلطم
يقلي مفارقة الأكف قذاله   حتى يكاد على يد يتعمم

ومنها ابراز المعاني اللطيفة

في معارض من الالفاظ الرشيقة الشريفة والرمز بالطرف والملح

كقوله فى الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقهُ ، وبين مدح كافور وقد قصده في بيت واحد

فراق ومن فارقت غير مذمم   وأمٌّ ومن يممت خير ميمم

ثم قال معرضا بسيف الدولة

وما منزل اللذات عندى بمنزل   اذا لم أبجل عنده وأكرّم
رحلت فكم باكٍ بأجفان شادن   عليّ وكم باك بأجفان ضيغم

المصراع الثانى تصديق لقولهِ (ليحدثن لمن ودعتهم ندم)

وما ربة القرط المليح مكانهُ   بأجزعَ من رب الحسام المصمم

فلو كان مابي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معمم

وهذا أيضا مما نبهت عليه من إجرائه الممدوح من الملوك مجري المحبوب في كثير من شعره

رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفي وقوسي واسهمى

وكقوله في مدح كافور والتعريض بالقدح في سيف الدولة

قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم إلى غيوث يديه والشآبيب

الى الذى تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب

ولا يروع بمغرور به أحدا ولا يفزع موفورا بمنكوب

يا أيها الملك الغانى بتسمية فى الشرق والغرب عن نعت وتلقيب

يعنى أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة

أنت الحبيب ولكنى أعوذ به من أن أكون محباً غير محبوب

وهذا أيضا من ذاك ، وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد مافارق حضرته يعرض باستزادة يومه وشكر أمسه وهو من فرائده

وإن فارقتنى أمطاره فأكثر غدرانها ما نضب

وإنى لأتبع تذكاره صلاة الإله وسقي السحب

ومنها في التعريض بكافور

ومن ركب الثور بعد الجوا د انكر أظلافه والغبب

وقوله فى هز كافور والتعريض باستزادته

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله فإنى أغنى منذ حين وتشرب

يقول : مديحى إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن تسقينى من فضل كأسك

وهبت على مقدار كفى زماننا ونفسى على مقدار كفيك تطلب

وقوله أيضا فى التعريض بالاستزادة

أرى لى بقربى منك عيناً قريرة   وإن كان قربا بالبعاد يشاب

وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا   ودون الذى أملت منك حجاب

أُقلُّ سلامى حب ماخف عنكم   واسكت كيما لا يكون جواب (١)

وفي النفس حاجات وفيك فطانة   سكوتى بيان عندها وخطابُ

وكقوله في وصف الفرس

ويوم كليل العاشقين كمنتهُ   أراقب فيه الشمس إيّان تغربُ

وعينى الى اذنَىْ أغرَّ كأنه   من الليل باقٍ بين عينيهِ كوكب

أي كأَنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة في وجههِ كوكب وعينهُ إلى أذنه لانه كامن لا يرى شيئا ، فهو ينظر الى اذنى فرسهِ ، فان رآهُ قد توجس بهما تأهب في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك ان اذن الفرس تقوم مقام عينيهِ وتقول العرب اذن الوحشى أصدق من عينيه

لهُ فضلة عن جسمهِ في إهابهِ   تجيء على صدر رحيب وتذهب

شققت به الظلماء أدنى عنانه   فيطغي وأرخيه مرارا فيلعب

أى اذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وغرة نفسه ، واذا أرخيت عنانه لعب برأسهِ

وأصرع أىّ الوحش قفيتهُ به   وأنزل عنه مثله حين أركب

وكقولهِ فى التوديع

وإنى عنك بعد غدٍ لَغادٍ   وقلبي عن فنائك غير غادي

محبك حيث ما اتجهت ركابى   وضيفك حيث كنت من البلاد

---

١ اى اقل سلامى لاجل الحب

وكقوله

سر حيث شئت يحله النوار   واراد فيك مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة   حيث اتجهت وديمة مدرار
وأراك دهرك ماتحاول فى العدا   حتى كأن صروفه انصار
انت الذى بجح الزمان بذكره   وتزينت بحديثه الاسمار

وكقوله في اللطف بالصديق والعنف بالعدوّ

إنى لأجبن عن فراق أحبتى   وتحس نفسي بالحمام فاشجع
ويزيدنى غضب العداة جراءة   ويلم بى عتب الصديق فأجزع

وكقوله فى حسن الكناية

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشو   ق الينا والشوق حيث النحول

وانما كنى عن تكذيبها ولم يصرح به اى انا اشتكى الشوق ونحولى يدل على ذلك ، وهى غير ناحلة فليست مشتاقة وكقوله

ابيض ما فى تاجه ميمونه   عفيف ما في ثوبه مأمونه (١)

اى عفيف الفرج فكنى به ، وكقوله فى حسن الحشو

صلى عليك الله غير مودع   وسقى ثرى أبويك صوب غمام

غير مودع حشو ولكنه حسن وكقوله

ويحتقر الدنيا احتكار مجرب   يرى كل مافيها وحاشاك فانيا

سبحان الله ما أحسن الحشو بقوله وحاشاك وكقوله

إذا خلت منك حمص لاخلت أبدا   فلا سقاها من الوسمىّ باكره

وكقوله فى العيادة

لاتعذل المرض الذى بك شائق   انت الرجال وشائق علاتها (٢)

---

١ فى الديوان عفيف ما فى ثوبه مامونه أبيض ما فى تاجه ميمونه ٢ شاقه حمله على الشوق والمعنى ان المرض الذي أصابك غير ملوم لانك تشوق كل شيء الى زيارتك

ومنازل الحمى الجسومُ فقل لنا ما عذرها فى تركها خيراتها

أي لاعذر للحمى فى تركها جسمك اذ هو أفضل الجسوم وكقوله

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلادوالسبل

لم تبق الاَّ قليل عافية قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله تجشمك الزمان هـوًى ووُدا وقد يؤذى من المقت الحبيب

وكيف تعلك الدنيا بشىء وانت لعلة الدنيا طبيب

وكيف تنوبك الشكوى بداء وأنت المستجار لما ينوب

وكقوله فى التهنئة وهى تهنئة سيف الدوله

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الالمُ

وما أخصك في برءٍ بتهنئة إذا سلمتَ فكلُّ الناس قدسلموا

وكقوله إنما التهنئاتُ للأكفاء ولمن يدّنى من البعداءِ

وأنا منك لايهنِّئُ عضوٌ بالمسرات سائرَ الأعضاء

وكقوله

الصومُ والفطرُ والأعياد والعصر منيرة بك حتى الشمس والقمر

[تري الاهلة وجها عم نائله فما تخص به من دونها البشر]

ما الدهر عندك إلاَّ روضةٌ أنفٌ يا من شمائلهُ في دهره زَهر

ما ينتهي لك في أيامه كرمٌ فلا انتهى لك فى أعوامه عُمُر

فإن حظك من تكرارها شرفٌ وحظ غيرك منها النوم والسهر

وكقولـه

تغير حالى والليالى بحالها وشبتُ وما شاب الزمان الغرانق

وكقوله في الشيب

تسوِّدُ الشمسُ منا بيض أوجهنا ولا تسودّ بيضَ العُذْرِ واللمم

وكان حالهما فى الحكم واحدة   لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

وقولـه

مشيبٌ الذى يبكى الشباب مشيبهُ   فكيف توقّيهِ وبانيهِ هادمه
وماخضبَ الناسُ البياضَ لأنه   قبيحٌ ولكن أحسنُ الشعر فاحمه

ومنها حسن المقطع

كقولـه

قد شرّف الله أرضاً أنتَ ساكنها   وشرّف الناسَ إذ سوّاك إنسانا

قال ابن جنى لا يعجبني قوله سوّاك إنسانا، لأنه لا يليق بشرف ألفاظه، ولو قال أنشاك أو نحو ذلك لكان أليق بالحال

قلت أنا ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحا شريفا، لأن فى القرآن ثم سواك رجلا، ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق بهِ كتاب الله عز ذكرهُ، وكقوله

سما بك همى فوق الهموم   فلست أعد يساراً يسارا
ومن كنتَ بحراً لهُ ياعلى   لم يقبل الدرَّ الاَّ كِبارا

وكقولـه [يمدح سيف الدولة]

أنلتَ عبادَك ما أملوا   أنالكَ ربك ما تأملُ

وكقولـه [فى المغيث بن على العجلى]

وأُعطيتَ الذى لم يعطَ خلق   عليك صلاةُ ربك والسلام

ذكر آخر شعره وأمره

لما انجحت سفرته وربحت تجارتهُ بحضرة عضدالدولة ووصل اليهِ من صلاته أكثر من مائتى ألف درهم استأذنه في المسير عنها ليقضى حوائج فى نفسه، ثم يعود اليها فأذن لهُ وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ويقاد اليه الحملان الخاص،

وتعاد صلتهُ بالمال الكثير فامتثل ذلك ، وأنشدهُ أبو الطيب الكافية التى هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانهِ كأنه ينعي فيهِ نفسهُ ، وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله

فلو أني استطعتُ خفضت طرفي　　فلم أبصر بهِ حتى أراكا

وهذه لفظة يتطير منها . ومنه

اذا التوديعُ أعرض قال قلبي　　عليك الصمتَ لا صاحبتَ فاكا

وهذا أيضا من ذاك . ومنهُ

ولولا أنّ أكثر ما تمنى　　معاودةً لقلت ولا مناكا

أي لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقلت له ، ولا بلغت أنت أيضا مناك

وهذا أيضا من ذاك . ومنه

قد استشفيتَ من داءٍ بداءٍ　　وأقتلُ ماأعلّك ما شفاكا

أى قد أضمرتَ يا قلب شوقا إلي أهلك ، وكان ذلك داء لك فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقتهُ داءلك أيضاأعظم من داءشوقك إلى أهلك ، فكأنك تداويت من فراقه بما هو أقتل لك من مكابدة الشوق إلى أهلك ، وهذاشبهقول النبي صلى الله عليه وسلم (كفى بالسلامة داء) وقول حميد بن ثور

وحسبك داءً أن تصحّ وتسلما

وأقتل ماأعلك ماشفاكا من ألفاظ الطيرة أيضا . ومنهُ

وكم دون الثوية من حزين　　يقول لهُ قدومى ذا بذاكا

الثوية من الكوفة يقول لهُ قدومى ذا بذاك أي هذاالقدوم بتلك الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن لم يقل إن شاءَ الله تعالى ، ومنهُ

ومن عذب الرّضاب إذا انخنا　　يقبل رحل تَرْوك والوراكا

تروك اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمرلهُ بها والوراك شيء يتخذه الراكب

كالمخدة تحت وركه

يحرّم أن يمس الطيب بعدى　　وقدعبق العبير به وصاكا[1]

وهذا أيضا من تلك الالفاظ . ومنهُ

و في الأحباب مختصٌّ بوجد　　وآخر يدّعى معهُ اشتراكا

إذا اشتبهت دموع في خدود　　تبين من بكى ممن تباكى

وهذا أيضا من ذاك . ومنهُ

فزل يابعدُ عن أيدى ركاب　　لها وقع الأسنة في حشاكا

هذه استعارةٌ حسنة لأنهُ خاطب البعد وجعل لهُ حشا . ومنهُ

وأيّا شئت ياطرُقي فكونى　　أذاةً أو نجاة أو هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنهُ ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها فى مملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ماأشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبذرقين ، فجرى ماهو مشهور من خروج سرية من الاعراب عليه ومحاربتهم إياه ، وتكشف الوقعة عن قتله وابنه محسّد ونفر من غلمانه ، وفاز الأعراب بأمواله. وذلك في سنة أربع وخمسين وثلثمائة

أنشدنى أبو القاسم المظفر بن على الطبسى الكاتب لنفسه فى مرثية المتنبى

لارعى الله سربَ هذا الزمان　　إذ دهانا فى مثل ذاك اللسان

ما رأى الناسُ ثانى المتنبي　　أيُّ ثان يرى لبكر الزمان

كانَ من نفسه الكبيرة فى جيـ　　ش وفي كبرياء ذى سلطان

كان في لفظه نبياً ولكن　　ظهرت معجزاتهُ فى المعانى

(فصل) وقد جمح بى القلم فى إشباع هذا الباب وتذييله وتصييرهُ كتابا برأسه

---

١ صاكه لصق به

في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه علي محاسنه ومساويه ، وقد كان بعض الأصدقاء سألني عملَ ذلك ، ولهُ الآن فيه كفاية وبه غنية فان أحب إفراده عن الأبواب كان كتابا على حدة ، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت الفوائد لديه ، وانثالت القلائد عليه بمشيئة الله وإرادته . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الباب الخامس

في ذكر النامي والناشي والزاهي واخراج غرر اشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامي شاعر من فحولة شعراء العصر وخواص شعراء سيف الدولة ، وكان عندهُ تلو المتنبي في المنزلة ، والمرتبة وقد أخرجت من ديوانه ماهو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده ، فمن ذلك قوله من قصيدة .

لها من هواها مالصبِّ متيم وذمةِ حبٍّ عهدُهُ لم يذمم
أفارقُ نفسي شعبةً بعد شعبةٍ فريقين باتا منجداً بعد متْهِم (١)
فقد كثرت في كل أرض ديارهم ككثرة عذَّالي علىَّ ولومي
ولم أرَ يوما كان أثلم للحشا من اليوم بين الجزع والمتثلم

ومنها

لكم يابني العباس سيفٌ على العدا حسام متى يعرض له الداءُ يحسم
أخف إلى يوم الوغى من حمامه وأثبت من شوق بقلب متيم

وقوله من أخرى

أميرَ العلا إن العوالي كواسب علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد

---

١ متهم أى في تهامة

يمُر عليك الحول سيفك في الطّلا ... وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضي عليك الدهر فعلك للعلا ... وقولك للتقوى وكفك للرّفد

ومنها فى وصف أشعاره

أحقاً أنّ قاتلتى زَرُود ... وأن عهودها تلك العهود
وقفتُ وقد فقدتُ الصبرَ حتى ... تبين موقفى أنى الفقيد
وشكت فىَّ عذّالى فقالوا ... لرسم الدار أيكما العميد

ومثل هذا النمط من التشبيه قول السرى

إذا ما الراح والأترجّ لاحا ... لعينك قلت أيهما الشراب

وقول بعض أهل العصر

لي سيدٌ فاتن يعلمني ... بحسنه كيف يعبدُ الصنم
لما رآنى وفى يدى قلمٌ ... لم يدر مولاىَ أينا القلم

ومنها : إليك صدَعنَ أفئدة الليالي ... وفيهنَّ السخائم والحقود
فعيدانُ الأراك لها عظام ... وأسقية السنان لها جلود

ومنها : وشعر لو عَبيد الشعر أصغي ... اليه لظل لي عبداً عبيد
كأن لفكره نشر ابن حجر ... ونودى من حفيرته لبيد

وقوله من أخري

الماه بمغانى داره لمم ... اذ لا أمامة فى دار لها أمم
بأى حكم لايام الفراق نأت ... بناعب كاعب والبين يحتكم
عقلت عيساً كأنى كنتُ حاسدها ... بدار سلمى وترب الدار مستلم
إحدى الحسان أساءت بى وقد صرمت ... يوم الحمى وهواها ليس ينصرم

أخذه من قول ابن الرومى

يارُبّ حسانةٍ منهنّ قد فعلت ... سوءًا وقد يفعل الاسواء حسان

كأن قلبي معار للنوى جزعا — من قلب قرن على وهو منهزم
ناط الحمائل في ليث وفي قمر — وفى الحمائل قد نيطت به الهمم
كأنه أجل أو طرفه وجل — أو سيفه قدر فى الروح يحتكم
يامظمىء الخيل أو تروى ذوابله — والخيل تشرب من أشداقها اللجم
إذا ملائكة النصر اختلطت بها — تشابه العالم النورى والنسم
لم تدع ياعلم المجد المقابلنا — الا وسبح اجلالا لك العلم
لايكتم النصر يوماً أنت شاهده — واليوم من نقعه قد كاد ينكتم
النصر أسرجها والعز ألجمها — والحزم أمسك بالاسراج لاالحزم
قال النهار له والشمس مغمدة — وللمنايا شموس غمدها القمم
هذا عجاج فأين الأفق وهو قنا — وتلك خيل فأين الأرض وهى دم
بحد سيفك سيف الدلة انحطمت — قواعد الشرك والأرواح تنحطم
يحدث الذئب ذئب وهو مبتهج — ويخبر النسر نسر وهو مبتسم
قد أرضعتك ثدى الارض درتها — ورمحك ابن رضاع ليس ينفطم
من آل حمدان حيث الملك مقتبل — والمال مقتسم والحمد مغتنم
قوم إذا حكموا يوماً لانفسهم — جار السماح عليهم في الذى حكموا
أمن علا أم ندى أدعوك أم بهما — فأنت ذا والحيا والصارم الخذم
إن يعجل الرأى تلحقه بغايته — كذا الجواد من الإعجال يحتدم
وإن تأنيت عزما لم يفتك عدا — ان الأسود تمطى ثم تعتزم
إن لم أقم أمما للمدح من فكرى — فشك فيك يقينى أنك الأمم
إذا طلبتك لم ألحقك في أمد — ماحيلتى قد تناهى دونك الكلم
وما على إذا ما كنت ناظمها — فعطلت كل ماقالوا وما نظموا

وقوله من أخرى

أمرن هوانا أن يصبح لنسقا ... فأدمي قلوبا صاديات إلى الدمي

ومنها

أرتنا جَنَى العُنَّاب للورد ظالما ... ومن أقحُوان مرمض متظلما

ما أحسن هذا البيت وأظرفهُ ، وفيهِ كناية عن حكّ الوجه بالبنان المخضب وعض اليد بالثغر الأشنب

طوى البينُ ديباجَ الخدود ونشّرت ... يدُ البين وشياً للخدود منمنما

تقسمت الأهواءُ قلبي كما غدا ... نوال عليّ في العلا متقسما

ويوم كأجياد العذارى حليهُ ... فريد ندي في جيده قد تنظما

جلونا بهِ وجهيْ عروسٍ وكاعب ... على طفل زهر قد بكي وتبسما

وأخرس يصبينا بخمسة ألسن ... إلى أيها مد البنان تكلما

لدُنْ غدوةٍ حتى إذا الشمسُ ودعت ... مغاربها واستأذنتها التصرّما

ثوينا كأنا بعضُ أبناءِ قيصرٍ ... غدا فيهم سيفُ الأَمير محكما

أطعتَ العلا حتى كأنك عبدها ... وإن كنتَ مولاها وكنت لها ابنما

مكارم لا تنفكّ تتعب حاسداً ... يؤَخرهُ سعى لها قد تقدما

زكت فكرى فيها واينع هاجسى ... فظلت على أهل القريض مقدما

وولد شعرى فيك شعراً لمعشر ... فكنت عليهم مثل نعماك منعما

وقوله من أخرى

سلاها لم اسودّ الهوى في ابيضاضهِ ؟ ... والاَ سلاني كيف بيّض مسودّي ؟

كأنَّ برأسي عسكرين تحاربا ... فقد كثر استئمان جند إلى جند

وليل له نجم كليلٌ عن السرى ... تحير لا يهدى لقصد ولا يهدى

كأني وابن الغمد والطرف أنجم ... على قصدها والنجم ليس على قصد

إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضب جناحيه ورسا غُلّ بالعنبر الوردى
وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها ازاء الثريا وهي مقطوعة العقد
فقلت أخيل الثعلبيّ مغيرة أم الفجر يرمي الليل سدًّا على سدّ
فتى قسم الايام بين سيوفه وبين طريفات المكارم والتلد
فسود يوما بالعجاج وبالردي وبيّض يوماً بالفضائل والمجد
ألم ترَ فرعونا وموسى تجاريا فغودرت العقبي لذى الحق لا الحشد
جهدت فلم أبلغ مداك بمدحة وليس مع التقصير عندى سوى جهدي
يزيد على شأوى زياد وجرول وقد غودر ابن العبد فى نظمها عبدى

وقوله من أخري

لهُ سورة فى البشر تقرأ في العلا وتثبت في صحف العطاء وتكتب
اذا ما عليّ امطرتك سماؤهُ رأيت العلا انواؤُها تتحلب
يرجى ويخشى ضرهُ وهو نافع كذا البحر في أزاته متهيّب
يروع ويبدو الانس منهُ كأنه الـ هوى لذعه بين الجوانح يعذب
وأزهر يبيض الندى منهُ فى الرضى وتحمر أطراف القنا حين يغضب
أميرَ الندى ما للندى عندك مذهب ولا عنك يوما للرغائب مرغب
اذا فاخرت بالمكرمات قبيلة فتغلب أبناء العلا بك تغلب
قناة من العلياء انتَ سنانها وتلك انابيب عليها وأكعب
وخيل كامثال القنا فى لبودها فان صهلت فهي اليراع المثقب
وضرب يريك الخيل مجّ نجيعه واشهبها من لون أشقر يخضب

وقوله من أخرى

سألت بالفراق صباً وما ينبـ ـئها بالفراق مثل خبير
هو بين الحشا صدُوع وفى الا أعين ماءٌ وجمرة فى الصدور

نحن أبناء ذا الهوى تسكن الأنـ ـفس منا إلى الضنا والزفير
نال منا يوم الفراق كما نا ل من النا كثين سيف الامير
فى خميس النصر فيه لواء عقده من لوائه المنصور
رجله كالذباء وفرسانه كالأ سد بأسا وخيله كالصقور
وسجاياك يا أبا الحسن الغر واتعابهن شكر الشكور
لو غدا الدهر صافحا لى عن الـ حظ وأعلى من جد حال عثور (١)
لتعطرت من غبار مذاكيـ ـك رواحى وكان عطري بكورى (٢)
ثم صيرت من دماء أعاديـ ـك خلوفي وكان منه طهورى
ولقيت المنون تحت عواليـ ـك معداً ذخراً ليوم نشورى
سر على السعد تستظل من الأيا م ظلى سلامة وحبور
بين فرضين من جهاد وشهر أنت في الناس مثله فى الشهور
سمع النصر فيه أمرك لما خاطبته الاقدار بالتأمير
أنتم دارة العلا يا بنى حمـ ـدان وسكان بيتها المعمور
وتسيرون فى القنافترى الآ جال مرتابة بذاك المسير
فى شموس من الحديد عليها أنجم يفترزن فوق بدور
وعجاج كأنه من دخان النـ ـد يلقى الهواء بالتعطير
عبق من علا كم فكأن الا رض مسك والجو من كافور
فتحيوا بمدحتى فهى ريحا نة حمد تبقى بقاء الدهور

وقوله من أخرى

ومنازلين اذا بدوا فى شارق شبوا ضياء وقوده وبقود
ردوا على داود صنعة سرده لغناهم بالصبر عن داود

---

١ النثور المنحط ٢ المذاكى ما بلغ الخامسة من ذوات الحافر

لا يصحبون اذا انتضوا بيض الظبا　　وشبا القنا غير المنايا السود

وقوله من أخرى

ألم ترَ أعداء الامير كوفره　　يظل لتوفير العلا غير وافر
وحساده مما تذوب كخيله　　بلغن مدي أنفاسهنَّ الزوافر

وقوله من أخرى

وصارم مثل لحظ البرق أسلك في　　مثال جدول ماء فيه منسكب
تنأى به الهام عن اجسامهنَّ كما　　تنأى الخواتيم عن مقروءة الكتب

وقوله من أخرى

في ناظر الشمس ان عنت له رمد　　ومسمع الرعد إن أصغى له صمم
يردّها ونظام الملك متسق　　والموت في خرز الاعناق ينتظم
اسعد بعيد اذا كارمته حكمت　　لك المعاني وامضى حكمها الكرم
عيد وفتح وملك والامير له　　دامت سلامته ما اورق السلم
الله اعطاك اقسام الفخار فما　　خلق يساميك مذ حيزت لك القسم
لو كان يرضي لك الدنيا لما فنيت　　ونلت فيها خلودا انت والنعم

وقوله في صفة منارة

سامية في الجوّ مثل الفرقد　　قاعدة فيه وان لم تقعد
يكاد عاليها وان لم يبعد　　يغرف من خوض الغمام باليد

وقوله

خليلي هل المزن مقلة عاشق　　ام النار في احشائها وهي لا تدرى؟
اشارت الى ارض العراق فاصبحت　　وكاللؤلؤ المبتول ادمعها تجرى[1].
تسربل وشيا من خزوز تطرزت　　مطارفها طرزا من البرق كالتبر

---

١ المبتول المصون

سحاب حكت ثكلى اصيبت بواحد فعاجت له نحو الرياض على قبر
فوشي بلا رقم ونقش بلا يدٍ ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

ودخل على ناصر الدولة وبيده وجعة قد لطخت بلطوخ فقال لهُ هل قلت شيئا قال ماعلمت قال فقل فقال ارتجالا

يد في برها برء الايادى ووعاء للطريف وللتلاد
يد الحسن التى خلقت سماء موكلة بأرزاق العبـاد

أبو الحسين الناشيء الاصغر

أنشدني أبو بكر الخوارزمي قال أنشدني أبو الحسين الناشيء بحلب لنفسهِ

إذا أنا عاتبت الملوك فانما أخط باقلامى على الماء احرفا
وهبهُ ارعوى بعد العتاب ألم يكن تودده طبعا فصار تكلفا

قال وأنشدني لنفسه

ليس الحجاب من آلة الاشراف إن الحجاب مجانب الانصاف
ولقل من يأتى تحجبَ مرة فيعود ثانية بقلب صـافى

ولهُ في سيف الدولة يودعه

أودع لا أنى أودّع طائعـا وأعطى بكرهي الدهر ما كنت مانعا
وارجع لا القي سوى الوجد صاحبا لنفسي إن القيت بالنفس راجعا
تحملت عنا بالصنائع والعـلا فنستودع الله العـلا والصنائعا
رعاك الذى يرعي بسيفـك دينهُ ولقاك روض العيش أخضر يانعا

ولهُ

اذا لم تنل همم الاكرميـ ن وسعيهم وادعا فاغـترب
فكم دعة أتعبت أهلها وكم راحة نتجت من تعب

[وله أيضا] ياخليلي وصاحبي من لؤيّ بن غالب
حاكم الحب جائر موجب غير واجب
لك صدغ كأنما نونهُ نون كاتب
يلذع الناس اذ تعقـ ـرب لذع العقارب

أبو القاسم الزاهي

وصاف محسن كثير الملح والظرف ، ولم يقع الى شعره مجموعا، وإنما تطرفتهُ من أفواه الرواة واستفدتهُ من التعليقات

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من النتف التي استفادها ببغداد ، وأتحفني بهِ من اللطائف التي استصحبها منها للزاهي

سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جآذرا
وأطلعن في الاجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وإنما احتذى في البيت الاول مثال المتنبي في قولهِ

بدت قمرا ومالت غصن بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وممن نسج على هذا المنوال أبو عامر اسمعيل بن أحمد الشاشي، فانهُ قال من قصيدة

رأيت على أكوارنا كل ماجد يرى كل ما يبقى من المال مغرَما
ندوِّم أسيافا ونعلو قواضبا وننقضّ عقبانا ونطلع أنجما

وقال أبو الحسن الجوهري في الخمر الا أنه قلب التشبيه

يقولون بغداد التي اشتقت برهة دساكرها والعكبرى المقيرا
اذا فض عنهُ الختم فاح بنفسجا وأشرق مصباحا ونور عصفرا

ولبعض أهل العصر فى غلام مغنى .

فديتك يا أتم النـاس ظرفا   وأصلحهم لمتخذ حبيبـا
فوجهك نزهة الابصار حسنا   وصوتك متعة الاسماع طيبا
وسائلة تسـائل عنك قلنا   لها في وصفك العجب العجيبا
رنا ظبيا وغنى عنـدليبا   ولاح شقـائقا ومشى قضيبا

وللزاهي

أرى الليل تمضي والنجوم كأنها   عيون الندامى حين مالت الى الغمض
وقد لاح فجر يغمر الجو نوره   كما انفجرت بالماء عين على الارض

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه كتاب روائع التوجيهات من بدائع التشبيهات زاهي

الريح تعصف والاغصان تعتنق   والمزن باكية والزهر معتبق
كأنما الليل جفن والبروق له   عين من الشمس تبدو ثم تنطبق

ومن مشهور شعر الزاهي قوله

لولا عِذارك ماخلعتُ عذاري   ولكنتُ في وِزر من الأوزار
ما كنتُ أحسب أن أعاينَ أوأرى   تخطيطَ ليل في بياض نهـار
حتى نظرتُ إلى عِذارك فاغتدي   سقمَ القـلوب ونزهةَ الأبصار
فتركتُ قولي في الوعيد لأجله   وعزمت فيك على دخول النار

ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد ان في مجموعه المترجم بحاطب الليل قصيدة للزاهي أولها

الليل في فكري يصير ضياءَ   والسيفُ في نظري يذوبُ حياءَ
والخيلُ لو حملتُها على بها   لتركتها تحت العجاج هَباء

ومنها :

أحصى عليّ دهري الذنوب بمقلةٍ   لدموعها لا أملك الإحصاء

سرقه من قول ديك الجن

(أنا أحصى فيكَ النجوم ولكن لذنوب الزمان لستُ بمحص)

عجباً لصرف الدهر كيف يخون من غَمَرَ البرية نجدةً ووفاء

عدم الصباح فبات عنهُ بفكره وعلت يداهُ فطاول الجوزاءَ

وأنشدت له بيت معمى وماأراهُ قالهُ

من كان آدم جمّلا فى سنهِ هجرتهُ حواء السنينَ من الدمى

آدم فى حساب الجمل خمس وأربعون وحواء خمسة عشر ، وله في وصف الأترج

وذات جسم من الكافور في ذهب دارت عليهِ حواشيه بمقدار

كأنها وهي قدَّامي ممثلة فى رأس دوحتها تاج من النار

الباب السابع

فى ذكر أبى الفرج عبد الواحد الببغا

وغرر نثره ونظمه

هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، من أهل نصِّيبين نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، وأحد أفراد الدهر ، فى النظم والنثر . لهُ كلام بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام ، فنثره مستوف أقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمهُ كأنهُ روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً . وقد أخرجت من شعره ، مايشهد بالذى أجريت من ذكره . وإنما لقب بالببغا للثغة فيهِ سيجرى وصفها في ذكر مادار بينه وبين أبى اسحاق الصابى من طرف المكاتبات وملح المجاوبات . وكان فى عنفوان أمره وريعان شبابهِ متصلا بسيف الدوله ، مقيما فى جملته ، ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه

الاحوالُ في وروده الموصل وبغداد ومنادمته بهما الملوك والرؤساء و إخفاقه مرة وإنجاحه أخرى، وآخر ما بلغنى من خبره ما سمعت الأمير أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالى يورده من ذكر التقائه معه عند صدَره من الحج وحصر له ببغداد فى سنة تسعين وثلاثمائة ورؤيته بها شيخاً عالى السن متطاول الأمد نظيف اللبسة بهىّ المركبة مليح اللثغة ظريف الجملة قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ولم تأخذ من ظرفه وأدبه ، وأنهُ مدح أباه الأمير أبا نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته ثم السلاميّ وغيره من شعراء العراق ، ثم عرض عليَّ القاضى أبو بشر الفضل ابن محمد بجرجان سنة إحدى وتسعين كتاب أبى الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملا من النظم والنثر على ما أثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف الى ثنية الوداع ، ولست أدرى ما فعل الدهر به ، وأغلب ظنى أنهُ إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير ، وأنا أبدأ بسياق قصة لهُ من عبارته وحكايته ، لم أسمع أظرف منها في فنها ، ولا ألطف ولا أعذب ولا أخف ؛ وإن كان فيها بعض الطول والبديع غير مملول

قال أبو الفرج — : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمهُ الله مكرها ، وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه حتى أن ذلك كان مؤدياً الى النهب وطول الاعتقال ، واضطررت إلى اعمال الحيلة في التخلص والسلامة ، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية ، وكان سنى فى ذلك الوقت عشرين سنة ، وكان انقطاعي منهم إلى أبى بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه فى الرياسة ، ومكانه من الفضل والصناعة ، فأحسن تقبلى وبالغ في الإحسان بى ، وحصلت تحت الضرورة في المقام ، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرقة ، تسايا وتعللا ، فلما كان فى بعض الأيام عملت على قصد دير مرَّان ، وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر ، فاستصحبت

بعض من كنت آنس به ، وتقدمت لحل مايصلحنا وتوجهنا نحوه فلما نزلنا أخذنا فى شأننا ، وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاحة الخلق ، حسبما جرى به الرسم فى غشيان الأعمار وطروق الديرة ، ومن التطرف بعشرة أهلها والانسة بسكانها ، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغنا وزهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه ولوح السكر لصحبي أعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته إلى خطابى متوثباً ولنظري إليه مترقبا ، فلما أخذته عينى أكب يزعجني بخفي الغمز ووحى الايماء فاستوحشت لذلك ، وأنكرته ونهضت عجلا ، واستحضرته فأخرج إلى رقعة مختومة وقال لي قد لزمك فرض الأمانة فيما تتضمنه هذه الرقعة ، وولى وسقط ذمام كاتبها فى سترها بك عنى ففضضتها فاذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يامولاى ، بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض علي التسامح بنفيس الحظ منك . إلى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبره ، ورفعت بيني وبينك سجف الحشمة فأطعت بالانبساط أوامر الأنسه ، وانتهزت فى التوصل إلى مودتك فائت الفرصة والمسماح منك ـ جعلني الله فداك ـ زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة مهنأة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ولكن لأخذى بالاحتياط على حالى ، فان صادف ماخطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقا ، فمنية غفل الدهر عنها ، أو فارق مذهبه فيما أهداه إلى منها ، وإن جري على رسمه فى المضايقة فيما أؤثره وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه ، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها ، واذا بأبيات تتلو الخطاب وهي

ياعامر العمر بالفتوة والقصف وحثّ الكؤوس والطرَب
هل لك فى صاحبٍ تناسب في الغربة أخلاقه وبالادب
أوحشه الدهر فاستراح إلى قربك مستنصراً على النُّوَب
فان تقبلت ما أتاك به لم تشن الظن فيه بالكذب
وإن أبى الزهد دون رغبتنا فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبوالفرج فورد على ماحيرنى ، واستردّ ما كان الشراب حازه من تمييزي. وحصل لي في الجملة أن أغلب الاوصاف علىصاحبها الكتابة خطا وترسلاونظما فشاهدته بالفراسة من ألفاظه ، وحمدت أخلاقه قبل الاختيار من رقعته ، وقلت للراهب : ويحك من هذا وكيف السبيل إلي لقائه ؟ فقال أما ذكر حاله فاليه إذا اجتمعنا وأما السبيل الي لقائه فمنسهل ان شئت قلت دلنى ، قال تظهر فتوراً وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفا ، واذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلي باب خفي تدخل منه فرددت الرقعة عليه وقلت ادفعها [اليه] ليتأكد أنسهُ بي وسكونه اليّ وعرفهُ أن التوفر على إعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما آثره من التفرد أولى من التشاغل باصدار جواب وقطع وقت بمكاتبته، ومضى الراهبُ وعدت إلىأصحابى بغير النشاطالذى نهضت به فأنكروا ذلك فاعتذرت اليهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ما أركبهُ ، وتقدمت إلى من كان معى ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا عملنا على المبيت فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعى صبي كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى الشاكرىّ بردّ الدابة وستر خبرى ومباكرتى وتلقانى الراهبُ ، وعدل بى الى طريق فى مضيق وأدخلنى الى الديرمن باب غامض وصار بى الى باب قلاية متميز عما يجاوره من الابواب نظافة وحسنا فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة فابتدرنا منهُ غلام كأن البدر ركب على ازراره

مهفهف. الكشح مخطفه معتدل القوام اهيفه
تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته

في غلالة تنم على ما تستره ، وتجفو مع رقتها عما تظهره ، وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلي واستوقف نظرى ثم اجفل كالظبي المذعور وتلوته والراهب الى صحن القلاية فإذا أنا ببيت فضي الحيطان رخامي الأركان يضم طارقة خيش مفروشة بحصير مستعمل ، فوثب الينا منه فتى مقتبل الشبيبة حسن الصورة ظاهر النبل والهيئة ، متزى من اللباس بزى غلامه ؛ فلقيني حافياً يعثر بسراويله واعتنقنى ثم قال انما استخدمت هذا الغلام فى تلقيك ياسيدى لأجعل مالعلك استحسنته من وجهه مصانعا عما ترد عليه من مشاهدتى فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطي ، وارتجاله النادرة على نفسه حرصا في تأنيسى ، وأفاض فى شكرى على المسارعة إلى أمره وأنا أواصل فى خلال سكناته المبالغة فى الاعتداد به ، ثم قال : ياسيدى أنت مكدود بمن كان معك ، والاستمتاع بمحادثتك لايتم إلا بالتوصل الى راحتك ، وقد كان الأمر على ماذكر ، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت نخدمت فى حالتى النوم واليقظة الخدمة التى ألفتها فى دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء ، وأحضر نا خادم له لم أر أحسن منه وجها ولاسواداً طبقاً يضم مايتخذ للعشاء مما خف ولطف ، فقال الأكل منى ياسيدى للحاجة ، ومنك للممالحة والمساعدة فنلنا شيئاً ، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت الي فضاء أدي الينا محاسن الغوطة وحبانا بذخائر رياضها من المنظر الجنانى والنسيم العطرى ، وجاءنا الراهب من الأشربة بماوقع اتفاقنا على المختار منه ؛ ثم اقتعدنا غارب اللذة وجرينا فى ميدان المفاوضة ، فلم يزل يناهبنى نوادر الأخبار وملح الأشعار ، ونخلط ذلك من المزح باظرفه ومن التودد بألطفه الى أن توسطنا الشراب فالتفت الى غلامه ، وقال له يامترف ان مولاك ما ادخر عنا

السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم مايريد ومضى ، فعاد يحمل طنبوراً وجلس فقال لي : ياسيدي تأذن لي فى خدمتك فهممت بتقبيل يده لما تداخلنى من عظم المسرة بذلك ، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى

ياما لكى وهو ملكي . وسالبي ثوبَ نسكى
نزّهْ يقينَ الهوي فيـ ـك عن تعرُّض شكّ
لولاك ما كنت أبكى الى الصباح وابكى

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعر لهُ فكدت والله أطير طربا وفرحا بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه ، فاستدعيت كيزا فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم ، فشربت سروراً بوجهه وشرب بمثل ماشربت ثم قال لى أنا والله ياسيدى أحب ترفيهك وأن لا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، ولكن اذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تشى ليلتنا بشيء يكون لها طرازا ولذكرها معلما ، فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا وقد أخذ الشراب مني

وليلة أوسعتنى حسنا ولهواً وأنسا
مازلتُ ألثمُ بدراً بها وأشربُ شمسا
اذ اطلع الدير سعداً لم يبق مذ بان نحسا
فصار للروح منى روحا وللنفس نفسا

فطرب على قولى ألثم بدراً وأشرب شمسا ، وجذب غلامهُ فقبله ، وقال ماجهلت مايجب لك ياسيدى من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرتهُ فبحياتى الا فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت إيثاره خوفاً من احتشامه وأخذ الابيات وجعل يردّدها ثم أخذ الدواة وكتب اجازة لها

ولم أكن لغريمي والله أبذل فلسا
لوارتضى لي خصمي بدَيْر مَرّان حبسا

فقلت إذاً والله ما كان أحد يؤدى حقا ولا باطلا، وداعبته في هذا المعنى بما حضر . وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه وقال لي قد خرج لك أكثر الحديث فإن عذرت وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها فتبينت مايؤثره من كتمان أمره : فقلت لهُ ياسيدى كل مالا يتعرف بك نكرة . وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار ، ونابت الخبرة عن الاستخبار . وجعل يشرب وينخب عليّ من غير إكراه ولا حث ولا استبطاء إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه وأكب على مجاذبة غلامه والفطنة تثنيه في الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لى بازاء برذعته فنهضت اليها وقام يتفقد أمرى بنفسه فقلت له ان لي مذهبا بتقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل مايختاره من هذه الحال فى غلامه فتبسم وقال لي بسكره قد جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لى بك وأظهرت النوم وعاد يجاذب غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمهُ ، وغلبتني عيناي إلى أن أيقظنى هواء السحر فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس ، فأردت توديعهُ وحاذرت إنباهه وإزعاجه فخرجت ولقيني الخادم يريد إيقاظهُ وتعريفهُ انصرافى فأقسمت عليه أن لايفعل ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرتهُ فركبت منصرفاً وعاملا على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ومتوهما أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره ، واعترضنى أسباب أدّت الي اللحاق بسيف الدوله فسرت على أتم حسرة لما فاتنى من معاودة لقائه وقلت فى ذلك :

ويوم كأنَّ الدهرَ سامحني بهِ … فصار اسمهُ ما بيننا هبــةَ الدهر
جرتْ فيهِ أفراسُ الصبا بارتياحنا … إلى ديْـر مرّان المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطرَ الـ … نسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترْفِدُ روضة … ومن نهر بالفيض يجرى إلى نهر
وفى الهيكل المعمور منهُ اقترعتها … وصحبى حلالاً بعد توفية المهر
ونزَّهت عن غير الدنانير قدرها … فما زلت منها أشرب التبر بالتبر
وحلَّ لنا ما كان منها محرَّما … وهل يحظر المحظور في بلد الكفر
فأهدت لى الأيَّام فيــه مودة … دعتنى فى ســتر فلبيت فى ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة … تخاطبني عن معدن النظم والنثر
وكان جوابى طاعةً لا مقالةً … ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
فلاقيت ملءَ العين نبلا وهمـة … محل السجايا بالطلاقة والبشر
وأحشمنى بالبر حتى ظننتهُ … يريد اختداعى من جنانى ولا ادرى
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا … فكنت وإياهُ كقلبين في صدر
وشاءَ السرورُ أن يلينا بثـالثٍ … فلاطفنا بالبدر أو بأخى البدر
بعطى عيونٍ ما اشتهت من جماله … ومضنى قلوب بالتجنب والهجر
جنينا جنىَّ الوردِ فى غير وقته … وزهرَ الرُّبا من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهــه وشرابه … بشمسين في جنحى دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمعُ كالطرف آخذا … بأوفر حظ من محاسنهِ الزهر
وأمتعنـا من وجنتيـه بمثـل ما … تمزّج كفاهُ من المـاء والخمر
سرورٌ شكرنا منةَ الصحو اذ دعا … إليهِ ولم نشكر به منـة السكر
كأنَّ الليالى نمنَ عنهُ فعنـد ما … تنبهن نكبن الوفاءَ إلى الغـدر
مضى وكأنى كنتُ فيه مهوِّما … يحدِّث عن طيف الخيال الذى يسرى

وهل يحصل الإنسان من كل مابه   تسامحهُ الأيام الاَّ على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة، وأشد تأسف على ماسلبتهُ من فراق الفتى، لاسيا ولم أحصل منهُ على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤديانني إلى الطمع فى لقائه، إلى ان عاد سيف الدولة الى دمشق؛ وأنا في جملته، فما بدأت بشيء قبل المصير الى الراهب، وقد كنت حفظت أسمهُ فخرج اليَّ مرعوبا، وهو لا يعرف السبب، فلما رآنى استطار فرحا وأقسم ألاَّ يخاطبني إلاَّ بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك، ففعلت فلما جلسنا للمحادثة قال مالى لأراك تسأل عن صديقك؟ قلت والله مالى فكر ينصرف عنه، ولا أسف يتجاوز ماحرمته منهُ ولا سررت بعودى الى هذه البلدة الاَّ من أجله، ولذلك بدأت بقصدك. فاذكر لى خبره فقال لى أما الآن فنعم: هذا فتى من المادرانيين[1] جليل القدر عظيم النعمة كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال كثير نخاش[2] به ضمانهُ خرج متخفياً الى ان ورد دمشق بزيّ تاجر فكان استتاره عند بعض اخوانه ممن أخدُمهُ فأتى عنده يوما اذ ظهر لي وقال لصديقه انى أريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان على مأموناً، فذكر له لهُ صديقهُ مذهبى، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الانس بى وأنا لا أعرفهُ، غير أن صديقى قد أمرنى بخدمته وحصلى في قلاَّيتى فواصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا، ومعهُ الغلام والخادم، وقد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة. فلما نظر الى الغلام قال ياراهب قد حلّ الفطر وجاء العيد، ووثب اليه فاعتنقهُ، وجعل يقبل عينيه ويبكى ووقف على السفاتج فأنفذها مع درج رقعة منهُ الى صديقه، فلما كان بعد يومين حمل اليه ألفى دينار وقال لهُ ابتع لنا مانستخدمهُ فى هذه الضيعة فابتاع آلةً وفرشا ولم يزل مكباً على ما رأيت الى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنه، وكتب أهله

---

١ المادرانيين هم أهل الحضر   ٢ خاش نقص

باجتماعهم الى صاحب مصر وتعريفهم اياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع بحطيطة المال عنه مقترنا بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا الى الراهب ليصرفه في مصالح الدير الى أن نواصل تفقده من مستقرنا ، وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف الا عليك يقطع الأوقات بذكرك ، ولا يشرب الا على ما يغنيه الغلام من شعرك . وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها ، ما يخل بتفقدي ، ولا يغب بري فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره ، وأتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به (انتهى كلامه)

في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره

كتب الى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً الى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصى عليه ،وأخذه إياه وانكفاءه بعد ذلك الى حلب :

الرياسة أيد الله سيدنا حلة موموقة . ومرتبة مرموقة يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم . وينالونها بحسب مراتبهم من الكرم ، فما تدرك الا بالسماح ، ولا تملك الا بأطراف الرماح . ولا تتقمص الا بالحمد . ولا تخطب الا بلسان المجد . فكل من ادركها طلبا . واستحقها بأفعاله لقبا ، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد . ورق الاخلاص لا التودد . فقد حرم نيل الكمال . وعدل عن الحقيقة الى المحال (شعر)

لأنه الغاية القصوى التي عجزت ⁂ عن أن تؤمل ادراكا لها الهمم
ما تستحق ملوك الدهر مرتبة ⁂ في الفضل إلا له من فوقها قدم
ذكاؤه إن دجا ليل الشكوك ضحى ⁂ وظله إن خطا صرف الردى حرم

فلوعدا الكرمُ الموصوفُ راحته عن أن يجاوزها لم يكرم الكرم

الشجاعة أقلُّ أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته . يطرق الدهر اذا نطق ، وينطق المجد اذا افتخر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف اليه . نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن معاناة مثله . بهمم سيفية ، وعزائم علوية ، فردَّ شمل الدين جديدا ، وذميم الايام حميداً . بحق أوضحه ، وخلل أصلحه وهدى أعاده ، وضلال أباده.

فلا انتزع اللهُ الهدى عِزَّ باسه ولا انتزع اللهُ الوغى عز نصره
وأحسنَ عن حفظ النبي وآله ورعْى سَوام الدين توفيرَ شكره
فما تدرك المدّاح أدنى حقوقه بإغراق منظوم الكلام ونثره

لأن أدنى نعمة تستغرق جميع الشكر ، وأيسر منة تفوّت المبالغة فى جميل الذكر . فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد أثره . المشهور بلاؤه ، الواجب ثناؤه . الباسق فرعه ، العام نفعه . فأشرف من أن يحدّ بالصفات ، أو يعد بافصح العبارات ، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الارادة ، على مشكور العرف والعادة ، فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين (شعر)

كأنما ادَّخر الرحمنُ معظمةً دونَ الملوك لسيف الدولة البطل
رآهُ أكرمهم في الخير إن ذكروا وصفاً وأفضلهم في القول والعمل
فهزَّهُ وظبا الاسياف مغمدة واستله غير منسوب الى الفلل
حتى غدا الدين من بعد العبوس به جذلان يرفل من نعماهُ في حلل
فلو تكلم فى حال وقيل له من خير هذا الورى لم يسم غيرَ على

ولـه من رسالة أخرى

شهاب ذكاء ، وطود وفاء . وكعبة فضل ، وغمامة بذل . وحسام حق ،

ولسان صدق . فالليالى بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة ، تحمده أولياؤه وتشهد له بالفضل أعداؤه :

يقابلنا البدرُ من بُرْده ويشملنا السعد من سعده
ولو فخر المجدُ لم تلقه فخوراً بشيء سوى مجده

ولو من رسالة أخرى

ثم إنَّ شكرى نعمةَ الله تعالى بما جدده من ملاحظة سيدنا حالى ، وتداركه بطول التطوُّل مرض آمالي . مالا أؤمل ـ مع المبالغة والاغراق فيه ـ فكَّ نفسى بحال من رِقِّ أياديه . غير أنى أحسن لها النظر ، وأجمل عندها الأحدوثة والخبر . بالدخول في جملة الشاكرين ، والاتسام بفضيلة المخلصين إذ كان ـ أدام الله عزَّه ـ قد نصر نباهتى على الخمول ، واستنقذنى من التعهد للتأميل :

فصرتُ أمسك عن أوصاف نعمته عجزاً وينطق عن آثارها حالى
لما تحصنت من دهرى بمعقله سمت بحملانه ألحاظ إقبالي
وواصلتنى صلاتٌ منه رحت بها أختال ما بين عزِّ الجاه والمال
فلينظر الدهرُ عقبى ماصبرتُ له إذ كان من بعض حسادى وعذّالى
ألم أكده بحسن الانتظار إلى أن صنت حظىَ عن حلّ وترحال
بلغت ما لا يجوز السؤل نائله ولا يدافع عن فضل وإفضال
ياعارضاً لم أشم مذ كنت بارقه إلاَّ رويت بغيث منه هطال
رويدَ جودك قد ضاقت به هممي وردّ عني برغم الدهر إقلالى
لم يبق لي أملٌ أرجو نداك به دهري لأنك قد أفنيت آمالي

والله ينهضنى من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله ، لما يبلغنى رتبة الزيادة . ونيل السؤل والإرادة بمنه وكرمه .

وله من رسالة اليه يلتمس رسمه من الكسوة

والعادة جارية بإعانتي على ما أوثرهُ من التجمل في الخدمة بمتابعة النظر ومواصلة التفقد :

فان رأى لارأى سوءاً ولابرح ال — إقبال مشتملا أيام دولته
أن يقتضى لىَ من انعامه خلعاً — تنوب عن منطقي فى شكر نعمته
اذا تأملها الحساد لأئحة — تيقنوا أنها عنوان نيته

فعل ان شاء الله

وله من رسالة الى المهلبي الوزير

ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذى لا يتعاطى استطاعة الوصف مطاولته ، ولا امكان البلاغة مساجلته . عدلت إلى شكر الله تعالى على ماألهمنيه من تأميل سيدنا والتجمل بحمل منته ، واكتساب الشرف بسمة ذكره . متحققا أنى على البعد منهُ حاضر بالإخلاص ؛ لاحق بذوى الحظوة والاختصاص . إذ كانت خدمة مثلى انما هى بلبه لا بقربهِ ، وبفهمهِ لا بجسمهِ :

وفي الحقيقة لولا أنَّ معتقلى — عن السرَى جودَ سيف الدولة الملك
لما اقتصرت على غير المسير الى — مَن حظه فى المعالى غيرُ مشترك
لكنهُ فلك الفضل المحيط وما — من عادة الشمس أن تنأى عن الفلك

وفي هـذه الرسالة

وان رأى المتناهى من سيادته — الى المحل الذى لم يرقهُ أحد
أن يقتضى لىَ حظاً من مكارمه — يغري علىَّ العدى من أجله الحسد
فالشمس تدنو ضياء وهى نازحة — والسحب تروى من أوطانها البعد

وله من رسالة الى أبى محمد جعفر بن محمد بن ورقاء

وقد كنت أوثر أن لا يصدر كتابى هذا الاَّ بقصيدة في الأمير ، غير أن الوقت لم يتسع لما أوثره فأنفذت هذه الأبيات ، وأرجو أن يكون موقعها باسطا لى الى ما أوثره من المواصلة بامثالها ، ولا والله ما حبست فيها ، ولا فيما تقدمها من المنثور عنان القلم ، وهي :

جاد ربعا حللته يا همام من ندى كفك العزيز رِهام[1]
فقبيح ان استزدت له صو ب غمام وأنت فيه غمام
ما بأرض لم تبدُ فيها صباح مابدار حللتَ فيها ظلام
واذا ما حللت فى بلد فه و جميعُ الدنيا وأنت الأنام
سؤدد عنده التفاخر ذلٌّ وندًى عنده الكرام لئام
وسجايا كأنها الروض الاَّ أنها للعدوِّ موت زؤام
أنتمُ أنفس العلا يابني ور قاء والناس كلهم اجسام
سخط المال من أكفكمُ ما حمدتهُ السيوف والاقلام

وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة

الى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة يذكر رغبته في قصده
وايثاره الانقطاع اليه ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة

ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع الى سعة نعمائه فقداستظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره

فما يقدح الفقرُ في حاله ولا يطمع الدهر فى قصده
وكيف وقد صار ضيفَ الغما م وهو قريبٌ على بعده

---

١ الرهام جمع رهمة بكسر الراء فيهما وهو المطر الضعيف الدائم

ومن علقت بأبى تغلبٍ يداهُ احتذى البدرَ من سعده
همام قضى اللهُ من عرشه له بالامارة في مهده
فطود السيادة في دسته وشمسُ الرياسة فى برده

ولما ورد الجواب عن مكتوبهِ مقروناً بازاحة العلة فى جميع ما يحتاج اليه فى سفره ، والتوقيع بالمبادرة فى المسير الى الموصل ، وردها ولقى أبا تغلب برسالة طويلة منها :

افصح دلائل الاقبال ، وأصدق براهين السعادة اطال الله بقاء سيدنا ماشهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته . ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل عدله ، مفصحة بتكامل الاقبال ، مبشرة بتصديق الآمال :

محروسة ضمن الشكرَ الوفيّ لها عن الزيادة نيلُ السؤل فى الدرك
تحقق الدهر أن الملك منذ نشا له أبو تغلبَ اسمٌ غيرُ مشترك
واستخلف الفلك الدوَّار همته فلو وفى أغنت الدنيا عن الفلك

موفر الحسنات ، مأمون الهفوات ، متناصر الصفات . ربعىّ النفاسة ، حمدانى السياسة ، ناصرى الرياسة . عطاردي الذكاء ، موفق الآراء . شمسى التأثير ، فلكى التدبير ، قمرى التصوير . للصدق كلامه ، وللعدل أحكامه ، وللوفاء ذمامه . وللحسام عناؤهُ ، وللقدر مضاؤهُ ، وللسحاب عطاؤهُ :

دعوتهُ فأجابتنى مكارمهُ ولو دعوت سوى نعماه لم تجب
وجدتهُ الغيثَ مشغوفاً بعادته والروض يجنى بما فى عادة السحب
لو فاته النسبُ الوضَّاح كان لهُ من فضله نسبٌ يغنى عن النسب
إذا دعته ملوك الأرض سيدَها طراً دعتهُ المعالي سيدَ العرب

فأجمل برّه وتقبله مدة مقامه بحضرتهِ إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام

سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام أخرى

وله من رسالة شكر

وكأنى أرى عواقب اشتمالك علىّ ، وتفقدك المتواصل إليّ ، من مرآة العقل ، وبصيرة الذكاء والفضل . إذ كانت أمارات الإقبال على حالى بك لائحة ، وشواهد السعادة لدىّ بعنايتك واضحة :

فمن نظر يسارع في صلاحى ومن وصف يحثّ على نفاقي
بإنعام أسر من التدانى على عدم أفظ من الفراق

وله فى مثلها :

من كان جميل رأى سيدنا عدّته ، أمن من الدهر شدّته . ومن فزع إلى إحسانه ، استظهر على زمانه . ومن توجه برغبته اليه ، لم تقدم الأيام عليه :

وأنا الذي علّمت من طلبَ الغنى كيفَ الطريق إلى الغنى برجائه
فظللت مخصوصاً بحمد عفاته وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه
وأفدت قدماً معجزاتِ فضائلى من نور فطنته ونار ذكائه
فاذا نطقت نطقتُ من ألفاظهِ وإذا وهبتُ وهبتُ من نعمائه

ذكر مادار بينه وبين أبى اسحاق الصابى

كان كلٌّ منهما يتمنى لقاءَ صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق أن أبا الفرج قدم مرة بغداد وابو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة ، فلم يصبر عنهُ فزاره فى محبسه ثم انصرف عنه ولم يعاودهُ ، فكتب اليه أبو إسحاق :

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل يزيدك صرفُ الدهر حظاً إذا نقص
مضى زمنٌ تستام وصلىَ غاليا فأرخصته والبيع غال ومرتخص
وآنستنى في محبسى بزيارة شفت كمداً من صاحب لك قد خلص

ولـكنها كانت كحسوة طائر فواقا كما يستفرص السارق الفُرَص
وأحسبك استوحشت من ضيق محبس وأوجست خوفاً من تذكرك القفص
كذا الكُرَّز اللماح ينجو بنفسه اذا عاين الأشراك تنصب للقنص [1]
من المنسر الأشغى ومن حزة المدى ومن بندق الرامي ومن قصة المِقص [2]
ومن صعدة فيها من الدبق [3] لهذم لفرسانكم عند الطعان بها قعص
فهذى دواهي الطير وقيت شرها إذا الدهر من أحداثه جرع الغصص

فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله :

أيا ماجداً مذ يمم المجدَ ما نكص وبدرَ تمام مذ تكامل ما نقص
ستخلص من هذا السرار وأيما هلال توارى بالسرار فما خلص [4]
برأفة تاج الملة الملك الذي لسؤدده في خطة المشترى خصص
تقنصت بالألطاف شكرى ولم أكن علمت بأنَّ الحرَّ بالبرِّ يقتنص
وصادفت أدنى فرصة فانتهزتها بلقياك إذ بالحزم تنتهز الفرص
أتتنى القوافي الباهرات تحمل ال بدائع من مستحسن الجدِّ والرخص
فقابلت زهر الروض منها ولم أرع وأحرزت در البحر منها ولم أغص
فإن كنت بالببغاء قدما ملقباً فكم لقب بالجور لا العدل مخترَص
وبعد فما أخشى تقنص جارح وقلبك لى وكر ورأيك لى قفص !

فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فأعجب بهما واستظرفهما ، وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبى اسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلت بينهما المكاتبة والمودة . وكتب أبو إسحاق إلى أبى الفرج أبياتا فى صفة القبج [5] والخطاطيف ثم كتب إليه هذه الارجوزة فى صفة الببغاء :

أنعتها صبيحةً مليحة ناطقةً باللغة الفصيحة

---

١ الكرز البازى ٢ المنسر الأشغى هو المنقار المتراكب ٣ الدبق غراء تصادبه الطيور ٤ السرار آخر أيام الشهر ٥ القبج هو الحجل

غدت من الاطيار واللسانُ　　يوهمنى بأنها إنسان
تنهى إلى صاحبها الأخبارا　　وتكشف الأسرار والأستارا
سكاء الاّ أنها سميعه　　تعيد ما تسمعهُ طبيعه
وربما لقبت العضيهه　　فتغتدى بذيئة سفيهه(١)
زارتك من بلادها البعيده　　واستوطنت عندك كالقعيده
ضيفٌ قِراه الجوز والأرزُّ　　والضيف فى أبياتنا يعز
تراه فى منقارها الخلوقى　　كلؤلؤٍ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصين　　فى النور والظلمة بصاصين
تميس في حلتها الخضراء　　مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الأقفاص　　ليس لها من حبسها خلاص
تحبسها ومالها من ذنب　　وانما تحبسها للحب
تلك التي قلبي بها مشغوف　　كنيت عنها واسمها معروف
نشرك فيها شاعر الزمان　　والكاتب المعروف بالبيان
وذاك عبد الواحد بن نصر　　تقيه نفسى عاديات الدهر

فأجابهُ أبو الفرج بهذه الارجوزة

من منصفي من حكم الكتاب　　شمس العلوم قمر الآداب ؟
أضحى لأوصاف الكلام محرزا　　وسام أن يلحق لما برّزا
وهل يجارِى السابقَ المقصرُ　　أم هل يساوى المدركَ المعذِّرُ
ما زال بى عن غرض معرضا　　ولى بما يصدره مستنهضا
فتارةً يعتمد الخطافا　　ببدَع تستغرق الأوصافا
وتارة يعنى بنعت القَبج　　من منطق لفضله محتجِّ

---

١ فى ط بديهة

يحوم حول غرض معلوم ومقصد في شعره مفهوم
حتى تجلت رَغوة الصريح وسلم التلويح تصريح
وصح أن الببغاءَ مقصده بكل ماكان قديما يورده
فلم يدع لقائل مقالا فيها ولا لخاطر مجالا
أهدي لها من كل نعت أحسنه وصاغ من حلى المعانى أزينه
أحال بالريش الاشيب الاخضر وباحمرار طوقها والمنسر[1]
على اختلاط الروض بالشقيق وأخضر المينـاء بالعقيق
تزهى بدُوّاج من الزمرد ومقلة كسبج فى عسجد[2]
وحسن منقار أشمّ قانى كأنما صيغ من المرْجان
صيرها انفرادُها في الحبس بنطقها من فصحاء الإنس
تميزت فى الطير بالبيان عن كل مخلوق سوى الانسان
تحكى الذى تسمعه بلا كذب من غير تغيير لجد أو لعب
غذاؤها أزكى طعام رغدا لاتشرب الماء ولا تخشى الصدا
ذات شغى تحسبهُ ياقوتا لا ترتضي غير الارز قوتا
كأنما الحبة فى منقارها حبابة تطفو على عقارها[3]
إقدامها بيأسها الشديد أسكنها في قفص الحديد
فهى كخود في لباس أخضر تأوي إلى خركاهة لم تستر
ووصفها المعجز مالايدرك ومثله فى غيرها لايملك
لولم تكن لى لقباً لم أختصر لكن خشيت أن يقال منتصر
وإنما تنعت باستحقاق لوصفها حذقَ ابى إسحاق

---

١ الاشيب المختلط ٢ السبج خرز ناعم أسود والدواج لحاف يلبس
٣ العقار الخمر والحباب الفقاعات التى تطفو اعلى الكاس

شرّفها وزاد في تشريفها　　بحكم أبدع في تفويفها
فكيف أجزي بالثناء المنتخب　　من صرف المدح إلى اسمي واللقب

وكتب اليه أبو إسحاق بأحسن ماقيل في مدح الألثغ

أبا الفرج استحققت نعتاً لأجله　　تسميت من بين الخلائق بيغا
بيانا منيراً كالّلجين مضمناً　　نضاراً من المعنى أُذيبا وأفرغا
فلو لامرىء القيس انتدبت مجاريا　　كبا أو لقسّ في فصاحتهِ صغى(١)
متى مايرم ذا الاسم غيرك رائم　　ليبلغ من غايات فضلك مبلغا
فإني أسميه بهِ ثم أنثني　　فأسلبهُ باء من الاسم إذ بغى
إذا أنا سلمت البلاغة طائعا　　إليك فأى الناس خالفني طغى
كفتك على رغم الحسود شهادتي　　بأن كنت منهُ ثم مني أبلغا
وما هجنت منك المحاسنَ لثغةٌ　　وليس سوى الانسان تلقاه ألثغا
أتعرفها فيما تقدم خاليا　　لعير إذا ماصاح أو جمل رغا
فيالك حرفا زدت فضلا بنقصه　　فأصبحت منهُ بالكمال مسوغا
بقيت ولا تعدم بقاءً مرفها　　وعشت ولا تعدم معاشا مرفغا

ولما نقل عز الدولة بختيار ابنتهُ المزوّجة بعدة الدولة أبي تغلب إليه بالموصل كتب عنه أبو اسحاق في معناها فصلا من كتاب استحسنهُ الناس ، وتحفظوه وأقر لهُ بالبراعة والبلاغة كل بليغ ، وهو :

قد توجه أبو النجم بدر الحرمي ، وهو الأمين على مايلحظهُ ، الوفي بما يحفظه . نحوك ياسيدى ومولاى أدام الله عزك بالوديعة ، وإنما نقلت من وطن إلى سكن . ومن مغرس إلى معرّس . ومن مأوى بر وانعطاف ، إلى مثوى كرامة وإلطاف . ومن منبت درّت لها نعماؤهُ ، إلى منشأ تجود عليها سماؤهُ . وهى

١ صغا يصغو مال

بضعة مني انفصلت إليك ، وثمرة من جنى قلبي حصلت لديك . وما بان عني من وصلت حبله بحبلك . وتخيرت لهُ بارع فضلك ، وبوأتهُ المنزل الرحب من جميل خلائقك ، وأسكنتهُ الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك . ولا ضياع على ما تضمهُ أماناتك ، ويشتمل عليهِ حفظك ورعايتك . وأرجو أن يقرن الله موردَها بالطائر السعيد ، والأَمر الرشيد . والعزّ الزائد ، والجد الصاعد . والنماء في الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف . حتى تكون عوائد البركة بأحوالها منوطة ، ومن عوادي الأيام وغيرها محوطة .

وإنما ألم أبو إسحاق في تسميته لها بالوديعة بالفصل الذي كتبهُ جعفر بن محمد بن ثوابة عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنتهِ قطر الندي ، المنقولة اليهِ وهو :

وأما الوديعة أعزك الله فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك الى يمينك . عناية بها ، وحياطة لها ، ورعاية لموالاتك فيها .

فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاهُ جدًّا واستحسنهُ وقال له : تسميتك اياها بالوديعة نصف البلاغة ، ووقع لهُ بالزيادة في اقطاعه ومشاهرته .

ولما قرئ الفصل من انشاء الصابي بحضرة أبي تغلب اعتمد في الجواب عنهُ على أبي الفرج الببغاء ، وكتب كتابا يشتمل على هذا الفصل الذي هو الجواب عن الفصل المذكور ، وهو :

وأما أبو النجم بدر الحرمي أيده الله ، المستوجب للارتضاء والاحماد الموفى بمناصحته على كل مراد ، فقد أدّى الامانة الى متحملها ، وسلم الذخيرة الى متقبلها فخلت من محل العزّ في وطنها ، وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها منتقلة من عَطن الفضل والكمال ، إلى كنف السعادة والإقبال . وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب . وفي اليسير من لوازم

فروضها وواجبات حقوقها ماصان رعايتي عن الوَصاة بها ، ونزه وفائي عن الاستزادة لها . وكيف يُوصَى الناظرُ بنوره ، أم كيف يُحَضُّ القلب على حفظ سروره . وإن سببا قرن بإحماد أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاه ـ ذكرى ، ووصل بحبل السيد العمّ ركن الدولة ـ أدام الله تأييده ـ حبلي . ومنح عز الدولة أيده الله مكنون ودّي ، واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضى الله عنهُ وأيدهم بوثيق عهدي . الى أن صرت بفضل الجماعة ، قائلا ودونها بالنية والفعل مناضلا . وبمحاسنها المجموعة الي ناطقا ، وبمالى عندها من المساهمة والمشاركة واثقا . لحقيق بالتناهي في الاعظام ، وخليق بالمبالغة فى الايجاب والاكرام . والله يعين على ماأعتقده من ذلك وأخفيه . ويوفقنى لمايوفي على المحبة والبغية فيه : بمنه وقدرته ، وحوله وقوته

هذا ما أخرج من شعر أبى الفرج الذى يتغنى به

لقد عزَّ العزاء عليّ لما تصدى لي لتقتلنى الصدود
إذا بعدَ الحبيبُ فكلُّ شيء من الدنيا ولذتها بعيد

وقوله

يا سادتى هذه نفسي تودعكم إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزع
قد كنت أطمعُ في رَوح الحياة لها فالآن إذ بنتم لم يبقَ لى طمع
لا عذب الله روحى بالبقاء فما أظننى بعدكم بالعيش أنتفع

وقوله

حصلت من الهوى بك في محلّ يساوي بين قربك والفراق
فلو واصلتُ مانقص اشتياقى كما لو بنتُ ما زاد اشتياقى

وقوله

يا مستمى بجفون سقمها سبب إلى مواصلة الأسقام في جسدى

وحق جفنيك لا استعفيت من كمدى   دهرى ولو مت من هم ومن كمد
عذرت من ظل فى حبيك يحسدنى   لأنه فيك معذور على حسدى

وقوله : يامن تشابه منه الخَلق والخُلق   فما تسافر إلا نحوه الحدق
توريدُ دمعى من خديك مختلس   وسقم جسمى من جفنيك مسترق
لم يبق لى رمق أشكو هواك به   وإنما يتشكى من به رمق

وقوله

ومهفهف لما اكتست وجناته   حللَ الملاحة طرزت بعذاره
لما انتصرت على عظيم جفائه   بالقلب كان القلب من أنصاره
كملت محاسن وجهه فكأنما اقـ   تبس الهلال النورَ من أنواره
واذا ألح القلب فى هجرانه   قال الهوى لا بد منهُ فداره

وقوله : ماضر من بعُد السرور ببعده   لو كان يجملُ فى صيانة عبده
يبدو فأطرق هيبةً ومخافةً   من أن يؤثر ناظرى فى خده
قد صرتُ أعجب أن علة طرفه   ليست تؤثر علة فى وده

وقوله

ياطيفَ من أنا عبده من أين لى   شكر يقوم ببعض ما توليه
ينأى فتدنيه الىَّ على النوى   فأراهُ كالتحقيق فى التشبيه
ما كان أحسن حالتى لو أن ما   أوتيت من كرم وعطف فيه

وقوله

علمت طيفك اسعافى فما هجعت   عيناىَ الا وطيف منك يطرقنى
فكيف أشكر من ان نمتُ واصلنى   بالطيف منهُ وان لم أغف قاطعنى

وقوله خيالك منك أعرفُ بالغرام   وأرأف بالمحب المستهام
فلو يسطيع حين حظرت نومي   علي لزار فى غير المنام

وقولــه

قد كان أحسنَ شيء بعد بعدهم … بروح مثلك ان تنأى عن الجسد
هم بالوصال أعادوها اليك فلم … ذخرتها بعدهم للصبر والجلد
وعدت بالدمع تعايلا كأنك قد … أظهرت ما ليس موجوداً لدى أحد

وقوله

يا من اذا خفتُ فيهِ العذل آمنني … جميلُ انصافهِ من عذل عذالى
ما يستحق زمانى وهو سامحنى … بمثل ودك ان اشكوهُ في حال
رآك غاية آمالى فما برحت … تسعى لياليه حتى نلت آمالي

وقولـه

أو ليس من احدى العجائب أننى … فارقتهُ فحييت بعد فراقه
يا من يحاكى البدر عند تمامه … ارحم فتى يحكيه عند محاقه

وقوله : جاورتُ بالحب قلباً لم تدر فكرى … للحبِّ مستمتعا فيهِ ولم تدع
مفرقا بين همّ غيرِ مفترق … عنهُ وبين سلوّ غير مجتمع

وهذه غرر من شعره فى الغزل والخمر

أنشدت لهُ فى رمد المحبوب ، وهو أحسن ماسمعت في معناه

بنفسيَ مايشكوهُ من راح طرفه … ونرجسهُ مما دهى حسنه وردُ
أراقت دمى ظلماً محاسنُ وجهه … فأضحى وفى عينيهِ آثارهُ تبدو
غدت عينهُ كالخدّ حتى كأنما … سقى عينهُ من ماء توريده الخدُّ
لئن أصبحت رمداءَ مقلةُ مالكى … لقد طالما استشفت بها مقلٌ رُمد

ولهُ في الفصد :

بأبى الغائب الذي لم يغب ء … نى فأشكو اليه همّ المغيب

باشرتهُ كفُّ الطبيب فلو نا ... تُ الأَماني قبلت كفَّ الطبيب
فعلت في ذراعة ظبةُ المِبْ ... ضع أفعالَ لحظهِ بالقلوب
فأسالت دماً كأنّ جفوني ... عصفرتهُ بدمعها المسكوب
طابَ جِداً فلو به سمح الدّهْ ... رلأمسى عطري وأصبح طيبي

ولهُ في غلام خرج غازيا

ياغازيا أنت الاحزانُ غازيةٌ ... الى فؤاديَ والاحشاءِ حين غزا
ان بارزتكَ كماةُ الرّوم فارمهم ... بسهم عينيك تقتلْ كل من برزا

ولهُ في وصف معصرة

ومعصرة أنختُ بها ... وقرنُ الشمس لم يغبِ
نخلت قزازَها بالرا ... ح بعض معادن الذهب
وقد ذرفت لفقد السكر ... م فيها أعينُ العنب
وجاش عباب واديها ... بمنهلِّ ومنسكب
وياقوتُ العصير بها ... يلاعبُ لؤلؤَ الحبَب
فيا عجبا لعاصرها ... وما يفنى بهِ عجبي
وكيف يعيش وهو يخو ... ض في بحرٍ من اللهب

ولهُ في الخمر والقدح

بالقفص للقصف منزلٌ كثَب ... ماللتصابي في غيره أربُ
جادت بهِ ديمة السرور وحـ ... لّ اللهوُ فيهِ وعرّس الطرب
دارت نجوم السرور في فلك ... منهُ لهُ من فتوّتي قطب
من كل جسم كأنهُ عرَض ... يكاد لطفا باللحظ ينتهب
نور وان لم يغب وهمٌ وان صـ ... ـح وماءٌ لو كان ينسكب (١)

---

١ في ط ووهم وان ضح

لا عيب فيهِ سوى اذاعته الـ سرَّ الذى فى حشاه يحتجب
كأنما صاغه النفاقُ فما يخلص صدق منهُ ولا كذب
فهو الى لون ما يجاوره على اختلاف الطباع ينتسب
اذا ادعاهُ اللجين أكذبهُ بالراح في صبغ جسمهِ الذهب
جلت عروس المدام حاليــة فيه علينا الاوتار والنخب
فالراح بدرٌ والجامُ هالتهُ والافق كفى والانجم الحبب
حالَ بهِ الماءُ عن طبيعتهِ بالمزج حتى خلناهُ يلتهب
ونحن في مجلس تدير بهِ الـ خمر علينا الاقداح لا العلب
ينسي بأوطانه الحنين إلى الـ أوطان مَن للسرور يغترب
لولا حِفاظى المشهورُ ما أمنت من بعد بغداد سَلوتى حلب

وله : ومدام كأنها في حشى الد ن صباحٌ مقارن للمساء(١)
فهى نفس لها من الطين جسمٌ لم تمتع فيه بطول البقـاء
ما توهمت قبلها أنّ فى العا لم ناراً تذكى بقرع الماء
برزت والضحى عن الليل محجو ب فلاحت كالشمس في الظلماء(٢)
وتلاهُ الفجرُ المنيرُ فعفنا هُ لأنا عن نوره فى غنــاء
ما استزدنا به ضياء على أيـــسرَ ما كان عندنا من ضياء
مازَجت جوهرَ الزّجاج فجاءت كشعاع ممازج لهواء
وتحلت من الحباب بدُرٍّ يتلاشى باللحظ والايماء
بينما تكتسى به زرد الـ بلور حتى ترفضّ مثل الهباء
فكأنا بين الكؤوس بدورٌ تتهـادى كواكبَ الجوزاء
وكأن المدير فى الحلة البيـــضاء منها فى حلة صفراء

١ فى ه لمساء ٢ هذا البيت والبيتان بعده زيادة فى ط ، ب ، ج

حبذا العيشُ حيث تسرى الأمانى بين جد الغنا وهزل الغناء
حيث سكرُ الشباب أقضى على قلبي وأمضى من نشوة الصهباء

ولهُ من أبلغ ماقيل في عتق الخمر

وعريقة الأنساب والشيم موجودة والخلقُ في العدم
قدمت فلا تعزى إلى حدث الاَّ إذا عزيت إلى الهرَم
هي آدمُ الكرم المولدَّ فى الدنيا وحوّاً الخمر فى القدم
كملت فضائلها وقصر عن أوصافها الإغراق فى الكلم
ظهرت ونورُ الشمس في فلك من قبل خلق الصبح والظلم
فانهالَّ جوهرها بمنسكب لم يعتصر بيد ولا قدم
واشتق معنى اسم السلاف لها من كونها فى سالف الأمم
فكأنها فى صفوها خلقي وكأنها فى عتقها كرمي

وله: غادنى بالصبوح قبل الصباح واجرِ فى حلبة الصبا والمراح
واغتنم زائر الغرام فقد بشـ ـرَ بالغيث من نسيم الرياح
عاطنيها كالجُلنار إذا ما كللت من حبابها بالأقاح
فى اختصاص التفاح بالطيب والـ حمرة لا في كثافة التفاح
غير نكر أن تستمد شعاعَ الـ شمس منها كواكبُ الأقداح
فهى أصلُ الأنوار لطفاً كما كا سانها عنصرُ الزُّلال القراح
خدمتها الأجسام بالطبع لما شاهدت قرْبها من الارواح
فتدارك بها حشاشة أفرا حى وحرِّك بها سكون أرتياحى
بين وردين من بنانٍ وخدٍّ وشرابين من رُضاب وراح
ونشيد مستنبط من حديث وغناء يغنى عن الاقتراح
فألذ الحياة ما خلط العا قل فيه فساده بصلاح

وله في وصف شراب في قدح أزرق فيه صور

كم منةٍ للظلام في عنقي بجمع شملٍ وضم معتنق
وكم صباح للراح أسلمني من فلق ساطع الى فلق
فعاطنيها بكراً مشعشعة كانها في صفائها خلقي
في أزرق كالهواء يخرقه اللحـ ـظ وان كان غير منخرق
كأن أجزاءه مركبة حسناً ولطفا من زرقة الحدق
مازلت منه منادما لُعَباً مذ أسكرتها السقاةُ لم تفق
تختال قبل المزاج في أزرق الـ ـفجر بعد المزاج في الشفق
تغرق في أبحر المدام فيسـ ـتنقذها شربنا من الغرَق
فلو ترى راحتي وزرقته من صبغها في معصفر شرق
خلتَ أن الهواءَ لاطفني بالشمس في قطعة من الافق

وله من قصيدة

كم للصبابة والصبا من منزل مابين كَلْوذا إلى قُطْرُبُّلِ
جادتهُ من ديم المدام سحائبٌ أغنته عن صوب الحيا المتهلل
غيثٌ اذا مالراح أومضَ برقهُ فرُعوده حثُّ الثقيل الاول(١)
لطفت مواقعُ صوْبهِ فسجالهُ تهمي على كرب النفوس فتنجلي
راضعتُ فيه الكأسَ أهيف ينثني نحوي بجيد رشا وعينيْ مغزل
فأتى وقد نقشَ الشعاعُ ثيابهُ بمزّج من نسجها ومثقّل
وكسا البنان بها خضاباً يالهُ لو أنهُ من وقتهِ لم ينصل(٢)
قدح البزال زنادَها من دونها فتهافتت مثلَ الشراب المرسل
وطغت لعجز المـاء عن إطفائها حتى ظننتُ الكأس جذوةَ مصطلي

---

١ في ب و ج بالراح ٢ نصل لونه حال وتغير

فورَدتُ أروى موردٍ وشربت أحـ لى مشرَبٍ ونهلت أعذبَ منهلِ
ونزعت لا في السكر خنتُ تصونى بخَناً ولا فى الصحو ِشنت تجملى

وقال في الورد

زمنُ الورد أظرفُ الأزمان وأوانُ الربيع خيرُ أوان
أدركَ النرجسُ الجنىُّ وفزنا منهما بالخدود والأجفان
اشرفُ الزهر زارفي أشرف الدهـ ر فصِل فيه أشرفَ الإخوان
واجلُ شمسَ العقار فى يدِ بدرِ الـ حسن يخدُمكَ منهما النَّيِّران
وأدرْها عذراءَ وانتهزِ الـ إمكان من قبل عائق الامكان
في كؤوس كأنها زهر الـ خشخاش ضمّت شقائقَ النعمان
واختدعها عند البزال بألفا ظ المثانى ومطربات الاغانى
فهى أولى من العرائس إن زفَّـ ت بعزف النايات والعيدان

وقال فى النرجس

ونرجس لم يعدُ مبيضه الكا سَ ولا أصفرُه الرَّاحا
تخال أقحافَ لجين حوت من أصفر العسجد أقداحا
كأنما تهدى التحايا بـهِ لطفاً إلي الارواح أرواحا
يلهى عن الورد إذا ما رنا ويخلف المسك إذا فاحا
أحبب بهِ من زائر راحل عوّض بالأحزان أفراحا
فانتهز الفرصة فى قربهِ وكن إلى اللذات مرتاحا
وهاتها عذراءَ لم تفترع فى الليل إلاَّ عاد إصباحا
كأنما كلُّ بنان حوَت كاساتها تحمل مصباحا
واجن بألحاظك من وجنتىْ مديرها ورداً وتفاحا

غرر شعره فى سائر الفنون

ولهُ من قصيدة

صحبتُ الدهرَ في سهلٍ وحَزن وجرّبتُ الأمور وجرّبتني
فلم أرَ مذ عرفتُ محلَّ نفسي بلوغ غنى يساوى حملَ منّ
ولم تتضمن الدنيا لحظّي منالَ مسرة إلاّ بحزن
حملتُ على السوابق ثقلَ همي وشاهدت العواقب صفو ذهني
وشِمتُ بوارقَ الآمال دهراً فلم أظفر على ظمأ بمزن
ولم أرَ كالجياد أصح ودّا إذا عدل الودود إلى التضني
نكافهـا عزائمنـا فتكفي ونستدني الخطوط بها فتدني
وهبتُ لمثل قطع الليل منها أغرَّ كمثل ضوء الصبح مني
وكنتُ بحيث ظنَّ من اعتزام وكان من المضاء بحيث ظني
وثالثنا ابن جدّ لايرى أن يصاحب فى تصرّفه ابن وهن
حجبت لجفنه الابصار عنهُ ومن لى أن يكون الجفن جفني
سقيت نداىَ ما أسنى محلى وأرفع همّتي وأعز ركني
رسا في تربة العلياء أصلي وأينع فى بروج العز غصني
وليس علىّ غير الجد فيما سعيت لهُ لأستغنى وأغنى
فان أحرم فلم أحرم لعجز وان أبلغ فنفسي بلغتني

ولهُ من أخرى

ما الذلُّ إلاّ تحملُ المنن فكن عزيزاً إن شئتَ أوفهن
إذا اقتصرنا على اليسير فما العلة فى عَتبنا على الزمن

ولهُ من أخرى

جزيت أفضلَ مايجزاهُ ذو كرم ‏ ‏ أخلاقه في دياجى دهره شعَل
حماهُ وهو غلام غير مكتهل ‏ ‏ عن المطامع فضلٌ فيهِ مكتهل

ولهُ من أخرى

أكلٌ وميض بارقه كذوبُ ‏ ‏ أما فى الدهر شىءٌ لايريب ؟
أنى لى أن أقولَ الهجر قدرٌ ‏ ‏ بعيد أن تجاوره العيوب

ولهُ من أخرى فى سعد الدولة بن سيف الدولة

لاغيث نعماه في الورى خلب الـ ‏ ‏ ـبرق ولا ورد جوده وشل (١)
جاد إلى أن لم يُبق نائلهُ ‏ ‏ مالاً ولم يَبق للورى أمل

ولهُ : واليوم من غسق العجاجة ليلة ‏ ‏ والكرُّ يخرق سجفها الممدودا
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه ‏ ‏ روع أحال بياضها توريدا
والطعن يغتصب الجياد شياتها ‏ ‏ والضرب يقدح في التريك وقودا (٢)
وعلى النفوس من الحمام طلائعٌ ‏ ‏ والخوف ينشد صبرها المفقودا
وقد استحال البرُّ بحراً والضحى ‏ ‏ ليلا ومنخرق الفضاء حديدا
وأجلُّ ماعند الفوارس حشها ‏ ‏ فى طاعة الهرب الجياد القودا
حتى إذا ما فارق الرأىُ الهوى ‏ ‏ وغدا اليقينُ على الظنون شهيدا
لم يغن غير أبى شجاع والعلا ‏ ‏ عنه تناجي النصر والتأييدا

ولهُ من أخرى

من كل متسع الأخلاق مبتسم ‏ ‏ للخطب ان ضاقت الأخلاق والحيل
يسعى به البرق الاّ أنهُ فرس ‏ ‏ فى صورة الموت الا أنه رجل
يلقى الرماح بصدر منهُ ليس لهُ ‏ ‏ ظهر وهادى جواد مالهُ كفل

---

١ الوشل الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ‏ ‏ ٢ التريك المتروك

وله من أخرى

في سالب للشمس ثوب ضيائها　　بعجاجة ملء الفضاء لُهام
كالليل إلا أن ثوب ظلامه　　من عِثير ونجومهُ من لأم [1]
يلقى الدجى من بيضه بضحى كما　　يلقى الضحى من نقعه بظلام

وله من أخرى

قاد الجياد إلى الجياد عوابسا　　شعثا ولولا بأسه لم تنقد
في جحفل كالسيل أو كالليل أو　　كالقطر صافح موج بحر مزبد
متوقد الجنبات يعتنق القنا　　فيه اعتناقَ تواصل وتودُّد
مثعنجر بظبا الصوارم مبرق　　تحت الغبار وبالصواهل مرعد [2]
ردّ الظلام على الضحى فاسترجع الا　　ظلام من ليل العجاج الأربد
وكأنما نقشت حوافر خيلهِ　　للناظرين أهلة في الجلمد
وكأن طرف الشمس مطروف وقد　　جعل الغبار له مكان الإثمد

ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه وكل هذه الأوصاف مالا مزيد عليه حسنا وبراعة

وله من أخري

من كل مختالة تنقّب با　　لعثير وجه الضحى من الخجل
تضم أحشاءها على أسد　　تزأر في غابة من الاسل

وله من أخرى

في خميس كأنما السمر والاب　　طال فيه خيلٌ حمته أسود
سلب الشمس ضوءها بشموس　　طالعات أفلاكهنّ حديد
عارض كلما جلته بروق ال　　بيض حثته بالصهيل الرعود

---

١ اللأم جمع لأمه وهى الدرع　٢ المثعنجر السائل

ولهُ من أخرى

وموشية بالبيض والزّغف والقنا محبرة الاعطاف بالضمّر القبّ(١)
بعيدةُ ما بين الجناحين في السُّرى قريبة ما بين الكميّن بالضرب
من السالبات الشمس ثوب ضيائها بثوب تولىّ نسجهُ عثيرُ الترب
يعاتب نشوان القنا صادح الظبا اذا التقيا فيها على قلة الشرب
اعادت علينا الليل بالنقع في الضحى وردّت الينا الصبح في الليل بالشهب
تبلّجُ عن شمسيْ نزار ويعرب وتفترّ عن طودى علا تغلب الغلب
موقرة يقتاد ثني زمامها بصير بادواء الكريهة والحرب
اصح اعتزاما من خؤون على قلاً وانفذ حكما من غرام على صبّ

ولهُ من أخرى

ويوم أغص اتساع الفضا ء جيش لمن امّه مهول
يخيل ان مالهُ آخرٌ اذا ما ترءاى لهُ اوّل
ويغصب شمس الضحى نورها من الخيل ماتبعث الارجل
دجى أنت بدر بهِ والنجو م زرقك والظلمة القسطل(٢)

ولهُ من أخرى

في عارض ضاقت الارض الفسيحة عن سراهُ إذ سال فيها سيله العرم
كأنه الليل لا قرب ولا بعد يخفي عليهِ ولا فج ولا علم
يهدى الغبارُ اليهِ الشمسَ كاسفة كأنها فيهِ سر ليس ينكتم
شق الغضنفر آجام الرماح بهِ والموت يسفر احيانا ويلتثم
فراسل الدهر في الاعداءِ عزمتهُ وكاتب النصر عنهُ السيف لا القلم
وما سمعنا بليث قبل رؤيته اذا سرى صاحبتهُ في السرى الأجم

---

١ الزغف الدروع والضمر جمع ضامر وهى الخيل ٢ الزرق الرماح

الباذل العرف والانواء باخلة   والمانع الجار والاعمار تخترم
حيث الدجى النقع والفجر الصوارم وا ل   أسد الفوارس والخطيّة الأجم

ولهُ من أخرى

وكل بعيد قرّب الحين نحوه   سلاهبك الجرد الخفاف قريب[1]
تباشر أقطار البلاد كأنها   رياح لها في الخافقين هبوب
تماشي بفتيان كأن جسومهم   لخفتها فوق السروج قلوب

ولهُ من أخرى

أتاهم بألحاظ الجياد ولم يكن   لينأى عليها المنزل المتباعد
من اللاء يهجرن المياه لدى السرى   ويعتضن شمّ الجوّ والجو راكد
مرنّ على لدع القنا فكأنما   عليهن من صبغ الدماء مجاسد
نسجن ملاء النقع ثم حرقنهُ   بكرٍّ لها منهُ إلى النصر قائد
عليهن من نسج الغبار غلائل   رقاق ومن نضح الدماء قلائد

ولهُ من قصيدة في وصف فرس

ان لاح قلت أدُمية أم هيكل   أو عنّ قلت أسابح أم أجدل
تتخاذل الألحاظ في إدراكهِ   ويحار فيهِ الناظر المتأمل
فكأنهُ في اللطف فهم ثاقب   وكأنهُ في الحسن حظ مقبل

ولهُ من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليهِ بغلة

قد جاءت البغلة السفواء يجنب منـ   ـها البرقُ غيثَ ندى ينهل ماطره
عريقة ناسبت أحوالها فلها   بالعتق من كرم الجنسين فاخره
ملء الحزام وملء اللبد مجفرة   يريك غائبها في الحسن حاضره
أهدى لها الروض من أوصافه شية   خضراء ناضرةً اذ حال ناضره

---

١ السلهب الطويل

ليست بأول حملان شريت به　　حمدى ولا هى ياذا المجد آخره
كم قد تقدمها من سابح بيدي　　عنانهُ وعلى الجوازءِ حافرهُ

وله في وصف بركة

وقوراءَ كالفلك المستدير　　تروق العيون بلألائها
حبتها البحار بأمواجها　　وسحب السماء بأنوائهـا
كأن تدفُّق تيارها　　يداك تفيض بنعمـائها
وجودُك أغزر من جريها　　وخلقك أعذب من مائها

الباب الثامن

فى ذكر الخليع الشامي والوأواء الدمشقي وأبى طالب الرقّى

أما الخليع فكنيته أبو عبد الله وقد ذهب عنى اسمه ، وكان شاعراً مفلقاً قد أدرك زمان البحترى وبقي إلى أيام سيف الدولة فانخرط فيسلك شعرائهِ . فحدثنى أبو بكرالخوارزمي قال رأيت الخليع بحلب شيخا قدأخذت منهُ السن العاليةوثقلت عليهِ الحركة ، فما أنشدنيه لنفسهِ قولهُ .

جيراننا جار الزمان عليهمُ　　اذ جار حكمهم على الجيران
ماالشأن ويحك فى فراق فريقهم　　الشأْن ويحك فى جنون جنانى
خذيا غلام عنان طرفك فاثنه　　عنى فقد ملك الشمول عنانى
سكران سكر هوى وسكر مدامة　　أنى يفيق فتى بهِ سُكران!

وقولهُ وهو مما يتغنى بهِ

بأيّ المدامين لم أسكر　　بكأسك أم طرفك الأحور
سقيت من الشمس مشمولة　　عـلى غرة القمر الأزهر

اذا الماء خالطها جنحت أكاليل در على جوهر
كأن على الشرب من لونها ثيابا من الذهب الاحمر

وقوله لسيف الدولة

أنا شاعر أنا شاكر أنا ناشر أنا راجل أنا جائع أنا عارى
هي ستة فكن الضمين لنصفها أكن الضمين لنصفها بعيار
والنار عندى كالسؤال فهل ترى أن لا تكلفنى دخول النار

وأنشدنى غيره للخليع وأنا أشك فيه

لو لم تحل ما سميت حالا وكل ماحال فقد زالا
انظر إلى الظل إذا ما انتهى يأخذ فى النقص اذا طالا

أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانى الدمشقى الملقب بالوأواء

من حسنات الشام ، وصاغة الكلام . ومن عجيب شأنه ما أخبرنى به أبو بكر الخوارزمي قال كان الوأواء مناديا فى دار البطيخ بدمشق ينادى على الفواكه، ومازال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ، ووقع فيه مايروق ويشوق ويفوق ، حتى يعلو العيوق[1] . ثم أخبرنى أبو الحسن المصيصى بما يصدقه وأنشدنى لمعا يسيرة من شعره وذكر أنه سمعها من انشاده وأول من حمل ديوانه إلى نيسابور أبو نصر سهل بن المرزبان فانه استصحبه من بغداد في جملة ماحصله من اللطائف والبدائع التى عني بها وأنفق الرغائب عليها ، وأتحفنى بذلك فى دفتر صغير الجرم خفيف الحجم ثم ألحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان وهو غير ثقة في الرواية والحكاية ، وكنت تأنقت في اخراج ما يفتقر الاديب إلى فقره ، ولا يستغنى الشاعر عن غرره . من شعر الوأواء في النسخة الاولى من هذا الكتاب ، ولم

١ العيوق نجم احمر مضيء فى طرف المجرة الايمن يتلو الثريا لايتقدمها

أزد في هذه المقربة كثير زيادة .

وقرأت فى بعض الكتب عن ابن حمدون قال كان الفتح بن خاقان يأنس بى ويطلعنى على الخاص من سره فقال لى مرة أشعرت ياأبا عبدالله أنى انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلى استقبلتنى فلانة (يعنى جارية له) فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفتيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا فكان هذا مما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح ، وكأن الوأواء قد سمع ذلك فألم به ونظمه في قوله

سقى الله ليلا طاب اذ زار طيفه فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرا ولو رقد المخمور فيه أفاقا
تملكنى لما تملكت مهجتى وفارقنى لما امنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمى والمصيصى له ، ووجدته فى ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية فى الملاحة

اتانى زائرا من كان يبدي لي الهجرَ الطويلَ ولا يزورُ
فقال الناس لما أبصروه ليهنك زارك البدر المنير
فقلت لهم ودمع العين يجرى على خدى له درّ نثير
متى أرعى بروض الحسن منه وعينى قد تضمنها غدير
ولو نصبت رحى بازاء دمعي لكانت من تحدّره تدور

وأقدر أنه ألمّ في البيت الرابع بقول ابن المعتز

وإن تك في خدّيك للحسن روضة فإن على خدي غديراً من الدمع

ومن ملح قوله في وصف الدمع

كل دمع فبالتكلف يجرى غير دمع المحب والمهجور
وردّ البين دمعَ عينى فأضحى كعقيق أذيب فى بلور

ومن ملحه فى الخمر

عذّبتها بالمزاج فابتسمت عن بَرَدٍ نابتٍ على لهب
كأن أيدى المزاج قد سكبت فى كأسها فضة على ذهب

وقوله

فامزج بمائك نار كأسك واسقنى فلقد مزجت مدامعى بدماء
واشرب على زهر الرياض مدامة تنفى الهموم بعاجل السراء
لطفت فصارت من لطيف محلها تجرى كمجرى الروح فى الأعضاء
وكأن مخنقة عليها جوهر ما بين نار أذكيت وهواء
وكأنها وكأن حامل كأسها إذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وقوله

يطوف براح ريحها ومذاقها نسيم الصبا والعيش فى زمن الصبا

ومن ملحه فى الخط

وشمس بأعلاه وليلين أسبلا بخديه إلا أنها ليس تغرب
ولما حوى نصفُ الدجى نصفَ خده تحير حتى ما درى أين يذهب

وقوله

زارَ بليل على صباح على قضيب على كثيب
حتى أتت ألسن الليالى معتذرات من الذنوب
فيا لها زورة أخذنا بها أماناً من الخطوب

وقوله

بدرٌ تقنع بالظلا م على قضيب فى كثيب
تدعو محاسنهُ القلو ب إلى مشافهة الذنوب
فعلت به ريح الصبا ما ليس تفعل بالقضيب
عقلت ركائبَ حسنه بعقولنا عند المغيب

وتلطمت وجناتنا بيد الدموع من النحيب
وكأنما تشويشنا تشويش ألفاظ المريب
يا بدرُ بالبدرِ الذى أطلعت من فلك الجيوب
وبعقرب الصدغ الذى زَرْفَنْتَ من حسن وطيب (١)
ترعى وما استرعيتها ثمر القلوب ملاذ بيب (٢)
هب لى مزارك فى الكرا كيما اراك بلا رقيب

ومن بدائع تشبيهاته

قالت وقد فتكت فينا لواحظها كم ذا أما لقتيل الحبِّ من قَوَد
واسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

هذا البيت مما حسن فيه وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه

انسانة لو بدت للشمس ماطلعت من بعد رؤيتها يوما على أحد
كأنما بين غابات الجفون لها اسد الحمام على طرق الهوى رصدى

وقوله: قد سترت وجهها عن النظر بساعد حل عقد مصطبرى
كأنه والعيون ترمقهُ عمود نور في دارة القمر

وقوله

جعلت تشتكى الفراق وفي أجفانها عقد اؤلؤ منثور
فكأنَّ الكحلَ السحيق مع الدمـ ع على خدِّها بقايا سطور

وقوله فى قوس قزح مع البرق والشمس

سَقياً ليوم ترى قوس السماء به والشمس مسفرة والبرق خلاَّس
كأنها قوس رام والبروق لهُ رشق السهام وعين الشمس بُرجاس (٣)

---

١ زرفن صدغيه ادارهما وجعلهما كالحلقة ٢ البيب كوة الحوض
٣ البرجاس غرض ينصب في الهواء على رأس رمح أو نحوه

وقوله وهو مما يتغنى به

لا تنكرى ما بى فليس بمنكر عند التفرّق دهشة المتحير
يا هذه روحى اليك هدية فتجملى فى أخذها لى واعذرى
وتأملى غيرَ الزمان فانها تحكى تغير عهدك المتغير
ولرب ليل ضل عنه صباحه وكأنهُ بك خطرة المتذكر
والبدر أول ما بدا متلثما يبدى الضياء لنا بخد مسفر
فكأنما هو خوذة من فضة قد ركبت في هامة من عنبر

وقوله في غلام عليل

ابيضّ واصفرّ لاعتلال فصار كالنرجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه بشعر أصداغه مغلف
يرشح منهُ الجبين ماء كانهُ لؤلؤ منصف

وقوله : ليت ليلى أمد من نفس الـ عاشق طولا إذ زار فيه الخليلُ
مااعتنقنا حتى افترقنا وخفا نُ الدجى عن قميصه محلول (١)
وكأن الهلال تحت الثريا ملك فوق رأسه إكليل

وقوله :

وغُداف الظلام فى شرك الـ فجر شريكي فى قبضة الارتهان (٢)
وكأن النجوم أحداق روم ركبت في محاجر السودان

وقوله من أبيات

كم حث شربى بكأسه قمر بقد غصن وخصر زنبور

وقوله من قصيدة

يقمن لنا بَرْقَ الثغور أدلةً إذا ما ضللنا فى ظلام الذوائب

---

١ الخفان الجوانب ٢ الغداف مجيء الليل

ومما يتغنى به من شعره

يا من سقام جفونهِ لسقام عاشقهِ طبيب
حزت المودة فاستوى عندي حضورك والمغيب
كن كيف شئت من البعا د فأنت من قلبي قريب

وقوله: أستودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مَطلعه
ودّعته وبودّي أن تودعني روح الحياة وأني لا أودعهُ
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعهُ
وكم تشفّع في أن لاَّ أفارقهُ وللضرورة حال لا تشفعهُ

وقوله: بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباهُ لعل العتب يعطفهُ
وعرّضا بي وقولا في كلامكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فإن تبسم قولا عن ملاطفة ماضرّ لو بوصال منك تسعفهْ
وان بدا لكما من سيدي غضب فغالطاهُ وقولا ليس نعرفهُ

وقوله: زمان الرياض زمان أنيق وعيش الخلاعة عيش رقيق
وقد جمع الوقت حاليهما فمن ذا يفيق ومن يستفيق
فيا من هو الفوز لي والمنى ومن هو بالود مني حقيق
أدر لحظ عينيك وامرجه في مروج الرياض تجدها تشوق
ترى مزوَج الحسن في مفرد جليل المحاسن فيه دقيق
إذا ضاحك الزهر زهر الوجو ه فكيف الخلاص وأين الطريق
بهار بهير به غيرة على نرجس وشقيق شقيق
فذا عاشق وجلٌ خائف وذا خجل وكذاك العشيق
مداهنُ يحملن طل الندى فهاتيك تبر وهذى عقيق
تنظم أوراقها درها وتنثر منها التى لا تطيق

يميل النسيم بأغصانها ... فبعضٌ نشاوَى وبعضٌ مفيق
ويوم ستارتهُ غيمه ... وقد طرزت رفرفيها البروق
جعلنا البخور دخاناً لهُ ... ومن شرر الراح فيه حريق
تظل به الشمس محجوبةً ... كأن اصطباحك فيه غَبوق
على شجرات رافعات الذيو ... ل لماء الجداول منها شهيق
سجدنا لصلبان منثورها ... وقد نصرتنا عليها الرحيق
وقلنا بهـا ولضوء الصبا ... ح على عنبر الفجر منها خلوق
أدِر يا غلام كؤوسَ المدام ... والاَّ فيكفيك لحظٌ وريق
أيا من هو الفوز لى بالمنى ... ومن هو بالود منى حقيق
تغنم بنا غفلةَ الحادثا ... ت فوجهُ الحوادث وجهٌ مفيق
وحثَّ الصبوح لضوء الصبا ... ح فمتسع الهمِّ فيهِ يضيق

وقوله

وزائر راع قلبَ الناس منظرُه ... أحلى من الأمن عند الخائف الوجل
ألقى على الليل ليلا من ذوائبهِ ... فهابه الصبح أن يبدو من الخجل
أراد بالهجر قتلى فاستجرت به ... فاستلّ بالوصل روحى من يدي أجلى
وصرت فيه أميرَ العاشقين فقد ... صارت إمارةُ أهل العشق من قبلى

وقوله: وما أبقى الهوى والشوق منى ... سوى روح تردَّد فى خيال
خفيت عن النوائب أن ترانى ... كأن الروح منى فى محال

وقوله: ماحكّمَ البينُ إلا جار محتكما ... ولا انتضى سيفه إلاَّ أراق دما
يادارهم خبرينا ماالذى فعلوا ... فربما جهل المشتاق ماعُلما
اللهُ يعلم أنى يومَ بينهم ... ندمت إذ لم أمت في أثرهم ندَما
قد سرنى أنهم قد سرهم سقمى ... فازددت كيما يسرّوا بالضنا سقما

وقوله : رماه ريمٌ فأصا ب القلبَ منه إذ رمى (١)
واحتجَّ في قِتلته بأنه ما علما
يا معشر الناس أما ينصفني من ظلما ؟
علّم سقمٌ طرفه جسمى منه سقما
فسقم جسمى في الهوى من طرفه تعلما
لو قيل لى ماتشتهى مخيراً محكما
لقلت أن ألثمهُ نحراً ووجها وفما

وقوله : لهُ مضحك برقه خاطف عقولَ الرجال إذا ماابتسم
أقول له اذ بدا درّهُ شهدنا لصانعه بالحكم
أرى الدرَّ يثقبه الناظمو نَ وماثقبوا ذا فكيف انتظم ؟ !

وقوله . تملكت يا مهجتى مهجتى وأسهرتَ يا ناظرى ناظرى
وفيك تعلمتُ نظمَ الكلام فلقبنى الناس بالشاعر
وما كان ذا أملى ياظلو مُ ولاخطرَ الهجرُ في خاطرى

وقوله : وحديث كأنه أوْبةٌ من مسافر
كان أحلى من الرقا د لدى طرف ساهر
بتُّ ألهو بطيبه فى رياض زواهر
بين ساق وسامر ومغنٍّ وزامر

حدثنى أبو بكر الخوارزمى قال حضرت مع الشيخ أبي الحسن النمرى دعوة القاضى أبى بكر الحميرى فغنى بعض القوالين بهذه الابيات

قم ياغلام إلى المدام قم داوِنى منها بجام
قم فاسقنى برقَ الثغو ر فقد مضى برقُ الغمام

---

١ الريم الظبي الخالص البياض

بادرْ إلى صرف الحميـــا سابقاً صَرف الحمام
وتغنم الغفلات من دهر يجور على الكرام

فاستملحها ابو الحسن وسألنى عن قائلها فأخبرته أنها لأبى الفرج الوأواء ، فاقترح على معارضتها . فارتجلت أبياتا ثم أتممتها قصيدة منها :

لما بدت روحُ الضيا ءتدبُّ في جسم الظلام
وغدت نجومُ الليل وهـــى تفرُّ من حدق الأنام
والديك يتلو دائما هجوَ النيام على القيام
ناقضت ما قال المؤذِّ ن بالفعال وبالكلام
هو قال حيَّ على الصلا ة وقلتُ حي على المدام

ومنها : لما رأيت الهمَّ يطـــرق من أتاه بلا سلام
ضيفٌ يزور فليس يأ كلُ غيرَ لحمى أو عظامى
والدهر قد حمل السلا حَ على الكرام عن اللئام
داويته بالراح إن الراح ترياق الكرام

ومن ملح الوأواء وطرفه قوله في جرَب معشوقه

ياصروف الدهر حسبي أى ذنب كان ذنبي
طرقتنى نائباتُ الـ ـدهر في إعلال حبي
علة عمت وخصت في حبيب ومحب
دب فى كفيه ما من حبه دب بقلبى
فهو يشكو حرَّ حب وشتكائى حرُّ حُب

وقوله فى زرقة عين محبوبه

يامن هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في أفعال مقلته

ومن بزرقة سيف اللحظ طلَّ دمى   والسيف ما فخره إلا بزرقته[1]
علمتَ إنسانَ عينى أن يعوم فقد   جادت سباحته فى بحر دمعته

وللسرى الموصلي في مثله

وقالوا بمقلته زرقة   تشين فظلَّ لها مطرقا
وهل يقطعُ السيفُ يومَ الوغى   إذا لم يكن متنهُ أزرقا

ومن ملح الوأواء

باذا الذى وردُ خديه إذا أخذت   منه اللواحظُ شيئاً ردَّه الخجل
ما ذا يضرك أن تجنى وقد ضمنت   أضعافَ ما تجتنى من لحظها المقل
هذا لعمرك ماعون بخلت به   على العيون وبئس الخلة البخل

وله

رثى له مما به نابه   صبٌّ غدا صباً بأوصابه
ميتٌ يرى حياً ولكنه   تربته ما بين أثوابه
أيُّ حياة لامرىءٍ قد بلى   بالقرب من فرقة أحبابه

وقوله من قصيدة

قد أطلتُ الصلاةَ في قبلة الكا   س بتسبيح ألسن العيدان
كم صلاة على فتى مات سكراً   قد أقيمت فينا بغير أذان

أبو طالب الرقى

لم أجد ذكره إلا عند أبى بكر الخوارزمى ، وسمعته يقول إنه أحد المقلين المحسنين الذين يطبقون المفصل فى أغراضهم ، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم ، ثم أنشدنى له قوله .

ولقد ذكرتك في الظلام كأنه   يومُ النوى وفؤادُ من لم يعشق

١ الزرقة النصال هى بالزاى فيها وفى ط بذرقة سيف اللحظ

وكأن أجرامَ النجوم لوامعاً ... درر نثرن على زجاج أزرق
والفجر فيه كأنه قطرُ الندى ... ينهلّ من سح الغمام المغدق

وقوله : ومعير وجهَ البدر مافى وجهه ... والغصنَ مافى قده المتأوّد (١)
رمدت جفونى من تورد خدّه ... فكحلتها من عارضيه بإثمد

وقوله ديباج خدّك بالعذار مطرز ... وشبيه وجهك في البرايامعوَز
وكأنماإنسانُ عينك شاهر ... سيفَ اللحاظ يصيح من ذا يبرز ؟
يامن أعزَّ بذلتي فى حبه ... مثلى رأيت بذلة يتعزز

وقولـه :

ومشتمل ثوبَيْ عفافٍ وفتنةٍ ... يرى قتل من يهوى إلى النسك مسلكا
إذا طاف بالأركان طافَ به الورى ... فيقضى ولا يقضون للحج منسكا
جني اللحظ من خديه ورداً مورّداً ... ومن عارضيه ياسمينا ممسكا
فيا رائحاً منهُ بأوفر فتنة ... تجهزْ لعام بعد هذا لعلكا

وقولـه:

مصفرّةُ الظاهر بيضاءُ الحشا ... أبدعَ فى صنعتها ربُّ السما
كأنها كفّ محبّ دنف ... مبعد يحسب أيام الجفا

وقولـه:

ووردة في بنان معطار ... جئت بها في لطيف أسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد ... نقطها عاشق بدينار

---

١ المتاود المعوج

الباب التاسع

فى ملح أهل الشام ومصر والمغرب وطرف أشعارهم ونوادرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة، وتطرفتها من أثناء التعليقات ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة يتفسح فى طريق الاختيار منها ، وإنما هي تفاريق تلتقى أطرافها وتجتمع حواشيها ولن تعدم القلائد فيها بحمد الله ومشيئته

انشدنى أبو بكر الخوارزمي للتلعفرى ولم يسمه ولم يكنه

ماأصعب العيش على بائس معاشهُ فى حلبَ النحوُ
ليس له في بردها جبـة ولا قميص لا ولا فرو

ثم أنشدنى لهُ مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما .

يا راكب العيس قف وعرِّج واقرأ سلامى على بنىّ على
وقل لهم ظبيـكم جفانى لما رآنى وما معي شى

ووجدت للسرىّ والسلامي هجاء فى التلعفري يدلّ على أنه من مذكوري الشعراء بتلك البلاد ، ثم أنشدنى محمد بن عمر الزاهد قال أنشدنى أبو الحسن على بن أحمد التلعفرى بنصيبين لنفسه من قصيدة أولها

من ذايدلُّ على الرقاد جفونى قد ضاع بين صبابتى وشجونى
أما النجوم فقد ألفنَ رعايتى والعائدات فقد مللن أنينى

قال وأنشدنى أيضاً على بن محمد الشاشى بميا فارقين قال أنشدنى لنفسه فى غلام نصرانى

غريبَ الحسن من سمّاك بدرا وبدرُ التمّ في خديك خال
كتمت هواك إذ قلبي سليم فذاب القلب وانحلّ العقال

وكنت كودع الحلفاء ناراً　　وكتمُ النار في قصب محال

وأنشدنى أيضا

رُبَّ ليل سهرت حتى تجلى　　مغرماً فى ظلامهِ أتقلى

والثريا كأنها رأس طِرف　　أدهم زِينَ باللجام المحلى

وقوله : ومتيم أبدى إليّ غرامهُ　　فعذلتهُ والعذل فعلُ الجاهل

حتى إذا أبصرت ما لك رقه　　كادت لواحظهُ تصيب مقاتلى

إن عدت أعذل عاشقاً من بعده　　فأصابنى ربى بحتف عاجل

وأنشدنى أيضاً قال انشدنى أبو نصر بن أبي الفتح بن كشاجم بصيداء الشام لنفسهِ في وصف الكتاب من أبيات

وصاحب مؤنس إذا حضرا　　جالسنى بالملوك والكبرا

جسم موات تحيا النفوس بهِ　　يجلُّ معنى وإن دنا خطرا

ملكتُ منهُ كنزاً غنيت بهِ　　فما أبالى ماقلَّ أو كثرا

أظل منهُ فى مجلس حفل　　بالناس طرًّا ولا أرى بشرا

وان أطفل بهِ فيالك　　مستحسن منظراً ومختبرا

أعجب به جامعاً ولو جُعلت　　عليه كفُّ الجليس لاستترا

وله فى شمعة

بركة صُفْر عمودها شمع　　تفيض ناراً من موضع الماء

تبكى اذا المقص خمشها　　فرط حياء من الاخلاَّء

كأنها عاشق مخايلهُ　　فيه بوادٍ لمقلة الرائى

صفرة لون وذوب معتبة　　ودمع حزن ونار أحشاء

قلت شبه أربعة بأربعة بغير حرف تشبيه وقال فى بخيل

صديق لنا من أبرع الناس في البخل　　وأفضلهم فيه وليس بذي فضل

دعانى كما يدعو الصديقُ صديقهُ ... فجئت كما يأتى إلى مثله مثلى
فلما جلسنا للطعام رأيتهُ ... يرى أنهُ من بعض أعضائه أكلى
ويغتاظ أحيانا ويشتم عبدَه ... وأعلم أنَّ الغيظَ والشتمَ من أجلى
فأقبلت أستلُّ الغذاء مخافة ... وألحاظ عينيه رقيب على فعلى
أمدُّ يدى سرًّا لأسرقَ لقمةً ... فيلحظني شزرا فأعبث بالبقل
إلى أن جنت كفي لحتفي جنايةً ... وذلك أن الجوع أعدمنى عقلى
فجرَّت يدى للحين رِجلَ دجاجة ... (فجُرّت كما جرَّت يدى رجلها رجلى)
وقدّم من بعد الطعام حلاوةً ... فلم أستطع فيها أُمرُّ ولا أحلى
وقمت لو انى كنتُ بيَّتُّ نيةً ... ربحت ثوابَ الصوم مع عدم الاكل

وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات وأنفذها اليه وقد خرج إلى متنزهه بالمقس

إذا الوزير تجلى ... للنيل في الأوقات
فقد أتاهُ سميا ... ه جعفر بن الفرات

وله في طبيب

عيسى الطبيبَ ترفق ... فأنت طوفان نوح
يأبى علاجك إلاّ ... فراق جسم لروح
شتان ما بين عيسى ... وبين عيسى المسيح
فذاك محيي موات ... وذا مميت صحيح

وقال في فصد اسحاق بن كيغلغ

يافاصدا شق عرق اسحاقْ ... أى دم لو علمت مهراقْ
سفكته من يد معوّدة ... لنيل مال وضرب أعناق
لو يوم حرب أصبت من دمه ... إذاً أقام الدنيا على ساق

وأنشدني لهُ يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة

وجونة موصوفة من الجُوَن — قد جمع الطباخُ فيها كلّ فن
من كل سخن منضج وبارد — ما بين ألوان إلى بوارد
فمن رقاق ناعم رِقاق — يحمد في المنظر والمذاق
وأرْغف تشفُّ للصفاءِ — كما تشفُّ أوجه المرائى
ومن مصوص من مخاليف الحجل — كأنما كانت ترفُّ في الجبل
ومن فراريج بماء الحصرم — تصلح للخمور او للمحتمى
قد شوّشت أكبادها ببيض — فهي كمثل نرجس فى روض
وجاءَنا فيها ببيض أحمر — كأنهُ العقيق ما لم يقشر
حتى إذا قدّمه مقشرا — أبرز من تحت عقيق دررا
حتى اذا ماقطع البيض فلق — رأيت منه ذهباً تحت ورق
يخال أن الشطر منهُ من ملح — أعارهُ تلوينه قوسَ قزح
مابين أوساط لطاف القدّ — مقدودة كمثل قدّ الندّ
من صدر دُرّاج وصدر حجله — بملحها وبقلها متبله
فيها جُبن صادق الحرافه — مقطع باللطف والنظافه
قد ألبست قضبانَ طلع غضه — كأنها سلاسلٌ من فضه
وجاءنا فيها بياذنجان — مثل قدود أكر الميدان
قد قارن الهليون بالممازجة — تقارن الكرات بالصوالجه
ثم أتت سكارج الكوامخ — كمثل أنوار من اللخالخ
مابين طرخون وبين صعتر — وفيجن غض وبين كزبر[1]
وبين بن عدة المشطور — كأنهُ تعلية النحور[2]

١ الطرخون نبات أصل عروقه العاقر قرحا والفيجن السذاب ٢ المشطور الخبز المطلى بالكامخ

ثم أتى براضع لم يعتلف　　كأن فى جنبيه قطنا قدندف
وحمل مبزّر مشبر　　كأنه مضمخ بعنبر[1]
يتلوه جدى قارس بخل　　كأنه بالزعفران مطلى
تخاله في خله المزعفر　　مركباً تحت عقيق أحمر
قد عُملت أطرافهُ سلاقه　　عجيبة الصنعة والمذاقة
زيدت من الخردل والصباغ　　وكشف القحف عن الدماغ
وصفّ فيهِ فلق الرمان　　مثل رصيع خَرَزِ المرجان
ثم اتى بناطف هياج　　يحرّ طبع البارد المزاج
كأنهُ في العين والقياس　　سبائك جاءت من الروباس
ثم أتانا بعده لَوْزِينَجُ　　كأنه فى الاتحمى مدرَج[2]
تنشلهُ من دهنه العميق　　كما أخذت بيد الغريق
وجاءنا الغلمةُ بالمدام　　ونحن لم ننهض من الطعام
بغير ترتيب ولا صوانى　　وغير أنقال ولا ريحان
لأن في الجونة أنواعَ الأَرب　　وعوضاً من كل شيء يطلب
هذا هو النوع الذي أختاره　　ليس الذى عذبنا انتظارهُ

وأنشدنى عبد الصمد بن وهب المصرى قال أنشدنى أبو نصر بن أبى الفتح كشاجم لنفسه

غبط الناس بالكتابة قوماً　　حُرموا حظهم بحسن الكتابه
وإذا أخطأ الكتابةَ حظ　　سقطت تاؤها فصارت كآبه[3]

وأنشدنى الخوارزمى لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقى

قل لمن تاب ولم يقـ　　ـض من اللذات نحبه

---

١ المشبر المعظم　٢ الاتحمى برد مخطط　٣ لم نعثر فى ديوان كشاجم على شيء من هذه المختارات

توبة الحشوى لاتعـ ـدل عند الله حبه
أمُّ من تسبقهُ أنـ ـتَ إلى الجنة قحبه

وأنشدنى أبو الحسن على بن مأمون المصيصى قال أنشدنى أبو العميد هاشم ابن المتيم الأطرابلسى لنفسه

مضت للهو أوقاتٌ ولـلأوقات لذات
إليها أنا مشتـاق وقد فاتت بمن فاتوا
ومالى عوضٌ عنهم وأحيا الناس أموات[1]
مضى أهل المروءات فـلم تبق المروءات

وقرأت فى كتاب التحف والظرف لابن لبيب غلام أبى الفرج الببغاء لأبى عمارة الصوفى في ثقيل خفيف على القلب

وثقيل لو كان فى حسناتى وجميع الأنام في سيئاتى
لاستخفَّ الذنوب بل كسـ ـر الميزان من ثقله على الكفات

ولهُ فى ثقيل

ثقيل براهُ اللهُ أثقلَ من برى ففي كل قلب بغضة منهُ كامنه
مشى فدعا من ثقله الحوتُ ربهُ فقال إلهي زدت في الارض ثامنه ؟

وأنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الافريقى المتيم في كتاب أشعار الندماء لأبى الحسن المشوق الشامى ـ ولست أتحقق اسمهُ ـ فى المشمش :

أما ترى المشمش ياخلَّ الأدب مشطباً أكرِمْ بهاتيك الشطب
مثقب الهامات من غير ثقب كأنها بنادق من الذهب
قد صاغها صائغها بلا تعب

١ يريد وأحياء الناس اموات

ولهُ في جام فالوذج

إني اتخذت أبا عليٍّ ذا العـلا معقودةً لك ذات طعم طيب
فقد اغتدت في جامها وكأنها شمسٌ على بدر أوان المغرب
وتخال فيها اللوز وهو منصف أنصاف در فوق صحن مذهب
فتعال نخمش وجهها بأكفنا غضبت علينا أوغدت لم تغضب

وأنشدني غيره للممشوق

فؤادى كفيكَ اذا ماتعلقْ تَ وصبري كخصرك في دقته
وما آس عارضك المستنير ر كالقلب مني في حرفته[1]
وبالجسم مني الذي يشتكيـــه طرفك من غـير ماعلته
أشبّه وعدَك إما وعدت بعقرب صـدغك في عطفته
وأزداد في كلّ يوم هوى وحبيك يزداد في فتنتـه

وأنشدني محمد بن عمر الزاهـد قال أنشدني أبو الحسن المشوق صاحب المتنبي لنفسه :

ليلة بتها بفرتم أسقى عاتقاً عتقت مداها الدهور
وكأن السماءَ والبدرَ والأنجـــمَ روض ونرجس وغدير ———

وانشدني أيضا محمد بن عمر الزاهد قال أنشدني أبو الحسن علي بن محمد الانطاكي

لما تأمل جودَك القطرُ وسما ليدرك صدرَك البحر
خجلا جميعاً مثل ماخجلا إذ قابلاك الشمسُ والبدر
ياصالح الخيرات ماصلحا إلا لك التأييد والأمر

وأنشدني أيضا للحسن بن عبد الرحيم الزلالي صاحب كتاب الاسجاع على معنى الحمدوني في طيلسان ابن حرب

---

١ لعله يريد وماء آس

طيلسانٌ كان رسما ثم قد أصبح وهما
لا تراهُ العينُ إلاّ بعد أن يهجع حلما
تتعب المقلة كي تد رك منهُ أثراً ممّا
تعبَ الفكرةِ في إخ راجها البيتَ المعمّى

وقوله: نظرة كانت لحتفي سببا جلبَ الحينُ لها ماجلبا
ضحكت أسماء من ذي لمة ضاحكَ الاشيبُ فيه الأشيبا
انما يعرفُ أيامَ الصبا من صبا في غير أيام الصبا

وللانطاكي في وصف عود

وبَرْبط صحب الترنام نغمتهُ أحلى من اليسر وافى بعد إعسار (١)
يملي القريضَ عليه لفظ محسنه فينبرى مخبراً عنها بإجهار
ماحثّ أوتارَهُ في وجه نائبة إلا استفاد بتارات وأوتار
تحنو عليهِ لهُ أمّ تخاطبهُ سراً فيخبر بالنجوى بإظهار
(وإن هفا عركت آذانه شفقاً) عليه من وصمة النقصان والعار

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيرهُ لتميم بن معد أبي تميم صاحب مصر وهي مشهورة

مابانَ عذري فيهِ حتى عذرا ومشى الدُّجى في خده فتحيرا
همت تقبلهُ عقاربُ صدغه فاستلّ ناظرُه عليها خنجرا
والله لولا أن يقال تغيرا وصبا وإن كان التصابي أجدرا
لأعدتُ تفاح الخدود بنفسجاً لثما وكافورَ الترائب عنبرا

وانشدني أبو نصر سهل بن المرزبان قال أنشدت بمدينة السلام لمعد بن تميم ويروى للوأواء

---

١ البربط العود معرب بربط أي صدر الاوز لانه يشبهه

لاتظلموا الناس ولا تطلبوا ... بثأرىَ اليوم أذى مسلم
ويا لقومي دونكم شادناً ... معتدلَ القامة والمبسم
وإن أبَى إلاَّ جحوداً له ... وا كتتم الأمر فلم يعلم
(قولوا له يكشف عن وجهه ... فإنَّ فيه نقطةً من دمي)

وأنشدنى المصيصى له

وجنةُ من شفَّنى هواهُ ومن ... أفنيتُ فيه دموعَ آماقي
كأنما الصيرفىّ دبَّر ما ... نجّم منها ودَرْهم الباقي

ووجدت له من قصيدة

ومابلدُ الإنسان إلاَّ الذى به ... له سكنٌ يشتاقهُ وحبيب
إلى الله أشكو وشكَ بينٍ وفرقة ... لها بين أحشاءِ المحبِّ ندوب
ترى عندهم علمٌ وان شطت النوى ... بأن لهم قلبي علىَّ رقيب

وأنشدنى أبو حفص عمر بن على الفقيه لأبى منصور نزار بن معد أبى تميم وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه

نحن بنو المصطفي ذوو محن ... تجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبةٌ في الأنام محنتنا ... أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهمُ ... طرًّا وأفراحنا مآتمنا

وأنشدنى المصيصي للأمير تميم

شربنا على نَوْح المطوّقة الوُرْق ... وأردية الرَّوْض المفوفة البلق(١)
معتقة أفنى الزمان وجودها ... فجاءت كفوت اللحظ أو رقة العشق
كأن السحاب الغر أصبحن أكؤساً ... لنا وكأن الراح فيها سنا البرق
فبتنا نحثُّ الكأس فينا وإننا ... لنشربها بالحثّ صِرفاً ونستسقى

١. المفوفة التى بها خطوط بيض

إلى أن رأيتُ النجم وهو مغرب　　　وأقبلن رايات الصباح من الشرق
كأن سوادَ الليل والفجرُ طالع　　　بقية لطخ الكحل في الاعين الزرق

أحسن فى هذا البيت ماشاء وأنشدت للمروانى فى الهلال وأجاد

والبدر فى جوّ السماء قد انطوى　　　طرفاهُ حتى عاد مثلَ الزورق
وتراهُ من تحت المحاق كأنما　　　(غرق الكثيرُ وبعضه لم يغرق)

وهو من قول ابن المعتز قد اثقلته حمولة من عنبر

قال وسمعت الشيخ الامام أبا الطيب يحكى أن المروانى صاحب الاندلس كتب اليه صاحب مصر كتابا يسبهُ ويهجوه فيه فكتب اليه « أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام »

وأنشدني أبوسعيد بن دُوسْتَ قال أنشدني الوليد بن بكر الأندلسى الفقيه المالكى لأميرهم محمد بن أبى مروان بن أخى المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس وهو الحكم بن عبد الرحمن المروانى من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر

ألسنا بنى مروانَ كيف تبدلت　　　بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
إذا وُلد المولود منا تهللت　　　لهُ الأرض واهتزتْ إليه المنابر

وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة

قال وأنشدنى لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي

يامن أراني بألحاظ يصرّفها　　　عنى الصبا والهوى رشدى وتوفيقي
جمعتُ فيكَ غايلَ العاشقين كما　　　جمعتَ ماتشتهى من كل معشوق

وله أيضا

لعينيك في قلبي عليّ عيونُ　　　وبين ضلوعى للشجون شجون
لئن كان جسمى مخلقا فى يد الهوى　　　فحبك غض في الفؤاد مصون

نصيبي من الدنيا هواك وإنه	عذابي ولـكني عليه ضنين

وله أيضا في الخمر

. صفراء تطرق في الزجاج فإن سرت	في الجسم دبت مثل إيم لادغ (1)

لم يحسن في تشبيه دبيب الخمر في جسم شاربها بدبيب الحيه اللادغة ، وقد أحسن في البيت الذي يليه جدًّا

خفيت على شرّابها فكأنهم	يجدون ريا من إناء فارغ

قال وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر

يا سيداً أفرطت بالعبد سطوته	ما كلُّ مالك رقٍ مغضب حنق
أعتق وإلاَّ فبع كم ذا تعذبني	إن العبيد إذا ماعُذّبوا أبقوا
وثقتَ مني بأن الحب قيدني	أجل وحقك إني فوق ما تثق

ومعنى بيته الثاني مما يزيفه نقدة الشعر المتغزلون ولا يرضونه ، وإنما يميلون إلى مثل ماقال أهل العصر

ليَ مولى أقسى البرية قد قا	سيتُ فيه الهمومَ والأشواقا
قلت إذ لج في جفائي واحتـ	ـجّ عليه فساق نحوى السياقا
أيهذا المليك رأيك في سو	ءِ امتلاكي فلن أرومَ الفراقا

قال وأنشدني حبيبُ بن أحمد الاندلسي لنفسه

ثلاثون من عمري مضينَ فما الذي	أؤمل من بعد الثلاثين من عمري
أطايب أيامي مضينَ حميدةً	سِراعاً ولم أشعر بهنّ ولم أدر
كأنّ شبابي والمشيب يروعه	دجى ليلة قد راعها وضح الفجرَ

وأنشدني لاحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوي

إذا مانلت من دنياك حظا	فأحسنْ للغنيّ وللفقير

---

١ الايم الحية الابيض اللطيف أو كل حية

ولا تمسكْ يديكَ على قليل فإنّ الله يأتي بالكثير

عبد المحسن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء المجيدين الادباء ، وشعره بديعُ الالفاظ حسن المعانى رائق الكلام مليح النظام من محاسن أهل الشام ، فمن شعره قولهُ

أترى بثأر أم بدْين علقت محاسنها بعينى
في خصرها وقوامها ولحاظها مافي الردينى [1]
وبوجهها ماء الشبا ب خليط نار الوجنتين
بكرت عليّ وقالت اخ تر خصلةً من خصلتين
إما الصدودَ أو الفرا قَ فليس عندى غيرُ ذين
فأجبتها ومدامعى منهلة كالمرزمين [2]
يا هذه لا تعجلى إن حان بينك حان حينى
فكأنما قلت اذهبي فمضت مسارعة لبينى

قال وأعطاهُ بعض الأُمراء عمامةً حسنة فلبسها أياما ثم باعها ولبس عمامة لطيفة ومشى فقال بعض من رآه : ثقلت عليهِ العمامة فباعها . فقال ارتجالا

قالوا عسى ثقلت علي هِ فباعها من غير عُدْمْ
والله ماثقلت علـ ـىّ عمامتى بل خفّ كمى

وقوله :

وكم آمر بالصبر لم يَرَ لوعتى وماصنعت نارُ الأسى بين أحشائى
ومن أين لى صبرٌ وفي كل ساعة أرى حسناتى فى موازين أعدائى

وقوله : ومعتذر العذار الى فؤادى لجرم سابق من مقلتيهِ
وكم أعرضت عنهُ فأعرضت بى عن الإعراض خضرة عارضيه

---

١ الردينى السيف المنسوب الي ردينة ٢ المرزمان نجمان مع الشعريين

ولما قلت إن الشعر يسعى | لقلبي في الخلاص سعى عليهِ

وقولهُ : لحظاتٌ تـترامى | بى الى المرمي القصىّ
طرحتنى من عـلَىّ | بين ألحـاظ عَـلى
فادعى رقى وما | رقى بدعوى المدعى
أنا عبد المحسن الصو | رى لا عبـد المسى

وقوله
جنى ماجنى وانصرف | وأنكر ثم اعترف
وظن بأن القصا | ص يمنع منهُ الترف
سلوا صدغه لم جرى؟ | ولما جرى لم وقف؟
وكان على أنهُ | يجوز المدى فانعطف

وقوله :
بالذى ألهم تعـ | ـذيبي ثناياك العـذابا
والذى ألبس خديـ | ـك من الورد نقابا
والذى صير حظى | منك هجرا واجتنابا
ياغزالا صادَ باللا | حظ فؤادى فأصابا
ماالذى قالتهُ عيـ | ـنـاك لقلبي فأجابا

وقوله : تعلمت وجنتهُ رقية | لعقرب الصدغ فما تلسع
صمّـت عن العاذل في حبه | أذنى فما لى مسمع يسمع

وقوله في صبي اسمهُ عمر

نادمنى من وجهه روضة | مشرقة يمرج فيها النظر
فانظر معى تنظر إلى معجز | سيف علىّ بين جفنىْ عمر

وقوله :

زففت إلى نبهان من عفو فكرتى | عروساً غدا بطنُ الـكتاب لها خدرا
فقبلها عشراً وهام بذكرها | فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وأنشدني له وقد مر بقبر صديق له

عجباً لي وقد مررت بآثا ... رك أني اهتديتُ قصدالطريق
أتراني نسيت عهدَك يوما ... صدقوا مالميت من صديق

وقوله :

أمنونٌ بدت لنا أم جفون ... حركاتٌ للسقم فيها سكون
بعتها ماحييت طول هجوعي ... بدموعي فأينا المغبون ؟

وقوله :

تعلقتهُ سكران من خمرة الصبا ... بهِ غفلة عن لوعتي ولهيبي
وشاركني في حبهِ كل أغيد ... يشاركني في مهجتي بنصيب
(فلا تلزموني غيرة ماعرفتها ... فان حبيبي من أحبَ حبيبي)

وقوله : قلتُ وقد أوردني حبهُ ... مواردا ليس لها مصدرُ
افسدتَ دنياي ولادين لى ... تفسده فاصدَع بما تؤمر

وقوله : اتابعت أهلَ البيعةاليوم في دمي ... غلبت فخذ أخطارهم وتقدم
ولا تورثن عينيك سقمي فانهُ ... (حرام على الذمي ميراثُ مسلم)

وقوله : رأيت مالم يره رأئى ... ماءً غدا يسبح في ماء
أومأت باللحظ إلى جسمهِ ... فكاد أن يدميه إيمائي

وقوله : ظبي أقام قيامتي ... من قبل أن تأتى القيامه
عطبُ القلوب جفونهُ ... فعلام سموهُ سلامه ؟

وقوله

ولئن كنت قد رحلت بقلبي ... فاعلمي أن سرَّ حبك فيهِ
لا تقولي ضيعتهُ بعد بين ... ضيعيه إن شئت أو فاحفظيهِ

وقوله: رقت فكادت لا ترى ... في كأسها إلاَّ التماسا

لولا الحباب لخالها شرّابها في الكأس كأسا

وقوله: لما تبينت أن حبكم يحسن عندي وليس يحسن بي
بشرت طرفي بحسن عاقبتي فيكم وقلبي بسوء منقلبي

وقوله: يامطيع العذول فى عصيانى ومذيقي حرارة الهجران
اتق الله لا تزعنى بالصد وجازِ الإحسان بالإحسان
كيف أبقى على الزمان وهجرا نك مما جنت صروف الزمان
صرتُ أجفوك مكرَهاً وعلى الحب دليل من ناظرى ولسانى
فاذا دمت بالتجلد عنكم كذبتنى نواظر الأجفان
كيف تجنى ولا تخاف عقاباً وفؤادى معاقبٌ غير جانى
خلِّ ما بين مقلتيك وقلبي فمالينا يدٌ من السلطان
لا تكونن ثالثاً لقويين فلو كان واحد لكفانى
لك والله فى صميم فؤادى (لذةُ الماءِ فى فم العطشان)

وقال يهجو بعض من أضافهُ

وأخ مسه نزولي بقرح مثل ما مسنى من الجوع قرح
قيل لى إنهُ جواد كريم والفتى يعتريه بخلٌ وشح
بت ضيفا له كما حكم الدهر وفي حكمهِ على الحرّ قبح
قال لى إذ نزلت وهو من السكرة والهم طافح ليس يصحو
لم تغربتَ قلت قال رسول الله والقولُ منه نصح ونجح
سافِروا تغنموا فقال وقد قال تمامُ الحديث صوموا تصحّوا

وقولـه:

بدرُ تمّ يثنيهِ دعص وخوْط عُـذرى فى عِذاره مبسوط
أيّ دُرٍّ للثقب أىَّ كتاب لو تأتت بصفحتيه الخطوط

واذا اغترَّ قلتَ ظبي غرير وإذا افترَّ قلتَ درٌّ سقيط

وقولـه

يستوجبُ العفو الفتى إذا اعترف وتاب مما قد جناهُ واقترف
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفرْ لهم ماقد سلف

وقوله : طرة مِسكٌ وشاربٌ أخضرْ وثغرُ درٍّ ومقلتا جوذرْ
(ريم إذا رمتُ أن أكلمهُ كلمني من جفونهِ خنجرْ)
وان تعوضتُ من عوارضهِ لثما تجنى عليَّ واستكبر
كأن خيلانهُ ووجنتهُ سماء حسن نجومها تزهر
سبحان من صاغهُ على قدر فذلك اللهُ خيرُ من قدَّرْ

وقوله : ياحارِ إن الركب قدحاروا فاذهب تجسس لمن النار
تبدو وتخبو إن خبت وقفوا وإن أضاءَت لهم ساروا
قام عليها موقدٌ مرشدٌ له بفضل الزاد إيثار
فلا تلوموني اذا مسكم أو مسها من قربكم عار
وسائل يسأل عن حالتي قلتُ كما تهوى وتختار
وأين ما أسررت في لحظه مما أسرَّ الطين والقار
مانظرة الاّ لها سكرة كأنما طرفك خمار
هذا هوى يصدرعنهُ جوًى تتلوه لوعات وأفكارِ
وهذه أفعالها هذه ما بعد رأى العين إخبار
ولست أعتدُّ عليك الضنا ألست من جفنيك أمتار!

وقوله

هواى الذى أبدي وأضمره يحيي وسؤلى في دارِ الخلود وفى الدنيا
وعيني التى أرعى بها من يودني وكفى التى أرمي الأعادي بها رميا

أأصبر عن يحيي وأطوي وصالهُ إذاً فطواني عنه صرف الردى طيا
كتمت الهوى جهدي ونفيت طاقتي وقد زاد حتى ماأطيق له نفيا
يود أناس لو عميتُ عن الصبا إذاً فأرانى الله أعينهم عميا
فما بالهم لا قدّس الله بالهم ولا حاط ميتاً منهمُ لا ولا حيا
يلومون في يحيي ولو أن لائما رأى وجههُ لاستقبح اللوم واستحيا
فيا منيتي كم فيك عاصيتُ عاذلا أرى غيهم رشدا ورشدهم غيا
وكم جاءنى ماقاله فيك كاشح فزدتك حبا كلما زادني نعيا
أأسمعُ فيكَ العذلَ ممن يلومني فلا سمعت أذنى إذاً بعدهم شيئاً
فما أحسن الدنيا اذا كنت جانبي وإن غبت عن عيني فما أقبح الدنيا

ولهُ يهجو:
حديثهُ كالحدَث يرفثُ كلَّ الرفث
يودُّ من يسمعهُ لو أنهُ في جدث

ولهُ يرثي

قالوا ألم تحضر علياً بعدما دفنوه قلت هناك بئس المحضر
لا أستطيع أرى المعالى بينكم محمولة وأرى المكارمَ تقبر
لم يمض قبلك من أراهُ أسوةً فأقول هذا مثل ذاك فأصبر
قد كنت جزءاً والأكارم كلهم جزءٌ ولكن الأقل الأكثر
ما كان أكثرهم وأنتَ جليسهم وأقلهم اذ شيعوك وكبروا

ومما يتغنى به من شعره قوله

ماعليها سهرتُ أم بت نائم بعد أن لا يلمَّ بى طيفُ حالم
تسأل الناس كيف حالى ومن أعلم منها وفاعل الشيء عالم
وغزال أغن أغيد ساجى الط رف مستحسن الخلائق ناعم
لم يصلنى ولم يعدنى وقال اكـ تم فماذا أسر حتى اكاتم

وقوله : قبلتها أشتفي بقبلتها فزادني ذلك اللمى ألما
وسألتني عن مبتدا سقمي سقم جفنيك مسقمي بهما

وقوله : ياعلة الأجفان كفى كفى ما حملت منك وما استوثقت
وساعدينا واعلمي أنها قد نذرت قتلي وما اعتقت

وقولـه :

أرى الليالى إذا عاتبتها جعلت تمن أن جعلتني من ذوى الأدب
وليس عند الليالى أن أقبح ما صنعن بي أن جعلن الشعر مكتسبي
ان كان لابد من مدح فها أنا ذا بحيث آمن فى قولى من الكذب

وقولـه :

إذا كسدت سوق الثناء فجوده طلوب لأسباب الثناء كسوب
تضيق بما تحوى يداه وصدره بتفريق ما تحوى يداه رحيب

وقولـه :

وغزال مثل الغزالة يحكيـ ـها كمالا إلا بقلب وود
رق جسما فرق دمعي عليه فجرى مثل خده فوق خدى

وقوله : والله ماعورضت في مهجتى الا لأن أرفع عنها يدى
الأهيف الأغيد والنفس ما آلفها للأهيف الأغيد
يعجبها أن ترتدى حسنه والحسن قد يردى به المرتدى
طوفان نوح طبق الارض لا يبرح منها آخر المسند
طاف علينا فاستوينا على الـ جودى من جود أبى أحمد
أبو العلا إذ ذكرت وابنها ياذا المكانين من السؤدد
غير من حالى ومن نيتى في غيره كم مصلح مفسد
لو كان من أحببته بعض ما فى يده زارت بلا موعد

وقوله من قصيدة

فتى كلما قالوا تناهى صعوده ... إلى كل مجد خالف القول صاعدا
ترى كل ملقي المقاليد في الوغى ... إليه إذا لاقاه ألقى المقالدا
ولست ترى بيتا من المجد أو ترى ... من الجود أركانا له وقواعدا
لقد شرفت أبيات عوف وطهرت ... (من الرجس (التى) خلتهن معابدا)
وكل يعاف الورد من بعد ربه ... وأرماح عوف لا تعاف الموارد
ترى منهم يوم الوغى كل ناشر ... من النقع فوق الدارعين مطاردا
ينالون ما أمسى بعيداً مناله ... كأنهم طالوا الرماح سواعدا
وقلبت الهيجاء أعيان خلقهم ... فقد وثبوا اسدا ودبوا اساودا
على ان من لاقيت منهم مسالما ... لقيت به نوء السماك مجاودا

وقولـه

وقد حسدت على مابي فواعجبي ... حتى على الموت لا أخلو من الحسد
(ما بعتكم مهجتي إلا بوصلكم ... ولا أسلمها إلا يداً بيد

ومن قصيدة يقول فى مدحها

طالما جاد لي وظن بأن ال ... جود يبلى في كل يوم مجدد
بيمين طالت فكم تضرب ال ... أيام عنى بها وكم تتجلد
أحسن الفعل بى فاحسنت قولا ... فاشتبهنا فقيل جاد وجود

وقوله : وغريرة مغرورة بجمالها ... وتظن أن المنتهى كالمبتدى
ظلت تناكرنى الهوى من بعدما ... ترفت به زمناً فقلت تقلدى
ليكن عقابك لى بقدر تجلدي ... لا بالنوى فضعيفة عنها يدى

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم

مازال ينحلني أبو الجيش اسمه ... فيما يجد وكل يوم جودا

حتى غدوتُ أنا المسمى حامداً　　وغدا يسمى حامداً محمودا

وقولـه

نام الخليون من حولى فقلت لهم　　ما كلُّ عين لها عين تسهدها
لا تنـكروا عقلتى عامين في يده　　فان صيداء معروف تصيدها
كأنما أهلها أهل المقيم بهـا　　فذلك الزهد في الأوطان يبعدها

وقال يجهو أخاه عبد الصمد

قال لى أنت أخوالـكاب وفي　　ظنه أن قد تناهى واجتهد
أحمد الله كثيراً أنهُ　　مادرى أنى أخو عبد الصمد

وقوله من قصيدة أولها

لا تبادِيك على هجرى　　ولا بإِ كثارك من ذكرى
عهدتكم من حيث عاهدتكم　　لم تعرفوا شيئاً سوى الغدر
فمالـكم لـما نذرتم دمي　　صرتم من الموفين بالنذر
جاءت عطاياك موفورة　　فلم يكن عندى سوى النشر
مقرونة بالعذر إنى لفي التـ　　قصير أولى منك بالعذر

وقوله من قصيدة أولها

حتى متى كلُّ مشتك زاجر　　واللوم مثل الهوي بلا آخر
كم عاذل عاشق وكنت أري　　أن الذى جرب الهوى عاذر
يا نافرا نفرة الغزال وكا　　ن الحزم لو أنني أنا النافر
يبيت ما تستعد مقلتهُ　　من خمرها فوق ثغره قاطر
فطرفهُ عاصر وليس بهِ　　خمر وفوه خمر بلا عاصر
وشادن طائف على نفر　　شخص الـكرى من يمينه دائر
صرّعهم حولهُ وأوجسهم　　بما اشتكى نائب لهُ ساهر

فخشی ساعة فلم ترنی   في أثر القوم بعدهم سائر
فقال أوصيك بي وأسلمهُ الا   صبر على رغمه إلى الصابر
(فبتُّ في روضهِ ألف على الـ   غادة طرفي وأسرحُ الناظر)

يقول في مدحه بالكتابة واجاد

لايخطر الفكر في كتابتهِ   كأن أقلامهُ لها خاطر
القولُ والفضلُ يجريان معاً   لاأولٌ فيهما ولا آخر

وقولـه : وأغنٍّ أغيد ودهُ   مستأنس بي وهو نافرْ
إن قلت زرني قال نم   فالطيف ليس يزورُ ساهر
ويقول لي فيما يقو   ل نعم وما للقول آخر
حتى أشاورَ قلتُ لا   كنني هويت ولم أشاورا

وقولـه: سهلت عنده المسالك حتى   أوصلتهُ الى العلا وهي وعرَهْ
ثم هامت بهِ المعالى فصارت   تتقى صدّه وتحذر هجره

وقوله من قصيدة يقول فيها

هلموا اسألوا عن سلوٍّ بيا   ع أو استخبروا عن كرى يكترى
هل الناس مثلي وإلاّ فما   أشد القلوب وما أصبرا
وصفراءَ تنفذ من كأسها   فتتركُ ما حولها أصفرا
بعد إذا شعشعت كالهبا   ء لمن كان قدامها أو ورا
وفي القوم من لم يكن عندهُ   اذا سكر القوم أن يسكرا
سقاني وشـد معي مئزراً   فما شدَّ من بعدها مئزرا

وقولـه :

عندي حدائق شكر غرس جودكمُ   قد مسها عطش فليسق من غرسا
تداركوها وفي أغصانها رمق   فلن يعود اخضرار العود إن يبسا

وقوله من قصيدة يقول فى مدحها

بئس السياسة والرياسة منزل   أصبحت وحدك في ذراه مقيما
وجعلت تفعل مثل ما فعل الالى   فيه وتتخذ الخطوب خصوما
ولو اختصرت على القديم كفى العلا   إن القديم ليوجب التقديما
للحادثات معي حديث مبهم   أضحى النهار على منه بهيما
وصناعتي عربية وكأنني   ألقي بأكثر ما حفظت الروما
فلمن اقول وما أقول فاين بي   فاسير أولا اين بي فاقيما
واذا اشتكيت الى امرءٍ ما حلَّ بي   فاقول يرحمني أراه حليما

وقوله من قصيدة يقول فيها

تروح الى كسب الثناء وتغتدى   اذا كان هم الناس كسب الدراهم
وإن جلس الاقوام عن واجب الندى   وحق العطايا كان أول قائم
يزيد ابتهاجا كلما جاء قاصد   كأن به شوقا الى كل قادم

وقوله :

إنَّ لها من لوعة شانا   أضرمت الأحشاء نيرانا
وحالفت دمعى فلم يطفها   وقد جرى سحاً وتهتانا
وآل مازال عدواً لها   مذ كانت النار ومذ كانا
لكن فى حيني وفي شقوتى   ما يجعل الاعداءَ خلاَّنا
وغادة قمت لتوديعها   أسعى إلي التفريق عجلانا
فغاض دمعى وجرى دمعها   زوراً على الحبّ وبهتانا
ثم انثنت قائلة ماله   لم يبكه البين وأبكانا
فقلت جار الدمع فى حكمه   فغاض من أجفان أجفانا

وقوله ما زال يبنى كعبة للعلا   ويجعل الجود لها ركنا

حتى أتى الناس فطافوا بها . وقبـلوا راحتهُ اليمنى

وقوله فى أبي الجيش حامد بن سلهم

أبا الجيش حسبُ الشعر ما أنت صانع فقد عجزت عن وصف ذاك القصائد
أما انصلحت للمال منك طوبةٌ فتصلحه حتى متى أنتَ حاقد
سبقت بني الدنيا فما هب هاهب قائم سواك إلى جود ولا قام قاعد

وقوله : ومن بنى الفؤاد من بغته عن سيفهِ سيفُ أجفانهِ
سلطان عينيهِ لهُ سطوة أشد من سطوة سلطانه

وقوله ياذا الذي فى خده جيشان من زنج وروم
هذا يغير على القلو ب وذا يغير على الجسوم
إنى وقفتُ من الهوى في موقف ضنك عظيم
كوقوف عارضك الذى قد حار فى ماءِ النعيم

وقولـه :

غنني يا أعز ذا الخلـق عنـدى. حى نجدا ومن بأ كناف تجد
واسقني مايصـير ذو البخل منـهُ حاتما والجبـان عمر بن معـدي
لى وما فوق وجنتيـك من الور د مـدام كالمسـك في لون ورد
فاسقنيها ملأى فقد فضح الليـ لَ هلالٌ كأنهُ فتر رند[1]
والثريا خفاقة بجناح الـ ـغرب تهوي كأنها رأس فهد
فى أوان الشباب عاجلنى الشيـ ـب فهذا من أول الدن دردى

وقولـه :

إن خيالا زارنا وهنا من عنـدكم هاج لنـا حزنا
أحبابنا لابلغتْ منـكم أيدي النوى مابلغت منا

(١) الرند شبه حوالق صغير من الخوص والاس

فلم يغب عنكم على بعدكم ... مافعلت غيبتكم عنا
أيسر ما فى عهدكم لما ... حفظنا عهدكم ضعنا

أحمد بن سليمان الفجرى

شاعر ماهر كتب إلى عبد المحسن الصورى هذه الأبيات·

أعبدَ المحسن الصورى لم قد ... جثمت جثومَ مِنهاض كسير
فان قلتَ العبالة أقعدتني ... على مضض وعاقت عن مسيرى (١)
فهذا البحر يحمل هضب رضوى ... ويستثنى بركن من ثبير
وإن حاولت سيرَ البرّ يوما ... فاست بمثقل ظهر البعير
إذا استحلى أخوك قلاك يوما ... فمثل أخيك موجود النظير
تحرك علَّ أن تلقى كريما ... تزول بقربه إحنُ الصدور
فما كلُّ البرية من تراه ... ولا كل البلاد بلاد صور

فاجابه عبد المحسن

جزاك الله عن ذا النصح خيرا ... ولكن جاء في الزمن الأخير
وقد حدَّت لى السبعون حدا ... نهى عما أمرتَ من المسير
ومذ صارت نفوس الناس حولي ... قصارا عدتُ بالامل القصير

أبو حامد احمد بن محمد الانطاكى المعروف بأبى الرقعمق

نادرة الزمان وجملة الاحسان . وممن تصرف بالشعر الجزل في أنواع الجد والهزل وأحرز قصب الفضل وهو أحد المداح الجيدين والفضلاء المحسنين وهو بالشام كابن حجاج بالعراق فمن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أولها :

قد سمعنا مقاله واعتزاره ... وأقلناه ذنبه وعثاره

---

١ العبالة الضخامة

والمعانى لمن عنيت ولكن بك عرضت فاسمعى يا جاره
من مراد به أنه أبد الدهـ ـر تراه محللا أزراره
عالم أنه عذاب من الله مباح لاعين النظاره
(هتك الله ستره فلكم هتـ ـك من ذى تستر أستاره)
سحرتنى ألحاظه وكذا كـ ـل مليح لحاظه سحاره
ما على مؤثر التباعد والاعـ ـراض لو آثر الرضى والزياره
وعلى أننى وان كان قد عذ ب بالهجر مؤثراً إيثاره
لم أزل لاعدمته من حبيب أشتهى قربه وآبى نفاره

يقول في مدحها

لم يدع للعزيز فى سائر الار ض عدواً الاَّ وأخمد ناره
فلهذا اجتباهُ دون سواهُ واصطفاهُ لنفسهِ واختاره
لم تشيد لهُ الوزارة مجداً لا ولا قيل رفعت مقداره
بل كساها وقد تخرمها الدهـ ـر جلالا وبهجة ونضاره
كل يوم لهُ على نوب الدهـ ـر وكرّ الخطوب بالبذل غاره
ذو يد شأنها الفرار من البخـ ـل وفي حومة الوغى كرَّاره
هي فلَّت عن العزيز عداه بالعطايا وكثرت أنصاره
هكذا كلّ فاضل يده تمـ ـسي وتضحى نفاعة ضراره
فاستجره فليس يأمن إلاَّ من تفيا بظلهِ واستجاره
فاذا ما رأيتهُ مطرقاً يعـ ـمل فيما يريده أفكاره
لم يدع بالذكاء والذّهن شيئاً في ضمير الغيوب إلا أناره
لا ولا موضعاً من الأرض إلا كان بالرأى مدركا أقطاره
زادهُ الله بسطة وكفاهُ خوفهُ من زمانهِ وحذاره

وقوله من أخرى أولها

إن ربعاً عرفتهُ مألوفا   كان للبيض مربعا ومصيفا
غيرت آيه صروف الليالى   وغدا عنهُ حسنهُ مصروفا
مامررنا عليه الا وقفنا   وأطلنا شوقا اليه الوقوفا
آلفا فيه للبكاء كأنى   لم أكن فيه للغوانى ألوفا
حاسدا للجفون لما أزالت   فى مغانيهِ دمعها المذروفا
ان يعقوب قد افاد وأقنى   وأعاد الندى واغنى الضعيفا
سل سيفا من البصيرة والرأ   ى فاغناهُ أن يسل السيوفا
باذلا للعزيز دون حماه   مهجة حرة ورأيا حصيفا
لم تزل دونهُ تخوض المنايا   وترد الردى وتلقى الصفوفا
ناصحا مشفقا محباً ودودا   قائما في رضاه صعباً عسوفا
ليس يخشى فساد أمر تولا   هُ واضحى برأيه مكنوفا
مارأيناه قط إلاَّ رأينا   خلقا طاهراً وفعلا شريفا
ورأينا قرما كبيرا هماما   منعما مفضلا رحيا رؤوفا
لذ طعم العطاء وهو إذا جا   د وأعطى يرى الكثير طفيفا
خلق منهُ منذ كان كريم   يستلذ الندى ويقرى الضيوفا
ويريش الفقير بالبذل والجو   د ويعطى ويسعف الماهوفا
فارانا الإله صرف الليالى   أبدا عن فنائهِ مصروفا

وقوله من أخرى

حى الخيام فإنى   مغرى بأهل الخيام
بالراميات فؤادي   بصائبات السهام
اسقمننى وتألين   لاشفين سقامي

أيام وصلى حرام والهجر غير حرام
لاعذب الله قلبي الا بطول الغرام
سقيا لدهر تولى بشرتى وغرامى
كأنما ذلك العيش كان فى الاحلام
لم يبق من نرتجيه لحادث الايام
الا ابن احمد ذو الطول والايادى الجسام
كفاه أغدق جودا من وا كفات الغمام
يلقى العفاة بوجه مستبشر بسام
معظما ترتجيه للنائبات العظام
يرمى الخطوب برأى أمضى من الصمصام
قرم له عزمات تفل حد الحسام

وله من أخرى

توهمت أمراً فلم أنبس بحرف وناديت بالأكؤس (١)
حميا كأن سنا نورها سنا بارق لاح فى الحندس
يعاطيكها رشأ طرفه سريع إلى تلف الأنفس
(بخد يروقك توريده وعين تنوب عن النرجس)

يقول في مدحها

له قلم أبداً ناطق بأسعد قوم وبالأنحس
إذا ما انتضاه لأمر رمى به الدهر عن صائبات القسى
رآه الوزير على غاية من الفضل تعلو على الخنس (٢)

---

١ نبس أسرع فى الكلام ٢ الخنس الكواكب

ومن أخرى

أظنُّ ودادها من غير نيهْ ... وهل هي فيه إلاَّ مدَّعيهْ
فتاة لا تَملُّ عذابَ قلبي ... ولاتخليهِ وقتاً من أذيه
ولاذنبٌ لهُ إلا التوافي ... لمن في الحب ليست بالوفيه
ويعجبنى التمتع والتشاجي ... من الخود المنَّعة الشجيه
فوا أسفا عَلى حرّ يعزّى ... أخا رزءٍ على عِظم الرزيه

ومنهـا

وذلك أن إيرى فيهِ رطل ... ومافي حَرّها الا وقِيه(1)
ومن بعث المدام فليس بدّ ... ولا تك غير بكر بابليه
فثمَّ هناك حَرّ شافعى ... عظيمُ الشأن واست مالكيه
ونفسى غير مائلة اليها ... لأحوال مقبحة بذيه
وجملة أمرنا أنى بغى ... وأيضاً فهى فاجرة بغيه
أحب دنوّها وتحب قربى ... وهذا لايكون بلا بليه

---

١ اشار علينا بعض الادباء ببتر أمثال هذه القطع التى يجىءفيهافحش ومجون لانه خروج عن الادب ومفسدة للاخلاق وقد اختلفت آراء العلماء فى هذا ولكنا نرى ان علم الادب غير علم الاخلاق وانالادب يتناول العواطف الانسانية عامة لا يفرق بين شريفها وخسيسها فلا حرج على الادب اذا عرض لهذه العاطفة يصورها ولاحرج على الثعالبى اذا وضعها فى كتابه الذى يصف ادباء عصره وآدابهم ثم لاحرج علينا أيضا اذا نحن ادينا الكتاب على اصله وراعينا امانة العلم وحرمة التاريخ معا فلم ننقص من الكتاب شيئا وان كنا نوافق الاخلاقيين وننكر معهم هذا النوع من الادب على أننا حين نبيح لانفسنا اثبات هذا الضرب من الادب لانظننا خرجنا عن طريق السلف الصالحين حين اثبتوا فى كتبهم ومؤلفاتهم كل ماقال الادباء والشعراء فى هذه الناحية وحسب الناقد نظرة فى أمهات الكتب العربية فليس الثعالبى وحده هو الذى تفرد بوضع المجون فى كتابه بل ربما كان ابعدالمؤلفين الاسلاميين عن الاسراف والغلو فيه .

وما لاقيتهـا الاَّ تلاقى مبالانا بإِسقاط التقيـه
وهـذا الرأى لا رأى سواه فلا تحفـل بأقوال الرعيـه
ولا عيش سوى تقليب بظر وثقب من صبى أو صبيه
على أنى أقول بكل شيء سوى نيك العجوز القذمليه[1]
ولا ألوى على أحد يرانى بعين النقص والحال الدنيه
ولـكنى أقول بمدح قرم تفرد بالعلا دون البريه
ومن نال العلاء حجى ومجدا وأفعـالا مهـذبة سنيه
تشابه خلقه والخلق حسناً وحسبك بالنفاسة والسجيه
تشاهد منهُ طوداً مشمخراً وأفعال الملوك الـكسرويه
لهُ الأقلام كيف يشاء تجري بتأييد القضاءِ وبالمشيه
كأن اللفظَ فى القرطاس زهر تفتح عن معان معنويه

ومن أخرى

كفي ملامكِ يا ذات الملامات فما أريد بديلا بالرقاعات
كأننى وجنود الصفع تتبعنى وقد تلوت مزاميرَ الرطانات
قسيس ديْر تلا مزمارَه سحرا على القسوس بترجيع ورنات
وقد مجنت وَعلمت المجون فما أدعى بشيء سوى رب المجانات
وذاك أنى رأيت العقل مطَّرحا فجئت أهلَ زمانى بالحماقات
انى بسأدخل عذالى على عذل في الحب ان عذلونى في الحرامات
أفدى الذين نأوا والدار دانية وشتتوا بالجفا شمل المودات
كم قد نتفت سبالى في صدودهم والصد أصعب من نتف السبالات
سقياً ورعياً لأيام لنا سلفت بالقفص قصرها طيب اللذاذات

---

١ القذملية الواسعة

إذ لا أروح ولا أغدو الى وطن　　الاَّ الى ربع خمارٍ وحانات
أيام أسحب أذيال الهوى مرحاً　　مصرَّعا بين سكرات ونشوات
عُوِّضت منهن أحزانا تؤرقني　　بعد السرور وفرحات بترحات
لولا عِذار تعالى كيف صوَّره　　رب العباد لتعذيبي وحسراتي
كأنهُ مشقة من خدّ من شقيت　　روحي بهجرانه أو عطف نونات
لما حللت بدار مالها أحد　　إلا أناس تواصوا بالخساسات
لو كنت بين كرام ما تهضمني　　دهر أناخ على أهل المروءات

ومنها :

لو نيل بالجد في العلياء منزلة　　لنال بالجد أعنان السموات
يرمي الخطوب برأي يستضاء به　　إذا دجا الرأي من أهل البصيرات
فليس تلقاهُ إلاَّ عند عارفة　　أو واقفاً في صدور السمهريات
يامن غدت أوجه الأيام مشرقة　　بجوده مستهلاَّت منيرات
ما لي بلا سبب غودرتُ مطرحاً　　وقد حرمت عطاياك الجزيلات
ولي مدائح قدماً فيك سائرة　　مستطرفات بألفاظ طريفات

ومن أخرى

كل بشعريَ مفتون ومشغوف　　وجيد الشعر منعوت وموصوف
كلفت من أمرهم مالا أقوم به　　ومن يقوم بأمر فيه تكليف
لأنتفن سبالي طاعة لهم　　والذقن إن دام ذا الاعراض منتوف[1]
أمسي وأصبح مجفوّاً ومطّرحاً　　هذا ورأسي وما والاهُ مكشوف
وبي وعندي وفي ملكي ولا رُزقوا　　رزقي قذال أصمّ السمع مكفوف
من تلك أقفية القوم الكشاخنة الا　　قدم الذين لهم منها مجاديف[2]

---

١ في ط فالذقن ٢ كذا في الاصول ولعلها من ملك.

مفوّفات بتنفيش وأطبعها   لاشك مافيه تنفيش وتفويف
معطوفة وبنفسي ياابن أم قفا   على الأخادع مثنيٌّ ومعطوف
كم قائل ويداهُ في أطايبه   وطيب الشيء مجنيٌّ ومقطوف
فان يكن ذا فلا غرو ولاحرج   فالليالى وللأيام تصريف
هذا الذى من رآه دون ملمسه   لم يأكل اللحم إلا وهو معلوف
ولم يمد إلى رأس على طرب   يديه إلاَّ وفي اليمنى تطاريف
بينا يرى الثوب منشوراً بلاسبب   حتى يرى وهو بعد النشر ملفوف
فكم ألامُ وكم أُلحى وهل حمق   إلا نتيجة رأس فيه تخفيف
ألفتهُ حسب مالى من محبته   دون البرية والمحبوب مألوف
إلف المكارم والجدوى فتى أسد   محمد خيرُ من ناداه ملهوف
حر إذا ذكر الاحرار مشتمل   على السماح ببذل العرف معروف
بمثله يدفع الخطب الجليل إذا   تصرفت ببنى الدنيا تصاريف
ندب نماه كرام سادة نجب   شم الأنوف بهاليل غطاريف
تحصي النجوم ولاتحصى فضائلهُ   ولا يحيط بها وصف وتكييف

ومن أخرى

لمن أمدح بالشعر   لمن أقصد لا أدرى
إلى من إن دجا خطب   ونابت نوب الدهر
فقد والشفع والوتر   ومن أقسم بالفجر
تحيرت فما أدري الـ   ـذى أصنع في أمرى
عيلى أنى بالدهـ   ـر وبالايام ذو خبر
ولكني للحيرة   سكران بلا سكر
كأني لست مخلوقا   لغير الجهد والضر

ومذ كنت فمدفوع إلى الفـاقة والفقر
فما أصنع في مصر إذا لم أحظ في مصرى
وفى الآفاق أقوام يميلون إلى شعرى
ونبئت بأن القو م لايخلون من ذكرى
ففيم التَّركُ للسير وهل فى ذاك من عذر
وقد قدَّمتُ أثقالى وسـيرى غرة الشهر
فأما أكثر الحمق فقد سيرت في البحر
وباقيـه معى يذهـ ب في البرِّ على ظهرى
ولا أترك فى مصر لذكر الحمق من أثر
فمن بعـدى ليطلبـ ه فى النظم وفي النثر
ومن يلعب فى الرأس من العصر إلى العصر
ومَن مِن شدة الصفع لهُ رأس بلا شعر
ومن هامتـهُ أقوى على الصفع من الصخر
ومن يضرط فى الذقن بلا كيل ولا حزر(١)
ومن ينتف بالدبق سبالات بني البظر
ولكنى لا كنت لما فيَّ من الكبر
إذا أمرانىَ الصفـع تجشـأت من الدبر
وهيهات ترى صفعاً لغيرى أبـداً يجرى
ومنها : ألا يا منتهى الجود ويا ذا المجـد والفخر
ويا ابن السـادة الغرِّ ويا ابن الأنجم الزهر
ويا أبهى من الشمس ضيـاء ومن البدر

١ فى ط ولا جزر

لماذا أنت لا تعدى | على الأيام والدهر
همـام طاهر الذيل | سليل السـادة الغر
كريم الأصل والخيم | رحيب الباع والصدر
جواد غير مدفوع | عن الإفضـال والبر
ومـازال إلى كلٍّ | لهُ عارفـة تسرى
لقـد عمت أياديه | جميعَ البـدو والحضر

ومن أخرى

عجب مامثلهُ عجب | فعلوا بى غيرَ مايجب
قرقرت بطنى فواحزنى | ذقنٌ من بالسلاح يختضب
هرباً من شرّها هربا | فعسى أن ينفع الهرب
ذهب الناس فما أحد | يشتهى أن تنفخ القرب
حزنى أن مضى زمن | ما لعبنـاهُ ولا لعبوا
ولـكم بتنـا على طرب | ورؤوس القوم تستاب[(1)]
وكؤوس الصفع دائرة | ملؤها اللذات والطرب
وانتخبناهـا وهامهـمُ | وأكفّ القوم تصطخب
وكأن الصفـع بينهمُ | شعـل النيران تلتهب
والعمى منهم وإن شغلوا | عنهُ باللذات مقـترب
سوف يدرون أيما وجل | ضيعوا منى إذا طربوا
بسيوف شر كهـا[(2)] أدمُ | مرهفات للعمى سبب
وعجيب والحسـين لهُ | راحة بالجود تنسكب
أنّ شربى عنده رنق | ولديهِ مربعى جـدب

١ فى ط حزنى أنى مذ زمن ٢ كـذا ولعلها حوكها

ولهُ الورد المعـاذ بهِ والجناب المرع الخصب
وهو الغيث الملثُّ إذا أعوزتنا درَّها السحب
وإلى الرّسيّ ملجـأنا من صروف الدهر والهرب
سيد شادت علاهُ لهُ في العلا آباؤه النجب
ولهُ بيت تمـدُّ لهُ فوق مجرى الأنجم الطنب[1]
حسبهُ بالمصطفى شرفاً وعليّ حـين ينتسب
رتبة فى العز شامخة قصرت عن نيلها الرتب
ذاك فخر ليس تنكره لـكم عجم ولا عرب
ولأنـتم من بفضلهم جاءت الأخبار والـكتب
واليكم كلُّ منقبة في الورى تعزى وتنتسب
وبكم فى كل معركة تفخرُ الهندية القضب
وبكم فى كلّ عارفة ترفع الاستار والحجب
وإذا سمر القنا اشتجرت فبكم تستكشف الكرب

وقوله من قصيدة أولها

باح وجداً بهواهُ حين لم يعط مُناه
مغرم أغرى بهِ السقـــم فما يرجى شفاه
كاد يخفيه نحول الـ جسم حتى لا تراه
لو ضناً يخفى عن الـ عين لأخفاه ضناه

ومنها

حبذا الرَّسيُّ مولى رضىَ الناسُ وَلاه[2]
جعل اللهُ أعاديـ ـه من السوء فداه
فلقد أيقن بالثر وة من حلَّ ذراه

١ الطنب نائب فاعل لتمد ٢ يريد رضى الناس ولايته

من رقي حتى تناهى ۞ في المعالي مرتقاه
فات أن يبلغ في الـ ۞ ـسؤدد والمجد مداه
ملك مذ كان بالـ ۞ ـسطوة ممنوع حماه
بحر جود ليس يُدرى ۞ أين منهُ منتهاه
لم يضع من كان إبـ ۞ ـراهيم في الناس رجاه
لا ولا يفرَق من ۞ صرف زمان إن عراه
من به استكفى أذى الـ ۞ أيام والدهر كفاه
كيف لا أمدح من لم ۞ يخلُ خلق من نداه

وقوله من أخرى يقول فيها

لو برجلى ما برأسى ۞ لم أبت إلاَّ بنجد
خفة ليست لغيرى ۞ لا أرانى الله فقدى
ومحال أن يرُى مثـ ۞ ـلىَ أو يبصر بعدى
رجل لا يضرط الـ ۞ ـضرطة إلاَّ بعد جهد
فلذا الأمر تراه ۞ يأكل التمر بزبد
غير أنى قيل عنى ۞ إننى مغرًى بدعد
وبليلى وبسلمى ۞ وبسعدى وبهند
ثم لا أملك شيئاً ۞ غير سنور وخلد(١)
وحماقات . وعمرى ۞ آن لى رأسا مرندى(٢)
أصبر الأرؤُس في ۞ صفع بلا حزر وعدّ

ومنها

خلقت كفاه من ۞ جود لراجيه ورِفد
مورد يورد را ۞ جيه إلى أعذب ورد

---

١ السنور القط والخلد دابة عمياء ٢ عمرى يريد جلد عميرة

لاخلا من منة منه إلى الأحرار يسدى
فهو القائم بالحق وموف كل عهد

ومن أخرى

قلبي لك الخير بالأفراح معمور   مستبشر جذل بالفتح مسرور

يقول فيها

خذ فى هناتك مما قد عرفت به   مما به أنت معروف ومشهور
واحك العصافير صى صي صي صصى صصصى
إذا تجاوبن في الصبح العصافير
فيَّ ما شئت من حمق ومن هوس   قليله لكثير الحمق إكسير
كم رام إدراكه قوم فأعجزهم   وكيف يدرك مافيه قناطير
لأشكرنَّ حماقاتي لأن بها   لواء حمقي فى الآفاق منشور (١)
ولست أبغي بها خلاً ولا بدلا   هيهات غيرى بترك الحمق معذور
لا عيب فيَّ سوى أنى إذا طربوا   وقد حضرت يرى فى الرأس تفجير
والأخدعان فما زالا يرى بهما   لكثرة المزح توريم وتحمير
وذا الفعال مع الإعراض مطرد   صفع ونقع وتيسير وتعسير
فذا وذاك وهذا ثم ذاك وذا   كذا الليالي لها صفو وتكدير
أستغفر الله مما قلته عبثاً   لغير شيء وما في الصحف مسطور
أقول للنفس لما استشعرت جزعا   وبات يردعها خوف وتحذير
ان الامام نزاراً مدحه فثقى   ذخر لمثلك عند الله مذخور
هو الذي ليس بعد الله من أحد   سواه فى الناس محمود ومشكور
مشمر في المعالى ذيلَ مجتهد   وماله في سوى العلياء تشمير

---

(١) فى ط لاتنكرن

ومن أخرى

أترضي بالتخلف والتوانى ... على ضرب اللجاجة والحران
وماأنا والأحاديث اللواتى ... تزهد في الثالث والمثانى
ألاطربت إلى النشوات نفسي ... وتقت إلى معتقة الدنان
كما طربت أباريق الندامى ... إلى أصوات قهقهة القنان
ويومك إذ تطوف به فتاة ... على الخدين منها وردتان
مهفهفة القوام إذا تثنت ... تثنت كالقضيب الخيزران
ولم أر قبلها شمساً تبدت ... ولا قمراً بأعلى غصن بان
لحاهُ الله من شيخ ضروط ... ضجيجٌ ضراطهِ بالنهروان
ولكن رأسهُ جَلد جليد ... صبور عند مختلف الطعان
ولم أرَ قبلهُ رأساً سواهُ ... غدا وقفاً على حرب عوان
ولا سيما إذا الأيدى توالت ... عليهِ والتقت حِلَق البطان.(١)
ومنها إلى من راحتاهُ ندى وجود ... علينا بالمواهب ثرّتان(٢)
كريم لا يدافَع عن سماح ... جواد مالهُ فى الجود ثانى
تناهت عنده الآمال لما ... غدا أقصى النهاية فى الأمانى

ومن أخرى

كلُّ يومٍ أنا من ... إيريَ فى أمر عجاب
ليس يخليني من ... همٍّ وحزن واكتئاب
لم يدع لى ذهبا ... إلا رماهُ بالذهاب
وابتدا المشئوم أن يع ... مل فى أمر اليباب
هل مجير لىَ منهُ ... أهلَ ودّى وصحابى

١ حلق البطان حلقتان يربط بهما القتب يكنى بالتقائهما عن الحرب ٢ الثرة الغزيرة المتدفقة

أو وإلاَّ تبت والر حمن من لعب الكعاب
أنا مبلى من بلايا هُ بنصب وعذاب
أنا لولاهُ لألفيـ تُ قليل الاضطراب
وتجـزَّيت بـنزر من طعـام وشراب
ولما طال انتزاحى عن بلادي واغترابى
لعنة الله عليـه وبراغيث الكلاب
فلكم أوقفنى مو قف خزى واكتئاب
ولكم أغلقت بابا من هواهُ دون باب
ربِّ قد أبليتنى منهُ بعتوه مصاب
عينهُ فى كل من د ب على وجه التراب
ثم لا يرضيه منهُ غير دبر مستطاب

ومنها : وبإحسان تميم عُذْتُ من عظم مصابى
بالأمير السيد الما جد والقرم اللباب
والهمام المنعم المفـ ضل والبحر العباب
والذى لافرق ما بين جداه والسحاب
تنثنى منهُ إلى ذى كرم رحب الجناب
رافع دون بنى الآ مال استار الحجاب
لم أزره قط إلاّ بت محمود الاياب
(ذكره أعذب فى الا نفس من ذكر الشباب)
ولقد رق عن الما ء وعن طبع الشراب
ـ أكثمٌ فى الرأى والفضـ ل وقسٌّ في الخطاب

وقوله : كتب الحصير إلى السرير أن الفصيل ابن البعير

فلمثلها طرب الامير ر إلى طباهجة بقير[1]
فلأمنعن حمارتى سنتين من علف الشعير
لاهم الا أن تطير ر من الهزال مع الطيور
فلأخبرنك قصتى فلقد وقعت على الخبير
إن الذين تصافعوا بالقرع في زمن الفشور[2]
أسفوا علىّ لأنهم حضروا ولم أك فى الحضور
لو كنت ثمّ لقيل هل من آخذ بيد الضرير
ولقد دخلت على الصديـ ق البيت فى اليوم المطير
متشمرا متبخترا للصفع بالدلو الكبير
فأدرت حين تبادروا دلوى فكان عمى المدير
ياللرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور
لا تغفلوه فإنه يستل أحقادَ الصدور
هو فى المجالس كالبخو ر فلا تملوا من بخور
ولأذكرنّ إذا ذكر ت أحبتى وقتَ السحور
ولأحزنن لأنهم لما دنا نضج القدور
رحلوا وقد خبزوا الفطيـ ر ففاتهم أكل الفطير
لا والذى نطقَ النبيُّ بفضله يومَ الغدير
ما للإمام أبى علىٍّ في البرية من نظير

وله من أخرى أولها

سلام على الربع ربع الجدا سلام على تمره واللبا
سلام عليه سلامَ امرىءٍ معنًّى بتذكار ماقد مضى

---

١ الطباهجة اللحم المشرح ٢ فى ط القشور

سلام عليه فكم موقف   وقفناهُ فيهِ نذير الدِّلا
لعهدىَ فيهِ شيوخ لنا   غِلاظُ الرِّقاب عراض اللحى
إذا ماقبضت على لحية   وناديت بطى أجاب الخرا
وكنا من الظرف لو أننا   أقمنا نصافع شهراً وِلا(١)
نعيب الوفاء ولهفى على   أخادع من لايعيب الوفا
ولا عذر إلا أدير اللطا   م إذا الصفع دار وكلي قفا
وقد كنت تبت ولكننى   إذا الصفع دار أتانى الجُشا
فلا تترك الصفع جهلا به   فما أطيبَ الصفع لولا العمى
ومالى أكاتمكم قصتى   وأضرب بالطبل تحت الكسا
إذا كان في الصيف لى جبة   لأيَّة حال أذمُّ الفرا
ولم أكسب الحمق لكننى   خلقت رقيعاً كما قد ترى
لقد فقت فيهِ كما الفارسِ   ىّ في الرمي فاقَ جميعَ الورى
كأن البنادِقَ طوعٌ لهُ   فهنَّ يصبن لهُ ماالشتهى
إذا مارمى طائراً حطهُ   ولو أنهُ بمكان السها
فيالك من موقف مبهج   عجيب ومن منظر مشتهى
فعيد الطيور بهِ مأتم   وأضيافهُ عنده فى القرا

ومن أخرى

عاذلَ كم فيهِ تعذلينى   وكم إلى كم تؤنبينى(٢)
لو يَكُ مابى من التصابى   لكنتِ لاشك تعذرينى(٣)
إن الذى قد أذاب جسمى   بالثغر والجيد والجفون
بدرٌ تمام على قضيب   ركب بين نعمة ولين

---

١ يريد على التوالى ٢ عاذل منادى عاذلة مرخم ٣ لويك يريد لو يكن وخبرها محذوف تقديره بكِ

ماشئت من نرجس جنيٍّ غضٍّ وورد وياسمين

عيناه تسطو على فؤادى والموت في سطوة العيون

ومنها

فأطيبُ العيش كان عندى أيامَ للفسق قلدونى

وكنت طِباً به بصيراً وأقودَ الناس فى سكون

فكم غزال أخذت قسراً وكم مليح حوت يمينى

والناس يسعونَ نحو دارى من كل أرض ويقصدونى

فذا يُوافي بثوب خزٍّ وذا يوافى بثوب تونى (١)

وذا يغدّى وذاك يهدى وذاك يمضي وذا يجينى

وكل عِلق إلى مراحى أهدى من الطير للوكون (٢)

وكان خلقى لهم رضياً أصفعهم ثم يصفعونى

قد أجمع الناس أن حمقى أحسن من عفتى ودينى

قد عشتُ دهراً أعول عقلى والناس إذا ذاك يبعدونى

فمذ تحامقت قد كسانى حمقى وقد عالنى جنونى

ومن بلائى ابو عمير معرّض لى إلى المنون (٣)

منتصب ماينام وقتا وليس يهدى من الزنين (٤)

من كان ذا زوجة فانى لشقوتى زوجتى يمينى

عميرة قد جلدت حتى خشيت والله يجلدونى

فراقبوا اللهَ فى أموري فطلقوها وزوجونى

ومن أخرى

ياأهل ذا المنزل هل حيلةٌ تنجى فمن ظبيكم معطبي

---

١ ذكر صاحب القاموس أن التون خرقة يلعب عليها بالكجة والكجة لعبة تدار بخرقة كانها كرة ٢ جمع وكن وهو عش الطائر ٣ أبو عمير كنية القضيب . ٣ فى ط الرنين والزنين شبه المخاط

عقربَ صدغيهِ فقلبي إذا   همَّ توقَّى لدغةَ العقرب
وكلما لاحظني طرفهُ   لاحظني عن مقلة الرَّبرب
يبسم إن ناولني ثغره   عن ذي غروبٍ واضح أشنب
أنجبت في الحمق وهل فاضل   كناقص في الحمق لم ينجب
لو علموا مالىَ من لذة   لم أُلْحَ في الحمق ولم أعتب
أعتبني الدهرُ ولولا الذي   عمَّ الورى بالبذل لم يعتب
لما رأى الآمال مصروفة   إلى السديد ابن أبي الطيب
فارقني من شره صاحب   كان لعمري شرَّ مستصحب
هنالك لو تبصرني تائها   على بني الدهر تعلقت بي
تطلب مني نائلا بعد أن   كنتُ أرى الرزق مع الكوكب
كذاك من صاحبَ من لم يزل   ربَّ جناب ممرع مخصب
أكرمُ من جاد فما بعده   لطالبي جدواهُ من مطلب
أول من يثنى به خنصر   وأصفح النفس عن المذنب
مهذَّب الآراء محمودُها   مفضل في الشرق والمغرب
لا فرق عندي بين أقلامه   وبين فعل الصارم المقتضب
ما استلَّها إلاَّ أذلت لهُ   من الأعادي كلَّ مستصعب

ومن أخرى

إني ليرتاح قلبي   إلى اصطحاب المثاني
بحيث تنفي همومي   معتقات الدِّنان
مع شادن ذي دلال   مهفهف فتَّان
يرنو إليَّ بطرف   وناظر وسنان
أعار حسنَ التثني   تثنِّيَ الأغصان

إذا تبسم تيهاً يفترّ عن أقحوان
لأسخطنّ عذولى فيه بخلع العنان
فقم رفيقىَ فاحثث كؤُسنا غير وانى
وهاتها كسنا الـ برق لاح من نـُعمان
صفراء مما اقتناها كسرى أنو شروان
صفت ورقت ففاتت إدراكها بالعيان
فليس تدرك با! حسّ لا ولا الاذهان
روح من الراح لكنـ ـها بلا جثمان
فالريح للمسك منها واللوّن للزعفران

يقول فى مدحها

من قال من غير خبر بأنّ في الناس ثانى
لسؤدد ابنْ علىٍّ قد جاءَ بالبهتان
يـداها بالعطـايـا وبالنـدى ثرّتان

ومن أخرى

ربّ يوم قد قطعنا ه حـديثا وعتـابا
وجمعنا بين خمرِ ن مداما ورضابا
وشفينا غلة الـ نفس دنوًّا واقترابا
وترشفت عـلى شو ق ثناياهُ العـذابا
وسألنـا ذلك الـ شيء جهارا فاجابا

يقول فى مدحها

ورحلنا نطلب الـ سيد والقرم اللبابا
فرأينا العز والثر وة والبحر العبابا

ورأينا أفضلَ النا س وأحلاهم خطابا
يقظاً يدرك بالـ فطنة مافات وغابا
هذّبته فطنة الـ علم فما يخشى معابا
عرَف اللذة للـ بذل فأعطى وأثابا
وإذا ما كرُمَ الا صل زكا الفرع وطابا

ومن أخرى يقول فيها

كأنما عذاره سطرا سوادٍ في يقق[1]
كأنّما رضابهُ خمر بمسك قد فتق

ومنها

إن نِكتهُ فاستمعنْ نصحك من خل شفق
كن حذراً كن حذراً كن حذراً من الغرَق
لأنّهُ من سعة يصلح للبحر طبق
ان قلت إني حسن والحسن مني مسترق
قلنا مقالا بينا لا كذبا ولا خرق
كل امرىء صوّرهُ خالقهُ كما اتفق
كن غصنا كن قمراً كن شمس دجن في الافق
كن يوسف الحسن الذى من طينة الحسن خلق
هل أنت إلاّ خلق زدت على كل خلق
يا أيها العلق الذى فقحته بلا غَلق
خانك فى الودّ الذى بودّه كنت تثق

ومن أخرى

خليليَّ من عامر أسعِدا على الشوق خلا بلا مسعد

---

١ اليقق الابيض الشديد البياض

قفا وقفة بربوع الحمى فلولا الوفا لِهَوى الخرّد
لما عجت بالركب مستنجدا دموعى على الطلل الملبد
معاهد لهوٍ كأن الهوى بها بعد زينب لم يعهد
فسبحان من جعل المكرما ت جميعا بكف أبى أحمد
وقال لهُ كن كما تشتهى فكان النهاية فى السؤدد
وهل غيره أحد يرتجى ويعدى على الزمن المعتدى

ومن أخرى

عدِّ عن قال وقيل وصعود ونزول
حصحص الحق فما شئت من قول فقول
غير أنى أقبلُ النا س لشيء مستحيل
فاسمعن منى ودعنى من كثير وقليل
وصغير وكبير ودقيق وجليل
قد ربحنا بالحما قات على أهل العقول
فرعى الله ويبقى كل ذى عقل قليل
مالهُ في الحمق والخف ة مثلى من عديل
فمتى أُذكر قالوا شيخنا طبل الطبول
شيخنا شيخ ولكن ليس بالشيخ النبيل
طالما نادى نداما هُ إلى شرب الشمول
قائلا بالشادن الأغ يدذى الطرف الكحيل
أطربُ الناس اذا غنى على ثانى الثقيل
قف على المنزل بالنح بتين فالرسم المحيل
وقفة الواله للتسـ ـآل مابين الطلول

أهملن دمعك فالرا حة في الدمع الهمول
عدّ عما أنت فيـ ـه من محال وفضول
واصرف المدح إلى ذي الـ ـطول والفعل الجميل
الذي ذكراه في كل محلّ وقبيل
ذي يد بالجود أندى من ندى الغيث الهطول
لم يكن قطّ لراجيـ ـه سوى سمح منيل
أسمح الأمة بالما ل وبالنيل الجزيل
وإذا ما سيل أل في بالندى غير بخيل[1]
لم يزل يذخر للحا دث والخطب الجليل
ناهض إذ عجز الأ قوام بالعبء الثقيل
ليس يصغى في المقا لات إلى عذل العذول
وإذا ما قال قولا لم يكن غير فعول
ولقد عزّت به الآ داب من بعد الخمول

ومن أخرى في الرثاء

لعمرك إنه رزء عظيم وخطب أمره جلل جسيم
رزئنا من صلاة الله تترى عليه ما دجا ليل بهيم
وما أطّت إلى البيت المطايا وما طلعت على الأرض النجوم[2]
لعمرك ما المصاب به خصوص ولكنّ المصاب به عموم
سقى جدثاً به حمّاد أضحى من الوسميّ هطال سجوم
ففيه المجد أمسى والمعالي وفيه العزّ والفخر القديم

---

١ يريد وإذا ما سئل ٢ أطت الابل انت حنينا وتعبا

أبعد وفاته يدعى همام لخطب أو يقال بقى كريم ؟
كأنا يوم منعاه إلينا وقد فتكت بأنفسنا الهموم
ثوا كلٌ حزنهن على الليالى وإن قدم المدى حزن مقيم
وكان ربيعنا في كلّ محْل إذا ضنّت بوابلها الغيوم
جميلُ الفعل محمودُ السجايا يزين فعالهُ كرمٌ وخِيم(1)

ومن أخرى

هل من سبيل إلى بيتى وجاريتى أنّى وكيف وما دارى بدانية ؟ !
أم هل سبيل إلى البيت الذى سكنت فيه التى بفراقي غيرُ راضية
لا أحمدُ البعدَ عنها بعد معرفتى بأنها لبعادي غيرُ حامدة.
أشكو إلى الله دهراً غير مئتد من قبح مالجّ فيه من معاندتى.
ما زدت فيه اجتهاداً من معاتبة الاّ وزاد اجتهاداً في مغايظتى.
أقول والدهر لا يألو مراغمة وليس يثنيه شيء عن مراغمتى.
يا واحداً ليس إلا من يؤمله ويرتجى عفوه جد لى بواحدة.
وامنن علىّ على أنى وان نزحت عني فما هي عن قلبي بنازحة
ناشدتك اللهَ فيما قد أشرت به إلا قبلتَ ولا تهمل مناشدتى.
واستعمل السخف واترك ماسواه فما لذاذةُ العيش إلا في المساخفة.
والصفعَ إياك منهُ فالعمى أبداً بغير شك منوط بالمصافعة.

ومنها :

لكن مدحت حميداً فامتدحت فتى وقفاً على منة تسدى وعارفة.
رأيته فرأيتُ البدرَ فى أفق والشمسَ طالعة من كل شارقة.
والبحرَ معترضاً والغيثَ منبجسا برائح لمرجّيه وغادية.

---

(1) الخيم السجية والطبيعة

ساس الأمور بآراء مهذبة صوادر بين أفكار وبادرة(١)
مستحسن اللفظ في القرطاس موجزه موفق الرأى محمود المخاطبة
ذو أنمل ما انتضت في حادث قلماً الا وفلّ شباه كلّ حادثة
فى كل يوم له نعمى مجدّدة ليست إذا طلعت عنا بآفلة
مازال يتبع معروفاً بعارفة جوداً ويجهد نفسي فى معاونتى
حتى رأيتُ صروف الدهر عائذة من بعد ضربى وحربى بالمسالمة

ومن أخرى

نشدتكَ أن تحولَ عن الودادِ وعن حال الصلاح إلى الفسادِ
ولو عاينتَ مالكَ فى ضميرى ولو شاهدتَ مالك في فؤادى
اذاً لعلمت أنكَ منهُ تمسى وتصبح دون غيرك في السواد
فما آلوك نصحاً فى وداد ولا آلوك جهداً في اجتهاد
وليسَ سوى المودّة والتصافى أبا عبد الإله لك اعتقادى
ولو في ذاك حاولتُ ازدياداً اذاً مااستطعتُ فيه على ازدياد
ولم أعهدكَ فى طلب المعالى وكسب الحمد غيرَ فتى جواد
ومن ألِفَ المكارمَ والعطايا كألفكَ جاد عن غيرِ اعتداد
ويوشك أن يجود بما حواهُ وأن يهب الطريفَ مع التلاد
ووعدك في الحياة لهُ مرادى ولستُ أريده يومَ التنادى

ومنها: فكم منن قرنتُ بهنّ شكراً كشكر الروض منهلّ الغوادى
وكم لك يامحمدُ من أيادٍ لديّ ومن جميل وافتقاد

ومن أخرى

ليلى بتنّيسَ ليلُ الخائف العانى تفنى الليالى وليلى ليسَ بالفانى(٢)

---

١ الفكر اعمال النظر فى الشىء والبادرة البديهة ٢ جزيرة فى البحر الابيض المتوسط بالقرب من دمياط

أقول إذ لجّ ليلي في تطاوله ... ياليلُ أنتَ وطولُ الدّهرسيان
لم يكف أنيَ في تنيسَ مطَّرح ... مخيم بين أشجان وأحزان
حتى بليتُ بفقدان المنام فما ... للنوم اذ بعدوا عهدٌ بأجفانى
ماصاعد البرق من تلقاءِ أرضهم ... إلا تذكرت أيامي بنعمان
ولا حننت الى نجرانَ من طرب ... الا تكنفنى شوقٌ لنجران
لاتكذبن فما مصر وان بعدت ... الا مواطن أطرابى وأشجانى(1)
لياليَ النيل لاأنساكِ ماهتفت ... وُرْقُ الحمام على دَوْح وأغصان
أصبو الى هفوات فيك لي سلفت ... قطعتهنَّ وعينُ الدهر ترعانى
مع سادة نجب غرّ غطارفة ... في ذِروة المجد من ذهل بن شيبان
وذى دلال إذا ماشئتُ أنشدنى ... وإن أردتُ غناءً منهُ غنانى
سقيتهُ وسقانى فضلَ ريقته ... وجادَ لى طرفه عفواً ومنانى
مازلتُ أجنى بلحظى وردَ وجنته ... وأستغير على تفاح لبنان
مازال يأخذها صفراء صافية ... حتى توسد يسراهُ وخلاّنى
الله يعلم مابى من صبابته ... وما علىّ جناهُ طرفهُ الجانى
كم بالجزيرة من يوم نعمت به ... على تصاخب نايات وعيدان
سقياً لليلتنا بالدّيْر بين ربا ... باتت تجود عليها سحبُ نيسان
والطلُّ منحدر والروض مبتسم ... عن أصفر فاقع أو أحمر قانى
والنرجس الغضّ منهل مدامعهُ ... كأنّ أجفانهُ اجفانُ وسنان

ومنها

أستغفرُ الله من عقل نطقتُ به ... مالى وللعقل ليس العقل من شانى
لا والذى دونَ هذا الخلق صيرنى ... أحدوثة وبحبّ الحمق أغرانى؟!

(1) الاطراب جمع طرب وهو مايدرك الانسان من الخفة والاهتزاز

ماللشذائي من مثل يقاس به — ولا له في اصطناع العرف من ثاني
مهذب الرأي محمود خلائقه — رحب المكارم سمح غير منان
من كان في الجود والإفضال لذته — لم يخله الجود من فضل وإحسان
وجملة الأمر فيه أنه رجل — يراقب الله في سر وإعلان
إن كنت قلت سوى مافيه أعرفه — إذاً كفرت بمعبودى ودياني
اذا جرت يده في الطرس كاتبة — تبلج الطرس عن در وعقيان
وإن تكلم جاءته براعته — بكل ماشاء من فهم وتبيان

أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانه بن محمد المعروف بالواساني.

أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وباقعته ، وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء وكان فى زمانه ، كابن الرومى فى أوانه . فمن شعره قوله يهجو ابن أبي أسامة :

ياساكنى حلب العوا — صم جادها صوب الغمامه
أنا في مدينتكم غريـ — ـب لست من أهل الاقامه
والخان يحدث للغريـ — ـب إذا أبن به سآمه[1]
ففرضت من طول المقا — م بها وأعوزت المدامه[2]
وخرجت في بعض الليا — لي قاصدا باب السلامه
وشربت من بئر بها — من يأتها ينقع أوامه[3]
ورتعت فى فلواته — وعلوت مرتقياً أكامه
فلمحت في بعض الوها — د وقد قعدت سواد هامه
فسعيت أحسبها غرا — باً أو حداة أو حمامه

١ ابن المال اقامة ٢ فرض أتى فرضة النهر ٣ الاوام العطش

وإذا بأسود كالسفني ق يقل ايراً كالدعامه
وإذا بشيخ تحتهُ حسن الوَسامة والقَسامة
والشيخ يعصر تحتهُ قد بلَّ من عرق حزامه
فزجرت نايكه فقا ل لهُ ألستَ ترى مقامه .
اِنهض فديتك علّنا نقضى بنهضتنا ذِمامه
ونعودُ بعد عزوبه عنا وتربحنا خصامه
فسطا عليه وقال نِكْ لا كان ذاك ولاكرامه
هـذا الرقيع بعينه لى في رقاعته علامه
لولا فضولٌ فيه لم يصرف إلى دبرى اهتمامه
وبكى وقال لِيَ امض وي حك واسأل الله السلامه
واشكره لما صارُ سرْ مُك لا يريد لهُ صمامه
واعلم بأنى كنتُ من أهل الرياسة والزعامه
يُومى إلىَّ إذا عبر ت يقال ذا ابنُ أبى أسامه[1]
حتى ابتليتُ ببعرى فحصلت بين الناس شامه
فعجبت من تلك الفصا حة وهو يفتح والعرامه
شيخ لهُ سِمة تخا طبنى بألفاظ مقامه
والأير يغرق في استه قد غاب في مفساهُ قامه
فتضاحك الحبشيُّ منـ هُ وقال لا تسمع كلامه
هـذا وعيشك دأبهُ من قبل مبلغه احتلامه
أبدا يبارِى باسته بين الورى صوبَ الغمامه
واستله من دبره وكأنه عنق النعامه

---

١ فى ط يوماء إلى

وقال يهجو منشا بن ابراهيم القزاز

قال منشا يوما لسعدانه　　وهي سَحور العينين فتانه
من بعد أن غلف العوارض بالـ　　طيب وغلاًّ بالمسك أسنانه
وامتصَّ من خمرةٍ معتقةٍ　　تحول بين الدّنان فى الحانهْ
وكان خشفٌ قد باسها بفم　　وهى من البوس بعدُ شبعانه
هل لكِ فى قبلةٍ وهاكِ خذي　　خمسين حمراً وحلَّ هميانه
قالت له هاتها ودونك فاسـ　　طعنى بجعص وعجل الآنه
فباسها ثم قال قد بقيت　　أخري فقالت وعظمت شانه
ماهى قل لى ألم أبُسْ شَرَجا　　جشت أعفاجه ومصرانه
ألم أقدم فَماً أضنٌّ بهِ　　إلى كنيف أطرت ذبانه؟
فقال أن تدخلى لسانك فى　　فيَّ فردَّت مرَدَّ حردانه
ياألف كشخان وابن زانية　　نعم و يازوج ألف كشخانة
لم ترض انى قبلت مقعدة　　تحت سبال كأنها عانه
حتى تناهيت فى الهوان فشبهـ　　ـت لسانى بنت وردانه

وقولـــه فيه

إن منشا قد زاد في التيه　　وزادِ في شامنـا تعديه
فلاابن هندولاابن ذى يزن　　ولا ابن ماء السمايدانيـــه
وهومغيظ على الوصى ومن　　يعزى اليه ومن يواليه
يذكر أيام خيبر بهم　　وهم قذي جال في أماقيه
وقدحكى ان فاه أطيب من　　سُرمي وأنى بمن يعاديه
ومن يتول القبيح فيهِ ومن　　أصبح بالمعضلات يرميهِ
فسوّكوهُ بكل طيبة الر　　يح تعفى على مساويه

ومضمضوه بالخل واجتهدو معا بكل اجتهادكم فيــهِ
وأطعموه من الجوارش مايعـ ـمل بالمسك والأفاويهِ
واسقوه من خمرة معتقة قد صانها القسُّ في خوابيهِ
واستفقحوني واستنكهوه فإن كان لسرمي فضلٌ على فيهِ
فحملوا الكلب والحمار على عيالهِ واصفعوا محبيــهِ

وقوله فيه

ياراكبا يقطع عرضَ الفلا على أمون جسرة حرف
أبلغ أبا سهـل إذا جئتــهُ رســالة عن عبـده المنفي
وقل لهُ عِرنين ذاك الفتى في حالة جلت عن الوصف
قد ذاب مذ ليلة سارتهُ وصار للسقم عـلى النصف
يبكي فمـا ترقى لهُ عـبرة ويسهر الليل فما يغفي
حزناً على أرنبة غودرت تقطر قطراً من دم صرف
فهو بسرم الكلب ياسيدى من داءِ أنفاسك يستشفي
من عاذرى من رجل زرتهُ للحين والادبار والحرف
فقال عندى لك أحدوثة مليحةٌ تكتب في الصحف
فادن لكى تسمعها واحتفظ بالسر فى مكنون ماتخفي
فقمت للغفلة مستعجلا أمشى برجلىَّ إلى حتفي
ففاه عن أنتن من جعسهِ يعد بين البخر بالالف
وشارب فيه دم فارث ولثة تشخب كالخلف
تحوم ذبان الخلا حولهُ مثل حمام طار من كف
كشعرزق الدبس أو شعرة الـ ـحائض أو مكنسة الكنف
وشكَّ خيشومي بنشابة من يد حر طامش وجف

بصمى العرانين ولو أنها ... في الدلص الموضونة الزغف (١)
وتدرك الهارب منها ولا ... ينجو ولو كان على طِرف
فانغمرت روحى وناديته ... ياأيها الثعبان بالكهف
بحق من كلم موسى على الطو ... رفدُكَّ الطورُ بالرجف
هب لىَ ما أبقيت منى فقد ... أشفي على مثل شفا الجرف
ولم أزل أدفعهُ جاهداً ... وقد تقاعست الى خلف
فانقدّ بعض الثوب في كفه ... وقال أفلت فيالهفي
وكان للحين على موضع ... مستشرف مرتفع السقف
فانكسرت ساقى وهيضت يدى ... وأندقّ صدرى ووهى كتفى
وقمت أجرى بعدها هاربا ... أسعى على رجلىَ كالخشف
يامعشر الناس اسمعوا ما أنا ... قائله واستمعوا وصفي
إذا أردتم سرم أستاذنا ... فلتكن الآناف فى غُلف
ثم اغسلوا اشعر اللحى بعدها ... غسل الدّرانيك أو القطف (٢)
وبخروها بعد تطييبها ... بكلّ شيء طيب العرف
وما أرى سائر ماقلتهُ ... يغنى ولا أحسبهُ يكفي
أو فانتفوها واستريحوا فما ... ينجيكم شيء سوى النتف
وسوّكوه بخرا أمه ... فى رأس كرناف من الرعف (٣)
فان جالينوس ماعالج ال ... بخرة الا بخرا القلف

---

١ الدلص اللين البراق ٢ فى ط الدرابيك والدرانيك ضرب من الثياب او البسط
٣ الكرناف اصول الكرب تبقى فى الجذع بعد قطع السعف

وقال فى الغزل ويعرض بابن بسطام في الهجاء ، ويذكر انها لميسر

ومهفهف يزهو عليَّ بجيده   وبخصره وبردفه وبساقه
وافى إليّ وقلبهُ متخوف   كتخوف المعشوق من عشاقه
حتى إذا مدّدته وحللت عن   كفل مباح الحلّ بعد وثاقه
(وافت إليّ صنة) من دبره   بخلاف ماقد فاح من أطواقه (١)
فأجبتهُ ماذا فقالَ بحرقة   ودموعه تنهلّ من آماقه
هذا ابن بسطام أتانى طارقا   بلطيف حيلته وحسن نفاقه
وعلا على كفلي وبلغم مثقبي   برياله المنهلّ من أشداقه
فبقى صنان رضابه في مثقبي   زمناً لحاهُ الله بعد فراقه
فالله يحرمهُ معيشتهُ كما   قد سدَّ مكسب مثقبي ببصاقه

وقال يصف ماجري عليه فى الدعوة التى عملها فى قرية حمرايا

من اعمال دمشق

من لعين تجود بالهملان   ولقلب مدلّهٍ حيران؟
ياخليليّ أقصرا عن ملامي   وأرثيا لى من نكبتي وارحمانى
ومتى ماذكرتُ دعوة أولا   دِ البغايا والعاهرات الزوانى
فانتفا لحيتى وجزّا سبالي   وبنعل الكنيف فاستقبلانى
ما الذى ساقنى لحينى إلي حتـ   ـفى وما غالنى وماذا دهانى ؟
مَن عذيرى من دعوة أوهنت عظـ   ـمى وهدت بهولها أركانى
كنت في منظر ومستمتع عنـ   ـها ومن ذا يغترّ بالحدثان

---

١ فى ط أصنة

قرت بطنتى وهاجت على نفـ ‏ ‏ سى بلاءً ما كانَ في خسبانى[1]
كانَ عيشى صافٍ فكدره أهـ ‏ ‏ لُ صفائى بنو أبى صفوان
فارثوا لى يامعاشر الناس من ضـ ‏ ‏ ـرى ومن طول عطلتى وامتحانى
ضُربَ البوق في دمشق ونادوا ‏ ‏ لشقائى في سائر البلدان
النفيرَ النفيرَ بالخيل والرّجـ ‏ ‏ ـل إلى فقر ذا الفتى الواسانى[2]
جمعوا لى الجوع من خيل جيلا ‏ ‏ ن وفرغانة الى ديلمان
ومن الروم والصقالب والترْ ‏ ‏ ك وخلقاً من بلغر واللان
ومن الهند والطماطم والبر ‏ ‏ بر والسكيلجوح والبيلقان
لم يبقّوا ممن عددت من الآ ‏ ‏ فاق من مسلم ولا نصرانى
والبوادى من الحجاز إلى نجـ ‏ ‏ ـد معديها مع القحطانى
كلَّ ضرب فمن طوال ومن حد ‏ ‏ ب قصار والحول والعوران
وشيوخ مثل الفراخ وشبّا ‏ ‏ ن رحابِ الأشداق والمصران
معدٌ جُوّعت ثلاثين يوماً ‏ ‏ بسلاح شاك من الأسنان
من مرند ومن تكين وطرخا ‏ ‏ ن وكسرى وخرد وطعان
وخمار وزيرك وعجيب ‏ ‏ وبديع وفارِس وجوان
وجريح ونار قسطا ويونا ‏ ‏ ن وبرحفتيا ويوحنّان
وطراد وجهيل وزياد ‏ ‏ وشهاب وعامر وسنان
قمس جمّعوا بغير عقول ‏ ‏ ردعتهم عنى ولا أديان
هل سمعتم بمعشر جمعوا الخيـ ‏ ‏ ـل وساروا في الرّجل والفرسان
رحلوا من بيوتهم ليلة المر ‏ ‏ فع من أجل أكلة مجّان
يرْكضون البريدَ تسعة أميا ‏ ‏ ل بنص الوجيف والذملان[3]

---

١ في ط نترت بطنتى وهجت ٢ في ط قفر ٣ الوجيف والذملان ضربان من سير الخيل والابل.

شرّه بارد وحرص على الأكـ   ـل بأنا قوم من المجان
ما شعرنا ونحن من آمن العا   لم إلاّ بصرخة الديدبان
أدركوني فهذه غرر الخيـ   ـل وسمر يعسلن كالأشطان
لست أنسى مصيبتي يوم جاءو   ني وقد غصّ منهم الواديان
وردوا ليلةَ الخميس علينا   في خميس ملءِ الرُّبا والمحاني
متلئبٍّ كالسيل لا يلتقي منـ   ـهُ لفرط انتشاره الطرفان
شزَرونى بأعين تقدح النـ   ـيران خوصٍ إلى العدوّ زواني
أشرفوا لي على زروع وأحطا   ب وبيت من خيره ملآن
لبن قارس وخبز كثير   وقدور تغلي على الدادكان
وشواء من الجداءِ ومعلو   فِ دجاج وفائقِ الحملان
وشراب ألذ من زورة المعـ   ـشوق بعد الصدود والهجران
يخجل الوردَ في الروائح والطعـ   ـم ويحكى شقائق النعمان
أذكرتني جيوشهم يوم جاءو   ني جيوشَ العدوّ في رغبان
يقدم القومَ هاشميٌّ هريت الأ   شدق رحب المعى طويل اللسان
هو نمس الدّجاجِ والبطِ والأو   ز وذئبُ النعاج والخرفان
والشريفان أشرفا في خلال الـ   ـخيل في موكب من الحبشان
وسواد من عظمه طبق الأر   ض وخيل نهرين كالظلمان(١)
وأبو القاسم الكبير على طِر   ف كميت أقبّ كالسرحان(٢)
وأخوه الصغير يعترضُ الخيـ   ـل على قارحٍ عريضِ اللبان
وهما يهويان بالسوط والرجـ   ـل إلى ما يسوءُني مسرعان
أيُّ قلب يطيق شتمَ بني خيـ   ـر البرايا وأكرم النسوان

١ الظلمان جمع ظليم وهو ذكر النعام ٢ الطرف الكريم من الخيل

غير أنى يومَ القيامة أشكو ... هم إلى الحرّةِ الحصان الرّزان
وأنادى يابنتَ خير النبيـ ... ـين ويا أمَّ أكرم الفتيان
أىُّ شىءٍ صنعتُ بابنيك حتى ... غَزَوانى في الزنج والسودان
والسرىّ الذى سرى في جيوش ... أضعفتنى وقصرت من عنانى
بهم أشوهٍ وشدق رحيب ... وبكفٍّ بجزل كالصولجان
وأخوه الفضل الذى بان للعا ... لم من فضل أكله نقصانى
والشمولىُّ خلقهُ خلق ثَرّا ... س عريض الأكتاف عبل الجران
لست أنساهُ جاثياً جاحظ العيـ ... ـن عبوساً في صورة الغضبان
كالعقاب الغرثان يقتنص اللحـ ... ـمَ ويهوى إلى طيور الخوان
والأديب الذى به كنتُ أعتـ ... ـدُّ غزانى للحين فيمن غزانى
وكذا الكاتب الذى كان جارى ... وصديقى ومشتكى أحزانى
غيرتهُ الأيام حتى أتانى ... جائعاً للشقاء مذ سنتان
وصديق الأشراف أخنى على خمـ ... ـرى وأتى بالكرع مافى دنانى
كلما شقق الفراريج شققـ ... ـتُ لغيظى من فعله قمصانى
وهو في أمره مجدٌّ رخى الـ ... ـبال لم يعنه الذى قد عنانى
مجرهد كالسوس في الصوف في الصيـ ... ـف بقلب خال من الإيمان
قلت قل لى يا ابن المبشر ماشأ ... نك من بين من غزانى وشانى ؟
ليس هذا من شهوة الأكل هذا ... من طريق البغضاء والشنآن
قلت للفيلسوف لما غدا في الأ ... كل اعنى فتى أبى عدنان
واستحث الكؤوس صرفاً بلا مز ... ج مكباً كالهائم العطشان
ليت شعرى أمن رسائل بقرا ... ط تعلمت ذا وسمع الكيان (١)

---

١ سمع الكيان اسم كتاب من مؤلفات العجم

أنت تزدادُ ياخليلي بهذا الـ ـفعل علماً بالعالمَ الروحانى
أعجمىُّ اللسان أفصح من قـ ـسٍّ إذا مانشا ومن سحبان
قال قم فأتنا بخبز ولحم ونبيذ فى حمرة الأرجوان
وغلام مقين حسن الوجـ ـه يحا كي بقـدِّه غصن بان
لم توكلّ فرغان إلاَّ بتفريـ ـغ دنانى وصبها في الجفان
إن من أعظم المصائب ياقو م بلائي بذلك الطـرمذان
رجل كالفنيق قدم بلا أ ب طويل فى صورة الشيطان
بقفاً كالعمود يستعذبُ الصفـ ـعَ ورأس أصمَّ كالسندان
زائد الخلق ناقص العقل والديـ ـن غليظ القـذال كالقلتان
يبلع الطيبات بلعاً بلا مضـ ـغ ويحسو النبيـذَ كالثعبان
لا تحنى حتى أراهُ وقد قُصِّـ ـر من فضل طوله شبران
وأتـونى بزامر زمرهُ يحـ ـكى ضراطَ العبيدوالرّعيان
ومغن غناؤهُ يطلق البطـ ـن ويأتى بالقيء والغثيـان
قصدَتْ هذه الطوائفُ حمْـرا يا لهتـكي وذلّتى وامتحانى
قلتُ ماشأنـكم قالوا أغثنا ما طعمنا الطعامَ منذُ ثمان
وأناخوا بنا فيالك من يو م عبوس عصيْـصب أرونانى(١)
نزلوا حجرتى وأطلقت الأفرا سُ بين الرُّطبان والقصـلان(٢)
لم يـكن مربعاً سوى ساعة حـ ـتى رأيتَ الزروع كالفلحان
أفقرونى وغادرونى بلا دا ر ولا ضيعـة ولابستان
حيرونى ودلهّـونى فقـد صر تُ بليداً كالذاهل السكران

---

١ الارونان من الايام الصعب الشديد ٢ فى ط القصلان . والرطبان جمع رطبة وهو نبات تعلف به الدواب شبيه بما يعرف عندنا بالبرسيم والقصلان جمع قصيل وهو ما يقطع من النبات خضرا .

أسمع اللفظَ كالطنين لسهوى	وهو لفظ يجرى لغير معانى
تركونى ياقوم أفقر من فر	خ وأعرى ظهراً من الأفعوان
أكلوا لي من الجرادق ألفَيـ	ـن يبُنّ تشتاقهُ العارضان
أكلوا لى أضعافها غير مسطو	ر ومالوا إلى سميـد القران
أكلوا لى من الجِـداء ثلاثيـ	ـن قريصا بالخل والزعفران
أكلوا ضعفها شواء وضعفيْـ	ـها طبيخا من سائر الالوان
أكلوا لى تبّـالة تبلت عقـ	ـلى بعشر من الدجاج السمان
أكلوا لى مضيرة ضاعفت ضر	ى بروش الجداء والعصبان
أكلوا لى كشكية قرحتْ قلـ	ـبي وهاجت لفقدها أشجانى
أكلوا لى سبعينَ حوتاً من النهـ	ـر طريا من أعظم الحيتـان
أكلوا لى عدلا من المالح المشـ	ـوى ملقى في الخل والأنجدان
أكلوا لى من القريشاء والبرنى	والمعقـــلى والصرفان
ألف عِدل سوى المصقّـر والبر	دى واللؤلؤى والصيحـانى
أكلوا لي من الـكوامخ والجوْ	ز معاً وانِخلاط والأجبـان
ومن البيض والخلل ما تعـ	ـجزُ عن جمعه قُرَى حوران
فتّـتوا لي من السفرجل والتفّـ	ـاح والرازقيّ والرمـــان
والرّياحين مارهنت عليـه	ـجبتى عند أحمد الفاكهاني
درسوا لي من البنفسج والنر	جس ماليسَ مثلهُ في الجنان
ذبحوا لى بالرّغم يامعشر النا	س ثمانين من معيز وضان
ما كفاهم مامرّ من غنم القر	ية حتى أخنوْا على الثيران
ذبحوها والدّمعُ يجرى على خد	ى انسياباً مثل انسياب الجمان
أكلوا كلّ ماحوتهُ يميـنى	وشمالى وما حوى جيرانى

ثم قالوا هلم شيئاً فلما ... بت غلامي قم ويلك فاخبأ خصاني
لم تدع لي بطونكم يا بني البطـ ... ـن سواه وذا شطوب بعاني
فتمالوا على شتماً ولعناً ... واستبا حوا عرضي بكل لسان
من له قدرة على الشعر يهجو ... ني ومن كان مفحما يلحاني
وكأني أنا الذي عشت في الخيـ ... ـر وغيرت صورة الحيوان (1)
ثم جاء المعقبون من البسـا ... سة والشاكري والعبدان
فرأيت النخاع واللطم والدفـ ... ـع وكدم الأنوف والآذان
وتفانوا صفعا وفاح من القو ... م غبار من الفسا والصنان
ثم لما أتوا على كل شيء ... ختموا محنتي بكسر الأواني
ثم قاموا إلى الجلاهق والبا ... شق والمحدقات والزرابطان
فرأيت الحمام بعضا على بعـ ... ـض وبعضا ملقى على الأغصان
ورأيت الدجاج في وسط القر ... ية ملقى مكسر البنيقان
أكلوا ما ذكرت واستعملوا الحي ... لة تلقى ذكرا من الاشنان
ومن المحلب المطيب بالبا ... ن وماء الكافور يسبع براني
ثم جاؤا على عشرين مطرقا من البط ... ح للذيذ المذاق بالجلا قاني
فالتقموه بالسواسية والمكار ... ن إلى أن سمعت صوت الأذان
يتقلون للالا حطلمت من حيث ... هلا فالطير هملا لي غيظتان
خوانها كان في حلها آل أشلق ... لنا لو كانت ظليلة في الأفنان
كالذي فيه فلنها منزلة ... مانا أنتم يحمله الوطن
ونوايا مثل الرود علامها ... طلا بين البهار والاقحوان (٢)
وطيور تعلنها لتشغلني ... بجميع الفاختات والاطيان

1 في ط عشت ٢ البهار نبت طيب الرائحة

هي كهفي ومستظلى من الحـ ـرّ وذخرى لنائبات الزّمان
أحرقوها ياقوم فى ساعة القفـ ـز وضرب الأحطاب بالنيران(١)
كسروا السكرَ فاختلطت فقالوا كيفَ تبقي بغير شاذِرْوَان(٢)
قطعوا اللوزَ والسفرجل أحطا با ومالوا بها على غلمانى
والتواطيرَ مدّدوا وعلوْهم خنقا بالعِصىّ والقضبان
طالبونى بالنيك فى آخر الليـ ـل وجمع النساء والمردان
ثم فأسرع فبعضنا يطلب المرْ دَ وبعضٌ مستهتر بالغوانى
فتوهمته مزاحاً فجدّوا قلتُ هذا ضربٌ من الهذيان
ليس يبقى على أرامل حمرا يا سوى بَذْلهنّ للضيفان
لو سمعتم ياقوم في غسق اللّيـ ـل بكاء النساء والولدان
يتنادون بالعويل وبالوَيْـ ـل وراء الأبواب والجدران
ويقولون ويلنا من أبي القا سم هذا المطرمذ الخرقانى
قصدته الاعداء فاستملكونا فحصلنا أسرى بغير أمان
أو جرونى النبيذ بالرطل حتى صرتُ أمشي كمشية الفرزان
فجعونى لما سكرت بهميا نى وشقوا عصائب الطيلسان
كان في أول النهار على رأ سى فأمسى على رءوس القيان
ثم راحوا بعد الهدو إلى دا رى فلم يتركوا سوى الحيطان
كان لى مفرش وكلّه مليح فوقه مطرح من البيسانى(٣)
وبساط من أحسن البسط مذخو رٌ لعرس أو دعوة أو ختان
غرّقوه بالزيت والبول والقا ر فأضحى وقذره بعرتان
أوقدوا زينتنا جزافاً بلا كيـ ـل يكيلونه ولا ميزان

١ فى ط القفر ٢ السكر ما يحجز به المياه . ٣ الكل الستر الرقيق .

خلتُ داري يا إخوتي المسجدَ الجا　معَ ليلا للنصف من رمضان

سرقوا جبَّتي وسيفي وسكّي　ني وخفّي وجوربيَّ وراني[1]

ثم لما انتهت بهم شدة الكظ　ة خروا صرعى على الأذقان

هوّموا ساعة كتهويمة الخا　ئف في غير أرضه الفزعان

ثم قاموا ليلاً وقد جنح النسـ　ـر ومال السماكُ والفرقدان

يصرخون الصَّبوحَ يا صاحب البيـ　ـت فأبكوا عيني وراعُوا جناني

سحبوني من جوف بيتي على وجـ　ـهي كأني أدعى إلى السلطان

بقلوب أشدّ حرًّا من الجمـ　ـر وأقسى من الصفا الصوّان

قلت رقوا لذلك الطفل ميمو　ن ولا تؤتموه يا إخواني

مانتي أكلة بقتلِ غريب　ذي عيال ناء عن الاوطان

علّقوني بفَرْدِ رجل إلى السقـ　ـف وعذّبتُ ليلتي بالدخان

لو رآني أبي وأمي على رأ　سي ورجلاى بالعصا تُنقَران

بكيا لي من ذاك واشترياني　من يديهم بكلّ ما يملكان

وقع الضربُ يا خليلي على جسـ　ـم من السوْط والعصا قرْحان

قلت للفضل والسريّ غِشاني　وبماني قد حلّ بي خلّصاني

واذكرا عِشرتي وودّي وإخلا　صي وحنا عليَّ واستبقياني

أنتما إن قتلتماني وحقّ الله　ه من أجل أكلة تندَمان

أيّ شيء تركتماهُ لضعفي　قد مضى لي بالأمس قد كفاني

أحلِفَاني أن ليس عندي مشرو　ب ولا في خزانتي لقمتان

فاستشاطا عليَّ غيظاً وقال الـ　ـفضل قل لي بأيّ عين تراني

نحن من أجهل البرية طرًّا　إن حصلنا بمثلكم على الأيمان

---

[1] الران شبه الخف الا أنه أطول منه قليلا وبدون كعب

قطعوا الحبلَ فانقلبت على رأ ... سى وظهرى فاندقَّ لى ضلعان
ثم لما تمكن اليأسُ خلوٌ ... نى ومالوا حشواً على الأتبان
وأجيرى مسخرٌ ينقل الاتـ ... ـبان بالذلِّ عارياً والهوان
وهو يبكى فقلتُ ويحك ماتصـ ... ـنع بالتبن بعد موتة الفدَّان
سرقوا السرج والقناديل والزيـ ... ـت وأقداحنا وكلَّ القنان
والنبيذَ استقوهُ واغتنموهُ ... آخرَ الليل كاستقاء السوانى
زوَّدوه سوَّاسهم والمكاريـ ... ـن معا بالجرار والكيزان
لو ترى الفضلَ وهو يحملُ فى السر ... ج قميصاً مخيَّط الأردان
قد حشاهُ لحماً وطيراً وسبعيـ ... ـن رغيفاً من أعظم الرُّغفان
سرقوا الرَّاحَ فى الزِّقاق وراحوا ... بطعام منضد في الصوانى
ميزوا خيلهم بكلِّ كسير ... وعقير مدبَّر جربان
خلفوه يرعى بقية زرعى ... رعْيَ لا خائف ولا متوانى
مارثى لى سوى المبارك من ضـ ... ـرى وذاكَ القصير الدَّحدحانى
رفهانى وخففا الثقلَ عنى ... فهما من ملامتى سالمان
والسرى السريُّ حقاً كما سُمـ ... ـمىَ أيضا من بطنه أعفانى
هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا ... ن عراهُ في دعوةٍ ماعرانى
أسعدُونى ياإخوتى وثقاتى ... بدموع تجرى من الأجفان
إخوتى مَنْ لوا كف الدَّمع محزو ... ن كئيبٍ مدلَّه حيران
هائم الفكر ساهرِ الليل باكي الـ ... ـعين واهى القوى ضعيفِ الجنان
لم يكن ذا القرانُ إلا على شؤ ... مي فو يلى من نحس ذاك القران

قد أحسن فى هذه القصيدة غاية الاحسان ، وأبان فيها عن مغزاه أحسن بيان . وتصرف فيها وأطال ، وأمكنهُ القول فقال . وإذا تخلص الشاعر عند الاطالة

والوصف هذا التخلص ، وسلم مما يؤديه إلى التكلف والتلصص . فهو الذى لا يُدْرَك غورُه ، ولا يخاض بحره .

وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن على يعرّض فيها بمنشا بن ابراهيم ابن القزاز ويقال إن هذه القصيدة كانت سبب عزله من عمله ، وقد تصرف فيها كل التصرف ، وهي سالمة عن التكلف ، ولم يقل في معناها مثلها وهى

يا أهل جيرونَ هل لسامركم ... إذا استقلت كواكبُ الحَمَل
في مُلح كالرياض باكرها ... نوءُ الثريا بعارض هطل
أومثل نظم العقود بالشذر والدر ... وَوَشْى البرودِ والكِلل
يلذُّ للسامع الغناءُ بها ... على خفيف الثقيل والرمل
كنتُ على باب منزلى سحراً ... أنتظر الشاكريَّ يسرج لى
وطالَ ليلى لحاجة عرضت ... باكرتها والنجومُ لم تَمِل
فمرَّ بى في الظلام أسودُ كالفيـ ... ـل عريضُ الأكتافِ ذُو عضل
أشغَى لهُ منخر ككوة تنو ... ر وعين سجراءَ كالشعل
ومشفرٌ مسبلٌ كخبٍّ وحى ... على نيوب مثلِ المدى عضل
مشقق الكعب أفدع اليدِ والرِّجـ ... ـل طويل الساقين في سمل
فأهدت الريحُ منهُ لى أرجا ... مثل جنى الروض في الندى الخضل
مسكاً وقفصيةً معتقة ... شيبا ببان وعنبر شمل
فقلت ماهكذا يكون إذاً ... راح الندامى روائح السفل
أسود غادٍ من الاتون لهُ ... عرف أمير نشوان في فضل
هذا وربِّ السماء أعجب من ... حمار وحش في البر منتعل
أردده يا نصرُ كي أسائلهُ ... فشأنهُ عضلة من العضل
فقال يخشى فواتَ حاجتنا ... وليس هذا من أكبر الشغل

فقلت ترك الفضول يا ناقص الهمـ	ـة عين الإدبار والكسل
بادره من قبل أن يفوتك في	سلوكه بين هذه السبل
فصد عني تغافلا ومضى	يعجب من عقله ومن خللي
وصاح من خلفه رويدك يا أسـ	ـتاذ مالي بالعدو من قبل
ارجع إلى ذلك الرقيع وإن	أطال في خطبه فلا تطل
أجبه إذا ما سئلت مقتصدا	في اللفظ واسكت إن أنت لم تسل
وهو بترك الفضول أجدر لو	يسلم من خفة ومن خطل
فكم يحوي عجلان يعثر في	مرط كساه مبرغث قمل
وقد مذى والمذي يقطر من	غرموله في الذيول كالوشل
وظن أني صيد فأبرز لي	قيشلة مثل ركبة الجمل
سوداء قد طوقت بطوق خرا	أصفر تزهي به على الحجل
وقال لج داركم لأولجها	فيك وإن كنت لم تبل فبل
فطالما أسهلت طبيعة من	ليس لأمثالها بمحتمل
هذا على أنها مؤدبة	من الفياشي المروضة الذلل
وطال والله ما خدمت بها الـ	ـملوك خلف الستور والكلل
وكنت أغشاهم على فرش الـ	ـخز بلا سقطة ولا زلل
لأنها صنعتي وصنعة آبا	ئي قديما في الأعصر الأول
ورثتها في دولة اليهود بها	شرطي على ما مضى من الدول
حققت لقد حققت فروشهم	وطيبتها بالغنج قولا والأصل
فانظر إليها فإن رأيت لها	شبيها فلا تدعني أبا الجعل
وخل عمودا أغلاقه شمخ	لهم يمتهن ساحة ولم يبذل
قلت له لا عدمت برك قد	بذلت ما لم يكن بمبتذل

وجدت عفواً من غير مسئلة بـدرةٍ لا تبـاع بالجمـل
لـكننى والذى يمدّ لك الا عمـرَ ويعطيك غايةَ الأمـل
ماشقّ دبرى مذ قط فيشلةٌ ولا انتخابُ الأيور من عمـلى
ولا لهذا دعيتَ فاطلب لميلو خك من يستلذّه بدَلى
وهاتِ قل لى بالله من أين أقبلـ ـت ودعنى من هذه العلل
فقال لى بتٌّ عند عاملكم هذا أبى الفضل يوسف بن على
فصاك بى طيبه وصاكَ به منى صنانٌ فى حدّة البصل
تركته بالنهار أخفشَ لا ينظر فى خدمةٍ ولا عمل
قلت تزيدت وادّعيت على شيخ نبيل ينمى إلى نبـل
أبوهُ سمحٌ وجدّه ملكٌ يدعى حنيناً وعمه الصملى
لعلّ ذا غيرَه فصفه فما يخدَع مثلى بهذه الحيل
فان تكن صادقا نجوت وانحيـ ـت عليهِ باللوْم والعذل
وإن تكن كاذبا صفعتك بالنعـ ـل فان كنت قائلا فقل
فقال ياسيدى عجلت بمكرو هي وكان الانسان من عجل
هذا الذى بتٌّ عنده نصَف دون مسنّ وفوق مكتهل
فى فيهِ نتن وتحت عصعصهِ عين تمجٌّ الصديد فى دغل
أدرٌّ رخو العجان منخرقُ الـ ـمبعر ألحى مهيجُ السفل
حيضةٌ باسورِه إذا اختلطت بالسلح كالسمن شيبَ بالعسل
له إذا ما علوته نفس أمضى من السيف فى يد البطل
يصرعُ طيرَ السماء فى الافق الا أعلى ويوهي مخارم القلل
أنتنُ من كل ما يقال إذا بالغ في الوصف ضاربُ المثل
وهو على ذلك مولع أبداً لشؤم بختي بالعضّ والقبل

نعم وفي باب سرمه وضحٌ   أبيت ليلى منه على وجل
أخاف يعدى ايرى ببرصته   فأغتدى مثلة من المثل
أسودُ كالليل بين أ كرعه   عمود صبح ينجاب عن طفل
فقلت هذى صفاته ولقدْ   شغلتَ قلبي بذلك الرجل
فقال أما إذا اهتممت به   فإنه في نهاية الجذل
قد طاب عيشاً وقد أصاب من الـ   لذَّة مالم يصب ولم ينل
يكون مثلَ العروس مفترَشا   طوراً وطوراً كالفحل في الإبل
فيجمع اللذتين مغتبطا   فى دبره تارة وفي قبل
وهو عوانٌ لم يخش من ألم الحمـ   ـل عقيم لم يخش من حبل
وأنت ياابن الخراء محتفل   بأمره وهو غير محتفل
فقلت قل لي من أين تعرفه   فقال ذرني من هذه العقل
كنتُ أجيراً بيدٌّ معصرة   بصورَ كانت لكاتب البجل
وكنت أضحى النهار في ظاهر اليـ   ـد إذا ما انصرفت من شغلى
فنمتُ يوماً وكنتُ من سهر الـ   ـليل وَقيذاً كالشارب الثمل[1]
وهبت الريح فانكشفت ولم   أشعر وطار الشراع عن قُبُلى
واجتاز للحين والقضاء الذى حـ   ـمّ منشا في موكب زجل
حفّ بصفر البنود والخيل والرَّجـ   ـل وبيض الصفاح والأَسَل
على كميت أقبّ كالصخرة الصما   ء قدَّت من قنة الجبل
ليس بأشغى ولا أجشّ ولا   أهضم طاوى الحشى ولا شغل
وهو أمام الصفوف تقدمهُ   جرد الهوادى شوازبُ المقل
مجنبات كأنهنّ سراحيـ   ـنُ قطاً أو كالقنا الذلل[2]

---

١ الوقيذ الثقيل الشديد المرض المشرف ٢ فى ط قطاء أو فكالسقنا

وحانت منهُ التفاتة فرأى ذيل قميصي قد قدَّ من قبل
فاشتد تحديقهُ إليَّ كما حدق ذئبٌ طاوٍ الى حمل
ولم أبت ليلتي وعيشك يا مولاىَ حتى دعيت بالرسل
فجئتهُ خائفاً كما يلج العصفورُ مستكرها على الوَرَل
فارتعتُ لما رأيتُ لحيتهُ وكدتُ أخرى من شدة الوهل
وظن أني استحيته فغدا يبسطني بالمزاح والغزل
وقال هذا الحياء يا بأبي أنت بريد النكول والفشل
فاطَّرِح الهيبة المضرةَ بي واعتزِل الخوف أي معتزل
إن كنت أكرمتني لترفع من قدرى فبعضُ الهوان أنفع لى
انتف سِبالي واصفعْ قفاي ولا تنظر إلى قدرتي ولا خَوَلى
ولا عبيدى ولا فروشي ولا طيبي ولا حليتي ولا حللى
إن يشق أعلاى بالالطام فقد يسعد بالرَّهز بعده سفلى
وليس بعدَ المزاح يا بأبي في الرأس من حشمة ولا خجل
ولم يزل دائباً يشمرخ شا قولي ويحتال لى على مهل[1]
فحين أدليتُ كالحمار بدا يرفع أجلاله عن الكفل[2]
وخرَّ للوجه والجبين وقد رطَّب حول خصييهِ بالبلل
طعنتهُ طعنةً بصدق الأنا بيبُ أصمَّ الكعوب معتدل
فقال أوجعتَ جوفَ مقعدتي وظلَّ يدعو بالويل والهبل
وقرقرت بطنهُ وربَّتما حذرت من مثلها ولم أبل[3]
ثم رماني بسلحة خطمت أنفي فزاولتها على ميل
فقلت يا سيدى ويا أملي أظن ذا السرم من بنى ثعل

---

١ الشاقول من أسماء القضيب ٢ في ظ فحيث ٣ أبل يعنى أبالى

فقال أخطأتَ إذ أسلتَ دمی　　فقلت كلا والله لم يَسل
أين النجيع القانی فديتك من　　لطخ رجيع كالوَرْس منسحل
ألا تبرزت لا أبالك أو　　سددت من باب سرمك النغل؟(١).
فقال لما أنشأت تعفجنی　　في استی برمح لم يعتصم سفلی
ألم تكن عالما بأن سلاح اس　　تي سلاحی في كل منتضل
خذ آبنوسا حليتهُ ذهبا　　فالحلی أولى به من العطل
ولا تلمنی فكيف أصنع في　　سرم شديد الحكاك مؤتكل
تمنعهُ اللذّة الحياءَ فتستر　　خی حواشی مثقب نغل
نعم وعاجلتنی بجائفة　　أصمت ومرّت في موضع العلل
عاجلتَ قلبي عن التحفظ في أم　　ری برهز كالبرق مشتعل
وخاض جعسی أيرٌ به هَوَج　　يجوز حدّ الجنون والخبل
يا سيدی ما اسمه فقلت أبو ال　　أسود يكنى وليس بالدؤلي
فقال ياحبذا أبو الأسود الزا　　هد فينا بسلحة قبلی
هل رأيه غيرها وقد جعل ال　　ماء طهوراً لكل مغتسل
فامض وعد بعدها لتروينی　　من بعد نومي عَلاً على نَهل
ولا تخفْ بعدَها وصاح بفرا　　ش قصير السربال معتمل
فقال ذاك الفرّاشُ مالك قد　　متّ كذا فاغتسل ولا تبل
فهذه عادةٌ لسيدنا　　موروثةٌ عن أبيه لم تزل
ولم أزل فی خزانة الفرش أيا　　ماً مخلى في زیّ معتقل
حتى انثنت صعدَتی وبان لهُ　　فیَّ أناةُ الفتور والكسل
ثم تغنّى والأير في يده　　قد خفَّ بعد العتوّ والثقل

---

١ فی ط شددت من باب

يادار هند بالخيف من ملل　　حييت من دمنٍ ومن طلل
وقال لى ويكَ في دمشق أخٌ　　للوقف والخرج والضياع يلى
وهو يحبّ السودان أعرفهُ　　وليس عن رأيه بمنتقل
فخذ كتابى وسر إليه ولا　　تتركْ مقالا مذ قطُّ لم يقل
وقل سرَتْ بى فى الليل ذعلبةٌ　　تهدى صدورَ المهرية البزل
تمطو جماحاً إذا المطى ونت　　حتى تراخى لها من الجذل
أهوى بطون الاقطار في غسق ال　　ليل وآوى مناهلَ الوعل
وليس لى شافعٌ إليك سوى　　فيشلة أسهلت أبا سهل
فإنهُ سوف يلتقيها ويحـ　　بوها إذا أقبلَتْ بجيهل
وتغتدي عنده أعزَّ من ال　　أهلين والاقربين والخول
فجئتهُ واثقاً بقول أبى　　سهل ومن يسمع المنى يخل
فما حصلنا إلا على سهر　　يعمى ورَهزْ يوهي القوى نكل
وكان هذا ابتداء معرفتى　　به فحسبي فاقطع ولاتصل
وقد مضى يومنا بلا عمل　　تُرْجى له أجرةٌ ولا أمل
ظننتُ للنيك قد دعيتُ ولم　　أدر بأنى دعيتُ للجدل

صرف عنه (١) بعض الادباء وهو ابن خيران العبد لأنه أطال ولم يصرفه بعد منثور يتقدم ذلك

قلت له اذهبْ مصاحباً فلقد　　حدَّثت عنه بحادثٍ جلل
فمرَّ يسعى كأنه ثمل　　من سهر كدّه ومن ملل
يقول فى سيره وقد وضح ال　　صبح ألا ربَّ واثق خجل
كان نكاحٌ إبليسُ زوّره　　بلا شهود ولا حضورٍ ولى

١ يريد اتم القصيدة

لابارك الله فيهما فلقد جاءا بما لايجوز فى الملل
وعدْتُ بالله أستعيذ من ال سوء ومن كل موقف رَذِل
والحمد للواهب السلامة من جرح يداوَى بهذه الفتل

وإن اتفق وجود المنثور ألحقته بعون الله وقدرته .

أحمد بن محمد الطائى الدمشقى

قال قد غدوْنا إلى صلاة الغداة ثم ملنا منها إلى الحانات
فشربنا مدامة كدَم الا خشف عقاراً تضيءفي الكاسات
فاذا شجها السقاة بماء أبرزت مثلَ ألسن الحيات
وكأنّ الأنامل اعتصرتها من شقيق الخدودوالوجنات

ابو محمد الموصلي

قال يرثى أم الامير أبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان وقد رثاها الناس على طبقاتهم .

ياأميراً علا على النجم همّه مثل ماقدزرى على الخلق عزْمه
أكثر الناس في التعازى وقالوا كل معنى ينسى أخا الهم همه
فاختصرت العزاء فى نصف بيت كل خطب إذا تعداك نعمه

ابو محمد الحسن بن على بن وكيع التنيسى

شاعر بارع وعالم جامع . قد برع في إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الافهام . فمن ملح شعره وغرائبه قوله من قصدة مربعة :

رسالة من كلف عميد ... حياته فى قبضة الصدود
يلغه الشوق مدى المجهود ... ما فوق مايلقاه من مزيد

* * *

جار عليه حاكم الغرام ... فدق أن يدرك بالاوهام
فلو أتاه طارق الحمام ... لم يره من شدة السقام

* * *

له اهتزاز وارتياح وطرب ... لوجه من أورثه طول الكرب
فهل سمعتم فى أحاديث العجب ... بمن مناه قرب من منه العطب

* * *

ماغاب عنه الحزم في الامور ... لكن مقدار الهوى ضرورى
صاحبه يخبط في ديجور ... منفسد التقدير بالمقدور

* * *

إذا التقى في مسمعيه العذل ... وقيل من دون المراد القتل
قال لهم لوم المحب جهل ... إن الهوى يغلب فيه العقل

* * *

ماالعذر فى السلوة عن غزال ... منقطع الأقران والأشكال
تستخلف الشمس لدي الزوال ... ضياء خديه على الليالى

* * *

بخفة الروح احتوى صلاحى ... فصرت لا أرغب فى الفلاح
والشكل والخفة فى الأرواح ... أملح مايعشق فى الملاح

من عشق الفدم وإن دق البصر ... فليقصد البيعة وليهو الصور (1)
من كان يهوى منظراً بلا خبر ! - فما له أوفق من عشق القمر

(1) الفدم الاحمر المشبع حمرة

ظبي سلوّى عنه مثل جوده   خياله أكذبُ من موعوده
أجفانه أسقمُ من عهوده   أردافه أثقل من صدوده

٭ ٭ ٭

ياوصل صله مثلّ وصل صدّه   ياحكمه كن فى اعتدال قدّه
ياقلبه كن رقّةً كخدّه   ياخصره كن مثل ضعفِ عهده

٭ ٭ ٭

امّا وخصر ضعفه كصبري   له ووجه حسنه كشعري
له عذار قام لى بعذرى   لاتبتُ من شوقى اليه دهرى

٭ ٭ ٭

اضحى لابليس به استقدار   على بنى آدم واستبشار
وقال فى ذا تستطابُ النار   ما لهمُ عن مثلِ ذا اصطبار

٭ ٭ ٭

تمّت لى الحيلةُ فى العباد   أدركتُ من صالحهم مرادى
بمثل ذا أمكننى إفسادى   لأنفس العباد والزهاد

٭ ٭ ٭

و الهفتي من خدّه الاسيل   إذا انجلى عن صفحتي صقيل
واحربى من طرفهِ الكحيل   من مُنصفي منهومَن مديلى

٭ ٭ ٭

من مقلة كالصارم البتار   ألحاظها أمضى من المقدار
تحكم فى لبي وفى اصطباري   * نظيرَ حكم الدّهر في الاحرار

أحلّ قوى العقدُ من تهاره   أهجر القلبي انجد في نهاره
عذّر صبرى مبتدا عذاره * حيّرني * بالطرف واحوراره

لحظها بوجد حسنه محبوبه   تطيبت في [illegible] الذنوب له

وقامة ذل لها القضيب والقد تنقد به القلوب

* * *

هفا بقلبي منه إفراط الهيف فقلت لما أن تثنى وانعطف
ياسيدى من دون ذا الميل التلف وشرط من كان ظريفاً فى القطف

* * *

ما قِصر القامة مثل الطول ولا البدين الجسم كالمهزول
عشق الرشيق الاهيف المجدول شأن ذوى الافهام والعقول

* * *

لا يعشق الضخمَ الغليظ الجسم غير غليظ الطبع جاف فدم
مكدر الحس ركود الفهم يقول فى الحسن بغير علم

* * *

قد صحتُ لما خفت منه القتلا وكدت من فرط السقام أبلى
ياحاكما جانب فىّ العدلا مهلا بمن يهواك مهلا مهلا

* * *

ياظالما يقتلني مجاهره قد منع الوجد من المساتره
هلمّ ان شئت إلي المناظره واستعمل الإنصاف لاالمكابره

* * *

فى أي دين حل قتل الروح وهل لما تفعل من مبيح
ان قلت ذا جاء عن المسيح فليس ما تزعم بالصحيح

* * *

مرقس ما أخبرنا بذا الخبر عنه ولا لوقا حكاه فى الأثر
وقد نهى في عن ذا يوحنا وزجر ولا ارتضي متّى به ولا أمر

* * *

أربعةٌ ليس لهم عديل ولا لهم في أمرهم كفيلُ
مافيهم من قال ما تقول فهل سوي إنجيلهم إنجيل

فان زعمت أنّ ذا موجود في زُبرٍ جاء بها داودْ
فما الزبور بيننا مفقود فكيف لم تعلمْ به اليهود

* * *

ولم يخبّر أحدٌ سواكا من النصارى كلهم بذاكا
لا تتقوّل غير ما أتاكا وغلّب الحق على هواكا

* * *

سفك دمى يحظرُ فى الأديان فدع حجاجاً ظاهر البطلان
لا تجمع الإثم مع البهتان وكن على خوف من العدوان

* * *

واعلم بأنى ان تمادى بى الهوى وخفتُ أن أتلف من فرط الضنىْ
ودمتَ فى هجرك لى كما أرى ولم أجد منك لما بى مشتكى

* * *

شكوتُ ما تلقاهُ نفسى البائسه من خطرات للهموم هاجسه
عفّت رسوم الصبر فهى دارسه إلى جميع عصبة الشمامسة

* * *

فان همُ لم يرحموا انيني وخيبوا في قصدهم ظنوني
ولم أجد في القوم من معين ينصفني منك ولا يعديني

* * *

شكوت مايلقي من الأحزان قلبي إلى مشيخة الرهبان
عنك تستخيي من الشيخان وان تهاونت بهم فى شاني

* * *

فلا أراك مغضبا عبوسا اذا أتيت ابأل القسيسا
معونة أرجو لنا التنفيسا عن مهجة قاربت النسيسا

* * *

واعلم بانى ان رددتَ شافعي هذا ولم يرجع بأمر نافعي

فليس ذا بحاسم مطامعى   كم طالب جدَّ بجدّ المانع

* * *

لو كنت مبذولا لنا لم تطلب   وإنما نرغب اذ لم ترغب
وكلت النفس بترك الاقرب   وشدة الحرص على المستصعب

* * *

وأن تماديت على جفائكا   ودمت بالقلة من حبائكا
في هجرنا على قبيح رأيكا   واستيأس الرهبان من اصفائكا

* * *

فلا تلمنى ان قصدت الأسقفا   من برّح السقمُ به رام الشفا
فلا تقل أبديت مكنون الجفا   أنت الذى أحوجتني أن أكشفا

* * *

سوف إلى المطران أنهى قصتى   إن دام ما تؤثره من هجرتى
فان رثى لي طالباً معونتى   ولم تشفعه بكشف كربتى

* * *

شكوت ما يلقاه من فرط السقم   قلبي إلى البطرك والحبر العلم
عساك ان خالفته فيما حكم   يدخلك الحرم فويل من حرم

* * *

هناك تأتى مستقيلا ظلمي   تسألنى عطف الرضى بالرغم
ترضى بما ينفذ فيك حكمى   إذا بك اشتدّ عذاب الحرم

* * *

دعْ ذا فهذا كله تهديد   أرجو به قربك يابعيد
هيهات سرى أبدا جحود   فيك وقولى كلما تريد

* * *

مولاىّ قد ضاقت بى الامور   فقلت ما قلت وقولي زور
قلبي إلاّ فى الهوى جسور   فلا تلم أن ينفث المصدور

* * *

مولاى بالرّحمن أحى مغرما   يخاف أن تغضبَ إن تظلّما
إليك أشكو فعسى أن تنعما   مهلاً قليلا قد قتلت المسلما

٭ ٭ ٭

ياجرجس ارفق بفؤاد هائم   ياسيدى خف سوء عقبى الظالم
وقد رضينا بك في التحاكم   والجورُ لايشبه فعلَ الحاكم

٭ ٭ ٭

أقصى رجائى منكَ نيلُ الودِّ   وقبلة تشفى غليلَ الوجد
ياجائراً أفرط فى التعدّى   منكَ إليك في الهوى أستعدى

وقال فى ازمنة السنة مزدوجة

ياسائلى عن أطيب الدّهور   وقعتَ فى ذاك على الخبير
سألتنى أىّ الزمان أحلى   وأيه بالقصف عندى أولى
عنديَ في وصف الفصول الأربعة   مقالةٌ تغنى اللبيب مقنعه

فصل الصيف

أما المصيف فاستمع مافيهِ   من فطن يُفهم سامعيه
فصل من الصيف إذا قيل حضر   أذكرنا بحره نار سقر
تبصر فيهِ النبت مقشعراً   والارض تشكو حرة المضرا
نهاره مقسم بين قسم   جميعها يعاب عندى ويذم
أوله فيه ندى مبغض   كأنه على القلوب يقبض
يلصق منه الجسم بالثياب   وتعلق الاذيال بالتراب
حتى تراها مثل منديل الغمر   فيهن تخطيط كتخطيط الحبر
حتى إذا ماطردته الشمس   وفرحت بأن يزول النفس

فتحت النارُ له أبوابها وشبَّ فيها مالكٌ شهابها
جرَّ يحيل الأوجهَ الغرَّانا حتى ترى الروم بها حبشانا
يعلو به الكرب ويشتد القلق وتنضح الأبدان منه بالعرق
تبصره فوق القميص قد علا حتى ترى مبيضه مصندلا
إن كان رثًّا زاد في تمزيقه أو مستجداً حلَّ حبل زيقه
ثم يعيد الماء ناراً حاميه تزيد في كرب القلوب الضاويه
شاربهُ يكرع في جحيم كأنه من ساكني الجحيم
ينسيه ما يلقى من التهابه أن يحمد الله على شرابه
حتى إذا عنا انقضى نهاره وارخيت من ليله أستاره
تحرَّكت فى جنحه دواهي سارية وأنت عنها ساهى
من عقرب يسعى كسعي اللصّ سلاحها فى أبر كالشص
وحية تنفث سمّاً قاتلا تزوّد الملدوغ حتفاً عاجلا
تبصر ما فى جلدها من الرقش كوجنة مصفرة فيها نمش
لو نهشت بالناب منها الخضرا لبترت منه الحياة بترا
فإن أردت الشرب فى إبانه على الذى وصفتهُ من شانه
أبشر بما شئت من الصراع فضلا عن التهويس والصداع
وعلل تعجز إحصاء العدد من جرب ومن دُوار ورمد
وبعدُ حمى الكبد لا تنساه لانه أول ما تلقاه
ولا تقل ان جاء يوما أهلا فلعنة الله عليه فصلا

فصل الخريف

حتى إذا زال أتى الخريف فصل بكل سوءة معروف
أهوية تسرع في كلِّ الجسد وهو كطبع الموت يسأو يرد

يخشى على الأجسام من آفاته فأرضه قرعاء من نباته
لا يمكن الناس اتقاء شره من اختلاف برده وحره
تبصره مثل الصبي الأرعن في كثرة التغيير والتلون
فإن أردت الشرب للعقار في حينه بالليل والنهار
فأنت منه خائف على حذر لأنه يمزج بالصفو الكدر
أحسن ما يهدى لك التشبيها يقلبه في ساعة سموما
وهو على المعدود من ذنوبه خير من الصيف على عيوبه

فصل الشتاء

حتى إذا ما أقبل الشتاء جاءتك منه غمة غماء
أقبل منه أسد مزير له وعيد وله تحذير
لو أنه روح لكان قدما أو أنه شخص لكان جهما
يأتيك في إبانه رياح ليس على لاعنها جناح
حرا كها اليبس إلى شكون تضر بالأسماع والعيون
يحدث من أفعالها الزكام هذا إذا ما فاتك الصدام
ثم يليها مطر مداوم كأنه خصم لنا ملازم
يقطعنا بعضاً عن الطريق وعن قضاء الحق للصديق
وربما خر عليك السقف وإن عفا عنك أتاك الوكف(1)
هذا وكم فيه من المغارم وكثرة الانفاق للدراهم
في ملبس يدفع شر برده يكف عنا منه غرب حده
ملابس تعيي الجليد حملا كأنما يحمل منها ثقلا
يحكي بها المنحوف أصحاب السمن لكن تراه سمناً غير حسن

١ الوكف الانحراف والثقل والضعف

فان أردت بالنهار الشربا　　فيه فقد قاسيت خطباً صعبا
واحتجت أن توقد فيه النارا　　تطير نحو الحدق الشرارا
تترك مبيض الثياب أزقطا　　تحكي السعيدي لك المنقطا
وبعد ذا تسدد الثقابا　　من خوفه وتغلق الأبوابا
نعم وترخي نحوه الستورا　　حتى ترى صباحه ديجورا
فحسن لون الراح فيه لا يرى　　لأنه صار سواء والدجى
تشرب فيه إن شربت الخمرا　　ليس لأن تلهو أو تسرا
لكن لتحمى خضر الاعضاء　　فشربها ضرب من الدواء
وان أردت الشرب في الظلام　　عاقك عن تناول المدام
حسبك ان تندس في اللحاف　　وخشية البرد على الأطراف
ورعدة تشغل عن كل عمل　　وتؤثر النوم وتستحلي الكسل
حتى اذا ملت الى الرقاد　　نمت على فرش من القتاد
إن البراغيث عذاب مزعج　　لكل ما قلب وجلد تنضج
لا يستلذ جنبه المضاجعا　　كأنما أفرشته مباضعا(١)
قبح فصلا فوق ما ذممته　　لو أنه يظهر لي قتلته
حتى إذا ماهو عنا بانا　　وزال عنا بعضه لا كانا

فصل الربيع

جاء الينا زمن الربيع　　فجاء فصل حسن الجميع
لبرده وحره مقدار　　لم يكتنف حدهما الإكثار
عدل في أوزانه حتى اعتدل　　وحمد التفصيل منه والجمل
نهاره من أحسن النهار　　في غاية الإشراق والاسفار

---

١ المبضع مايبضع به العرق

تضحك فيه الشمس من غيرعجب   كانها فى الافق جام من ذهب
وليلهُ مستلطف النسيم   مقوَّم فى أحسن التقويم
لبدره فضل على البدور   في حسن إشراق وفرط نور
كجامة البلور في صفائها   أو غرَّه الحسناء في نقائها
كانها إذا دنت من نحره   جوزاؤهُ قبلَ طلوع فجره
رومية حُلتها زرقاء   في الجيد منها درَّة بيضاء
هذا وكم يجمع من أمور   إسراف مطريها من التقصير
فيه تظلُّ الطيرُ فى ترنم   حاذقة باللحن لم تعلم
غناؤها ذو عجمة لا يفهمه   سامعه وهو على ذا يقرمه(١)
من كل دُبسيٍّ له رنينُ   وكلّ قمريّ لهُ حنين(٢)
في قرطق أعجلَ أن يوردا   خاطَ له الخياطُ طوقاً أسودا(٣)
هذا وفيه للرياض منظر   يفشى الثرى من سرها مايضمر
سرٌّ نباتٍ حسنهُ إعلانهُ   اذا سواهُ زانه كتمانه
فيه ضروب للنبات الغض   يحكى لباس الجند يوم العرض
من نرجس أبيضَ كالثغور   كأنه مخانق الكافور
وروضة تزهر من بنفسج   كأنها أرض من الفيروزج
قد لبست غلالة زرقاء   فكايدت بلونها السماء
تبصرها كثاكل أولادَها   قد لبست من حزن حدادَها
يضحك فيها زهرُ الشقيق   كأنه مداهن العقيق
مضمنات قطعاً من السبج   فأشرقت بين احمرار ودَعج
كأنما الحمرُّ في المسوَّد   منهُ إذا لاح عيون الرُّمَّد

١ القرم شدة الشهوة   ٢ الدبسى طائر أدكن يقرقر   ٣ القرطق نوع من الاردية

أما ترى أترجه ما أحسنه يختال في غلائل مبينه
وانظر إلى الخشخاش إن نظرتا يحكي كرات ظوهرت كيمختا
وادم بعينيك إلى البهار فانه من أحسن الأنوار (١)
كأنه مداهن من عسجد قد سمرت في قضب الزبرجد
فانهض إلى اللهو ولا تخلف فلست في ذلك بالمعنف
واشرب عقاراً طال فينا كونها يضعف من خوف المزاج لونها
من كف ظبي من بني النصارى ألبابنا في حسنه حيارى
إذا بدا جماله لذي النظر قال تعالى الله ما هذا بشر
يبدي جمالا جل عن أن يوصفا لو أنه رزق حريص لاكتفى
تزينه أحشاء كشح طاويه وسرة محشوة بالغاليه
لا سيما مع مسمع وزامر قد سلما من وحشة التنافر
دونك هذي صفة الزمان مشروحة في أحسن التبيان
فاصنع نحو شرحها كي تسمعا ولا تكن لحقها مضيعا
وارض بتقليدي فيما قلته فإنني أدرى بما وصفته
ولا تعارضني في هذا العمل فإنني شيخ الملاهي والغزل

وقال أيضا

يا باعثاً لدعوتي غلامه وعاتبا من تركنا إلمامه (٢)
إذا أردت أن تزار في غد فلا تغال في الطعام واقتصد
واعمد إلى ما أنا منه واصف فانني بالطيبات عارف
ابعث فخذ عشراً من الزقاق تلذها نواظر الأحداق

١ البهار نبت طيب الريح ٢ الالمام الزيارة

تكاد مما رقّ من حرسائها تشف للأعين من صفائها
أرقها الصانع حتى خفّت ولطفت أجسامها ومدّت
تكاد لولا حذقه فى صنعته تطيرها أنفاسه من راحته
حتى أتت فى صورة البنّور أو مثل جامات من البلور
حتى إذا فرغت منها متقنا ولم ير العائب فيها مطعنا
فاعمد إلى مدوّر من البصل فانه أكبر أعوان العمل
يحكى لعينيك اخضرار قشرة إذا رماه ناظر بفكره
غلائلا خضرا على جسوم بيض وطاب من بنات الروم
حتى إذا أحكمته تقطيعا وقلت قد جوّدته صنيعا
خلطته باللحم خلطا جيدا ولم تزل تخلطه مرددا
حتى إذا أنت أجدت فعله ثم جمعت فى الرقاق شمله
صيرته ياذا العلا السنيه شابورة ليست لها سميه
ثمت أغل الشبرق المقشرا من فوقه حتى تراه أحمرا(١)
مكتسيا حلته الخمرية من بعدما عهدتها فضيه
ثم أدر كأس الشمول منعما أكرم بهذا مشربا ومطعما
فلست فى فعلك ذا مبذرا كلا ولا في حقنا مقصرا

ولهُ فى الروض

أسفر عن بهجته الدهر الاغر وابتسم الروض لنا عن الزهر
أبدى لنا فصل الربيع منظرا بمثله تفتن ألباب البشر
وشيا ولكن حاكه صانعه لا لابتذال اللبس لكن للنظر

١ الشبرق نبات رطب

عاينته بطرف السماء فانثني … عشقاً له يبكي بأجفان المطر
فالارض في زي عروس فوقها … من أدمع القطر نثار من درر
وشي طواه في الثرى صوانه … حتى إذا مل من الطي نشر
أما ترى الورد كخدي كاعب … راودها فامتنعت منه ذكر
كأنما الخمر عليه نفضت … صباغها أو هي منه تعتصر
أخجله النرجس إذ جاد له … فاحمر من فرط حياء وخفر
قال له العين وما الخد لها … موازنا في عظم قدر وخطر
ماذا الذي يرجى لخد بهج … مستحسن صاحبه أعمى البصر
فاحمر من حجته إذ ظهرت … والحق لا يدفع يوما إن ظهر
وانظر إلى النارنج في بهجته … يلوح في أفنان هاتيك الشجر
مثل دنانير نضار أحمر … أو كعقيق خرطت منه أكر
وانظر إلى المنثور في ميدانه … يرنو إلى الناظر من حيث نظر
كجوهر مختلف ألوانه … أسلمه سلك نظام فانتثر
كأن نور الباقلا إذا بدا … لناظريه أعين فيها حور
كمثل ألحاظ اليعافير إذا … روعها من قانص فرط الحذر (١)
كأنه مداهن من فضة … أوساطها بها من المسك أثر
كأنها سوالف من خرد … قد زينت بياضها سود الطرر
وانظر إلى الأطيار في أرجائه … إذا دعى الثا كل منها وصفر
كأنها تصفر في رياضها … سرب قيان فوق بسط حبر
فانهض إلى اللهو ولذات الصبا … لامك من يعذل فيها أو عذر
فقلما يغنيك من يعذل فيـ … ـما تشتهي حتى تواريك الحفر

١ اليعافير جمع يعفور وهو ظبي بلون التراب

فيكيف هجرانُ اللذاذات ولم ... يبدُ نهارُ الشيب في ليل الشعر
والنسكُ في عصر الصبا كأنه ... من قبحه خلعُ عذار في الكبر
يالائماً يعذلني في طربي ... حسبكَ قد أكثرتَ من هذا الهذر
أعرفُ فضلَ العقل إلا أنه ... لعيش من آثرَه عينُ الكدر
الجهل ينبوع مَسرات الفتى ... والعقلُ ينبوعُ الهموم والفكر
فاجسرْ على ماتشتهي جهالة ... مافازَ باللذات إلا من جسر
واشرب عقاراً لو أصابت حجراً ... لطارَ من خفته ذاكَ الحجر
عدوّة الحزن الذي ماظفرت ... قطُّ به إلا أساءت في الظفر
لو رامَ أن يجيره من كيدها ... صرف الزمان الحتمُ يوماً ماقدر
أرقها الدهر إلى أن شاكلت ... من رِقة شعرَ جميل وعمر
خفية الحيلةِ في جسم الفتى ... تحدِث في الجسم دبيباً وخدر
كأنما الأوطار فيها جمعت ... فليس في العيش لجافيها وطر
لاسيما من كف ظبي لم يشَنْ ... بفرط طول لاولا فرطِ قصر
له سهامٌ من لحاظٍ صيب ... كأنما يرمينَ عن قوس القدر
مزنّرٌ شككني في دينه ... حتى أحلت الكفرَ فيمن قد كفر
لانه كالحور في تصويره ... والحور لا يسكنها الله سقر
لو لم يكن زِناره في وسطه ... يمسك ضعفَ الخصر منه لانبتر
وبان منه نصفه عن نصفه ... لكنه جاء له على قدر
ان قلت يحكى قمراً عنفني ... عقلٌ له أعدمه عندَ القمر
أنّى يوازيه وهذا ناطقٌ ... وذاك أن خوطب لم ينطق حصر
يالك منه منظراً أشهى الى ... قلبي من جنة عدن أو أسر
ياطيبَ ذي الدنيا لنا منزلة ... لو لم نكن نزعج منها بسفر

وقال أيضاً

علقْ فؤادك والدنيا أعاليل ... لا يشغلنّك عن اللهو الأباطيل
ولا يصدّنك عن أمر هممتَ به ... من العواذل لا قالٌ ولا قيل
فخير يوميك يوم أنت فيه إذا ... ميزتَ في الناس محمود ومعذول
وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا ... فقل لهم إنني عن ذاك مشغول
فان ذلك أمر مع نفاسته ... ونبله بفناء العمر موصول
وارض الخمول فلا يحظى بلذته ... الا أمرؤ خامل في الناس مجهول
ولا تبع عاجل الدنيا بآجل ما ... ترجو فذلك أمر شأنه الطول
اسفك دم القهوة الصهباء تحى به ... روحي فان دم الصهباء مطلول
يا خائف الإثم فيها حين يشربها ... لا تقنطن فعفو الله مأمول
قم فاسقني النض مما حرموه ولا ... تعرض لما كثرت فيه الأقاويل(١)
من قهوة عتقت في دنها حقباً ... كأنها في سواد الليل قنديل
عروس كرم أتت تختال في حلل ... صفر على رأسها للمزج إكليل
كأنها بأكف القوم إذ جليت ... ذوب من الذهب الابريز محلول
في فتية جعلوا للهو طاعتهم ... فما لهم عن طريق اللهو معدول
جليسهم ليس يروى من حديثهم ... يوماً وبعض حديث القوم مملول
لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم ... ففي سكوتهم الملول والسول
ترى مجالسهم مملوءة لجباً ... وكل ذاك فضول عنك معزول

وقال أيضاً

اشرب فقد طابت العقار ... وابتسم الورد والبهار
من قهوة ما انبرت لهم ... إلا وولى له انشمار

(١) نض الماء سال قليلا أو خرج رشحاً والناض الزائد

لها جيوش من الملاهي للهم قد أمها الفرار
لألاؤها في الدجى نهار يظلم من نوره النهار
إذا استقرت حشا لبيب رأيته ما له قرار
لم يرها ناظر حديد الا ثنى لحظه انكسار
خيالها جسمه لجين وجسمها شخصه نضار
كأنها تحته كميت عليه من فضة عذار
لها لدى حزن شاربيها ثأر وعند الحلوم ثار
فالحزن عن أهلها مطار والحلم فى إثره مطار
فلا انتصار لذا عليها ولا عليها لذا انتصار
يسعى بها جؤذر غرير في لحظ أجفانه احورار
يحسن منى الوقار إلا فيه فما يحسن الوقار
أغار منى عليه حتى عليه من نفسه أغار
كل جمال ترى فمنه إذا تأملت مستعار
كأن صدغا له تراه وهو على خده مدار
ميدان آس بدا جنياً ألهب في جانبيه نار
بيت من الحسن لى إليه حج مدى الدهر واعتمار
زيارة البيت كل عام ودهر ذا كله يزار
قلت له إذ بدا وقلبي من لاعج الشوق مستطار
يا جامع الحسن كل حسن للناس من شرطك اختصار
مافضل الغانيات عندي عليك الا امرؤ حمار

وقوله أيضا

اشرب فقد طابت المدام وافتر عن ثغره الغمام

من قهوة حرّمت علينا ... والصبر عن مثلها حرام
جلّت عن الوصف فهى شىء ... يدق عن شأنها الكلام
اذا استذم الاسى اليها ... فما له عندها ذمام
طوّقها الماء سمط در ... ليس لمنثوره نظام
كأنها تحته كميت ... عليه من فضة لجام
إذا بدت للهموم ظلت ... وهي لإعظامها قيام
تلوذ منها فلا لواذ ... ينفع منها ولا اعتصام
فى فتية كلهم كريم ... وخير من يصحب الكرام
يكسد سوق الفتاة فيهم ... ظرفا ولا يكسد الغلام
أئمة كلهم عليم ... بكل مافعله أثام
لكننى فيهم على ما ... وصفت من فضلهم امام
وعندنا شادن غرير ... فى لحظ أجفانه سقام
للحسن قدامه جيوش ... للصبر قدامها انهزام
يخف في حبه التصابى ... كمثل مايثقل الملام (١)
ذا العيش فافطن له وبادر ... من قبل أن يفطن الحمام
وانعم فعام السرور عندى ... يوم ويوم الهموم عام

وقال أيضاً

جانبت بعدك عفتى ووقارى ... وخلعت في طرق المجون عذارى
ورأيت إيثار الصبابة فى الذى ... تهوى النفوس ممحق الأعمار
لا تأمرنى بالتستر فى الهوى ... فالعيش أجمع فى ركوب العار
إن التوقر للحياة مكدّر ... والعيش فهو تهتك الأستار

(١) التصابى الفتوة والميل للهوى

من تابعت أمر المروءة نفسه ... فنيت من الحسرات والأفكار؟
لا تكثرن عليّ إن أخا الحجا ... برم بقرب الصاحب المهذار (١)
خوفتني بالنار جهدك دائباً ... ولججت في الإرهاب والانذار
خوفي كخوفك غير أني واثق ... بجميل عفو الواحد القهار
أقررت أني مذنب ومحرم ... تعذيب ذي جرم على الإقرار
انظر إلى زهر الربيع وماجلت ... فيه عليك طرائف الأنوار
أبدت لنا الامطار فيه بدائعاً ... شهدت بحكمة منزل الامطار
ما شئت للازهار في صحرائه ... من درهم بهج ومن دينار
وجواهر لولا تغير حسنها ... جلت عن الأثمان والاخطار
من أبيض يقق وأصفر فاقع ... مثل الشموس قرن بالاقمار
ناحت لنا الاطيار فيه فأرهجت ... عرس السرور ومأتم الاطيار
دار لو اتصل البقاء لاهلها ... لم يحفلوا بنعيم تلك الدار
فانهض بنا نحو السرور فانه ... مازال يسكن حانة الخمار
فاشرب معتقة كأن نسيمها ... مسك تضوعه يد العطار
أخفى دبيباً في مفاصل شربها ... وأدق ألطافا من المقدار
أحكامها في العقل إن هي حكمت ... أحكام صرف الدهر في الاحرار
يرضى على الاقدار شاربها الذى ... مازال ذا سخط على الأقدار
وكأنها والكأس ساطعة بها ... ذوب تحلل في عقيق جاري
لاسيما من كف أغيد شادن ... يسبي العقول بطرفه السحار
فضل الغصون لأنها من غرسنا ... عند التأمل وهو غرس الباري
قد غيب الزنار دقة خصره ... حتى ظنناه بلا زنار

١ البرم السآمة والضجر

× متنصرٍ قويت على إسلامنا ... بالحسن منهُ حجةُ الكفار
قالوا أيصنع مثلَ هذا ربكم ... ويرى فسادَ صنيعهِ بالنار؟
مع مسمع حلفت لهُ أوتاره ... أن لا تنافر رنة المزمار (١)
فطن يحرّك كل عضو ساكن ... تحريكهُ لسواكن الأوتار
شـدوٌ اذا الحلماء زار حلومهم ... باعوا بطيب السخف كلَّ وقار
والشدوُ أحسنهُ الذى لم يستمع ... إلاَّ أطارَ العقـلَ كلَّ مطار
ذا العيشُ لا نعتُ المهامه والفلا ... وسؤال رسم الدار والاحجار
لا فرج الرحمن كربة جاهل ... يبكى على الأطلال والآثار

وقال أيضاً

قد رَضينا من الغزال الكحيل ... بغرور العدات والتعليل (٢)
وهجرنا سواهُ وهو منيل ... وهويناهُ وهو غير منيـل
فكثيرُ البغيض غيرُ كثير ... وقليلُ الحبيب غيرُ قليل
يا عذولى زعمت صبرى صواباً ... وطريقُ الصواب غيرُ مخيل
هلك العزمُ بين شوق صحيح ... أنا فيه وبين صبر عليل
لا تعبْ من هويتُ بالبخل إنى ... لا أحبُّ الحبيب غيرَ بخيل
يجمل البخلُ بالملاح وإن كا ... نَ بغير الملاح غيرَ جميل
كلُّ من سرّهُ حبيبٌ جواد ... فلتطب نفسه بقرنٍ طويل (٣)

وقال أيضاً

ألست ترى وشي الربيع المنمنما ... وما رصّعَ الربعىّ فيه ونظما
فقد حكت الارض السماءَ بنورها ... فلم أدر في التشبيه أيهما السما
فخضرتها كالجوّ فى حسن لونه ... وأنوارُها تحكى لعينيك أنجما

---

١ المسمع المغنى ٢ العدات جمع عدة يريد الوعود ٣ القرن المشارك

فمن نرجس لما رأى حسنَ نفسهِ تداخله عجب بها فتبسما
وأبدى على الوردِ الجنيّ تطاولا فأظهرَ غيظ الورد في خده دما
وزهر شقيقٍ نازع الوردَ فضلهُ فزاد عليه الورد فضلاً وقدّما
وظل لفرط الحزن يلطم خدّه فاظهرَ فيهِ اللطمُ جمراً مضرّما
ومن سوسن لما رأى الصبغ كله على كلّ أنوار الرياض تقسما
تجليب من زرق اليواقيت حلة فأغربَ في الملبوس منه وأعلما
وألوان منثور تخالف شكلها فظل بها شكل الربيع متمما
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها رأيتَ بها كل الملوك محتما
فقم فاسقني ما حرّموه فما أرى من العيش حلواً غيرَ ماقيل حُرّما

وقال أيضا

قالوا عشقتَ كثير البخل ممتنعا فقلت هيهاتَ عنكم غابَ أطيبه
لو جادَ هان وقيلَ الجود عادته وإنما عزّ لما عزّ مطلبه

وقال

أرجى دنوّ الوصل من بعد بعده كما قد ترجى في الجدوب السحائب
وأكثر في الهجر العتاب كأنني لدهرى من ظلم الكرام أعاتب
وأهوى مواعيد المنى عنك بالرضى وقد تمنع الآمال وهي كواذب

وقال : حبذا زورا أتانى طارقاً بعد اجتنابه
شق جنح الليل بدر لاح من ثنى نقابه
طربت نفسي اليه والى طيب اقترابه
طرَبَ الشيخ اذا ذ كّر أيام شبابه

وقال

خلعت في حبهِ عذارى وطاب لي العيش باشتهاري

وذقت طعم الجنون فيه　　فكان أحلى من العقار
إن أبْدِ في حبه خضوعا　　فليس ذلُّ الهوى بعار
لو كان فى الحب لي اختيار　　لكان تركي لهُ اختيارى
مَنْ روحه في يدى سواه　　فهو حقيق بأن يدارى
لاتحمدونى على احتمالى　　هوانهُ واحمدوا اصطبارى

وقال

متى وعدتك في ترك الهوى عِدَة　　فاشهد على عدتى بالزور والكذب
أما ترى الليل قد ولت عساكرهُ　　وأقبل الصبح فى جيش لهُ لجب
وجدَّ فى أثر الجوزاء يطلبها　　في الجوّ ركض هلال دائم الطلب
كصولجان لجين فى يدى ملك　　أدناهُ من كرة صيغت من الذهب
فقم بنا نصطبح صفراء صافية　　كالنار لكنها نار بلا لهب
عروس كرم أتت تختال في حلل　　صفر على رأسها تاج من الحبب

وقال

قم فاسقنى والخليج مضطرب　　والريح تثني ذوائبَ القضب
كأنها والرياح تعطفها　　صف قنى سندسية العذب
والجوّ فى حلة ممسكة　　قد طرّزتها البروق بالذهب

وقال

وسحاب إذا همى الماء فيه　　ألقت الرعد فى حشاهُ البروقا
مثل ماء العيون لم تجر إلاّ　　ظل يذكى على القلوب حريقا

وقال

جوهرىّ الأوصاف يقصر عنه　　كل وصف لكل ذهن دقيق
شارب من زبرجد وثنايا　　لؤلؤ فوقها فم من عقيق

وقال صورة خالقه جامعا لكل شيء حسن بارع
وكل حسن من جميع الورى مختصر من ذلك الجامع

وقال

عشقت من لا ألام فيه وما يخلو من اللوم كل من عشقا
رأى الورى في سواه مختلف وأنت تلقاه فيه متفقا
وكل قلب اليه منصرف كأنه من جميعها خلقا

ألم فيه بقول إسحاق بن ابراهيم الموصلى : « خلق من كل قلب ، فهو يغنى كلاً ما يشتهيه »

وقال زارني في دجا الظلام البهيم قمر بات مؤنسى ونديمي
بحديث كأنه عودة الصحة في الجسم بعد يأس السقيم
تتلقى القلوب منه قبولا كتلقى المخمور برد النسيم

وقال ظفرت بقبلة منه اختلاسا وكنت من الرقيب علي حذار
ألذ من الصبوح على غمام ومن برد النسيم على خمار

وقال لا تلفين مقارنا من لا يزين من الصحاب
فالثوب ينفذ صبغه فيما يليه من الثياب

وقال ريق اذا ماازددت من شربه ريا ثنانى الرى ظمآنا
كالخمر أروي ما يكون الفتى من شربها أعطش ما كانا

وقال حملت كأسه إلى شفتيه كفه والظلام مرخى الإزار
فالتقى لؤلؤا حباب وثغر وعقيقان من فم وعقار

وقال وصفراء من ماء الكروم كأنها فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها كواكب در في سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت قميص بهار من قميص شقيق

وقال سلا عن حبكِ القلبُ المشوقُ فما يصبو اليك ولا يتوق.
جفاؤك كان عنك لنا عزاء وقد يُسلى عن الولد العقوق.

وقال كأن أوراق زهر للباقلاء بهيّه
خواتم من لجين فصوصها حبشيه

وقال أسنى الأمانى كلها وأجلُّ منها ماينال
كأس ومسمعة وإخ وان تحادثهم ومال

وقال أبصرَهُ عاذلى عليهِ ولم يكن قبلَ ذا رآه.
فقال لى لو هويت هذا مالامك الناس في هواهُ.
قل لى إلى من عدلتَ عنهُ فليس أهلُ الهوى سِواه.
فظل من حيث ليس يدرى يأمرُ بالحبّ من نهاهُ.

وقال فى ثقيل

ما السقم فى سفر والدَّينُ مع عدم يوماً بأثقلَ منهُ حين يلقانى،
مالي عليه معينٌ حين أبصرهُ غير الصدود وتغميض لأجفان.

وقال

إن كان قد بعدَ اللقاءُ فودُّنا دان ونحنُ على النوى أحباب.
كم قاطع للوصل يؤمنُ وُدُّه ومواصل بوداده يرتاب.

وقال لاوَعد الوصلِ باللحـ ظ على رغم الرقيب
واختلاس القبلةِ الـ حلوة من خد الحبيب
وسماعٍ مستطاب جاء في افظ مصيب
ماسوى الراح لداء الـ هم عندى من طبيب

وقال

يامن إذا لاحت محاسنُ وجهه غفرت بدائعُها جميعَ ذنوبه.

النجم يعلم أنّ عينى فى الدجا معقودةٌ بطلوعه وغروبه
إن كان في تعذيب قلبيَ راحةٌ لك فاجتهد بالله في تعذيبه
لو كان سفك دمى إليك محبباً لرأيتنى متضرّجاً بصبيبه

وقال

ازهدْ إذا الدنيا أنالتكَ المنى فهناك زهدُك من شروط الدين
فازْهد في الدنيا إذا مارمتها فأبت عليك كعفة العنّين

وقال

لاتحسدنّ صديقاً على تزايد نعمه
فإنّ ذلك عندى سقوطُ نفسٍ وهمه

وقال

وجلنار بهيّ ضِرامهُ يتوقدْ
بدا لنا فى غصون خضر من الرّى ميّدْ
يحكى فصوصَ عقيق فى قبة من زبرجد

وقال

أقبلَ والعذّال يلحوننى فكلهم قال منِ البدرُ؟
فقلتُ ذا من طالَ فى حبه منكم لىَ التعنيفُ والزجر
قالوا جهلنا فاغتفرْ جهلنا فليس عن ذا الامرِ صبر
عذرُك في الحب لهُ واضح وما لنا فى لومنا عذر

وقال

بما بعينيكَ من فتون ومن فتور بها وسحر
وبالعذار الذى تولى خلعَ عذاري وبسط عذرى
ومضحك منك لؤلؤى ممتزج مِسكته بخمر(١)
جد لىَ بالصفح عن ذنوبى أولا فعاقبْ بغير هجر

وقال

عدتُ إلي الغيّ بعد نسكى ولذّ لى فيك طعم محكى(٢)
أضحكُ للكاشحين جهرا ولى ضمير عليك يبكي

---

١ فى ط مسكنه ٢ المحك اللجاجه وعسر الخلق

تمنعني أن أبوحَ نفسٌ　تأنفُ من ذلةِ التشكي،
عيني التي أوقعت فؤادي　ياعينُ ماذا لقيتُ منك.

وقال　واحربي من جفون ظبي　أقام عذري به عِذاره
أسقم جسمي بسقم طرف　حيرني في الهوى احوراره
عجبتُ من جمر وجنتيه　يحرقني دونه استعارُه،
هذا اختياري فابصروه　شاهدُ عقل الفتى اختياره.

وقال لا تقبلنَّ من الرشيد كلامه　وإذا دعاك أخو الغواية فاقبل.
ودع الترمث والتجمل للورى　فالعيش ليس يطيب بالمتجمل.
واشرب مزعفرةَ القميص سلافة　من صبغة البردان أو قطربل.
كأس اذا رَمت الهمومَ بسهمها　لم يُخط نافذَه سواءَ المقتل
تحلو وتعذُبُ في النفوس كأنها　كبتُ العدو ورغمُ أنف العذَّل.
حمراء يرحب كلُّ صدر ضيق　معها ويفتح كلَّ باب مقفل
تحكي ضِرامَ النار إلا أنها　نار لعمرك ليس تؤذي المصطلي
لا سيما من كفّ طاوية الحشا　ترنو بناظرتي خذول مطفل[١].

وقال كتبتُ وفرط شوقي قد عناني　وقد بعد اللقاء على التداني.
وما في البيت لي ثان فكن لي　جعلتُ فداك يامولايَ ثاني.
فعندي مايجاوز كل وصف　ومايرضي الخليل إذا أتاني
خروف أظهرَ الشواءُ فيه　تأنقه فليس له مداني.
غلالة باطن منه لجين　وظاهرُه غلالة زعفران.
وكأس مثل عين الديك صرف　لها حبب كمنظوم الجمان.
تقادم عهدها فبدت كشخص　عديم الحسن موجود العيان.

١ الخذول المطفل هم الام الشفوق

لها في كفٍّ شاربها شعاع　　تطرَّف منه مبيضُّ البنان
يطوف بشمسها قمر منير　　تمكّن طالعاً فى غصن بان
وإن أحببت مسمعة أتتنا　　محذّقة بأصناف الأغانى (١)
تطلق همَّ سامعها ثلاثا　　بتحريك المثالث والمثانى
فهذا عندنا ولدون هذا　　لعمرك ما كفاك وما كفانى
فزرنا لاعدمتك من صديق　　تتمُّ لنا بزَوْرته الأمانى

وقال: فحم شبَّهُ الغلام وأدلى　　في كوانينه حياة النفوس (٢)
كان كالآبنوس غيرَ محلى　　فغدا وهو مذهب الآبنوس
لقي النار فى ثياب حداد　　فكسته مصبغات عروس

وقال بت ضيفاً لسيد يمنى　　فقرانى والجود قدما يمانى
وأتت عرسه تغازل إيرى　　قلت لاتفعلى فلست بزانى
ولو أنى فعلت ما كنت ممن　　يتصدى لنسوة الإخوان
فأتانى وقال نكها بعيشى　　فهى موقوفة على الضيفان
قلت قد زدتَ فى الضيافة معنى　　ما عرفناهُ فى قديم الزمان
قال من أجل ذاكَ طارَ لِيَ اسمٌ　　وألحَّ الضيوفُ في غشيانى
فمتى يدْعى معَ اسمى ضيوفٌ　　قيل مَرْعى وليس كالسَّعدان

القاضى ابو الحسن على بن النعمان

أنشدنى لهُ ابنُ وهب

ولي صديقٌ مامسنى عُدْمٌ　　مذ وقعَتْ عينه علىعُدْمى
أغنى وأقنى فما يكلفنى　　تقبيلَ كفٍّ لهُ ولا قدم

---

١ فى ط محدقة بالدال المهملة ٢ شبه أرقده

قام بأمرى لما قعدتُ به ونمتُ عن حاجتى ولم ينم

وأنشدنى له أيضاً :

صديقٌ لى لهُ أدبٌ صداقة مثله نسبُ
رعى لي فوقَ ما يرعى وأوجبَ فوق مايجبُ
فلو نقدت خلائقهُ لبهرج عندها الذهب

اسحاق بن أحمد بن الماردينى

أنشدنى لهُ ابنُ وهب يصفُ الثريَّا

ارّقنى الشوق فلم أكتحل بلذة الغمض الى الفجر
تسرى همومي فأراعى بهـا كوا كبًا دائبة تسرى
حتى كأنَّ البدرَ إذ أشرقتْ علي الثريا غرةُ البدر
صفحة مرآة وقد أذهبتْ بمقبض رصّعَ بالدُّرّ

وله في الليل والنجوم

كم مجهل بسوادِ الليل ملتبس باتت تقحمهُ العيسُ المراسيل
ليلٌ قد اختلفت أشكالُ أنجمه كأنهنّ عيونُ للدُّجى حولُ
تبدو الثرَيا ككف للدعاء بها قدمدَّها الصبحُ والجوزاء إكليل
تلوى رقاب المطايا من تطاوله وينهض الفجر فيه وهو مشكول

القاضى ابو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدنى له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهى مما يتغنّى بها

ربَّ ليلٍ لم أذقْ فيهِ الكرى حظ عينى فيه دمعٌ وسهرْ
طالَ حتى خلتهُ لاينقضى ونأى الصبحُ فما منهُ أثر

غـاب عنى قمر أحبتـهُ فتعللتُ بأنوار القمر
كلما هَيَّج شوقى حزَنى صحتُ ياليلى أما فيك سحر

وقال: رب خوْد عرَفت فى عرفاتٍ سلبتنى فى حسنهـا حسنـاتى
حرَّمت يوم أحرمت نوم عينى واستباحت حمـاىَ باللحظات
وأفاضتْ مع الحجيج ففاضتْ منجنونى سوا كبُ العـبرات
ولقد أضرمت بقلبىَ جمراً حين راحتْ للرَّمي بالجمرات
لم أنل من منى النفس حتى خفت بالخيف أن تكون وفاتى

وقال يصف الهلال

انظر إلى حسن ذا الهلال وقـد بدا لست مضـينَ من عمـره
وقد أطافَتْ بهِ كواكبُهُ حسنـاً فبيّنتـهُ لمعتـبره
مثلَ زناد قد صيـغ من ذهب يقدح ناراً وهنَّ من شرره
ثم تولى يريدُ مغربهُ في شفق الشمس وهي في أثره
نخلته غائصاً ببحر دم يقذف بالرائعات من دُرَرِه
فلم أزل ليلتى أراجعهُ لحظى وأبكى للوقت من قصره
حتى تبدَّى الصباحُ منتبهاً قبـل انتباه المخمور من سكره

وقوله في مليح بعمامة حرير حمراء

يامن يمر ولا تمـ ـرُّ به القلوب من الحرَق
بعمامـة من خـدهِ أوَ خـدُّهُ منها سرق
فكأنهـا وكأنه قمرٌ أحاط به شفق
فـاذا مشي واذا انثنى وإذا رنا وإذا نطق
شغلَ الجوارحَ والخوا طرَ والمسامعَ والحدَقْ

صالح بن مؤنس

أنشدنى لهُ ابنُ وهب في ابن رشدين صالح

يفديكَ بالمهجةِ ياصالحُ   من كل ما يكرهـهُ صالحُ
فأنتَ غصنٌ صيغَ من درَّةٍ   على ذراهُ قمرٌ لائحُ

وله فيه بديها : شرِبنا مثلَ ماءِ الور   دِ فى الطيبِ على الوردِ
ونادمتُ ابنَ رشدينَ   فما حدْثتُ عن الرشد
فتى كالبدرِ في الرفعـ   ـةِ والإشراق والسعد
كأنى منهُ فى الجـ   ـنة لو أظفرُ بالخلد .

ولهُ فيهِ   بك ياصالح أرضى   عن زمانى حين أسخط
فأدِمْ لى الوصلَ إنى   بكَ في العالم أغبط
أنت والرحمن مذ كنـ   ـت على قلبي مسلط
ومصيب أنا فى الـ   ـحبِ ومَن بعدِيَ يغلط
يا جواداً فى لهاه   بنداه اتبسط
اسقطِ الحشمة في الـ   ـعشرَةِ فالحشمةُ تسقط

ولهُ في جارية اسمها خمرَة واضمرهُ

ما اسمٌ إذا صحفتهُ وعكسته   ونقصتَ حرفاً منه كان سلاحا
وإذا أقام ولم يحلْ عن حاله   عادى العقول وصالح الارواحا

ولهُ فى بعض آل الفرات

قدمَ عيدٌ وعيد   ما اخضرَّ لى فيهِ عودُ
وكيف يخضرُّ عودى   والماءُ منهُ بعيد
يامنْ لهُ عدد الـ   ـمجد كلها والعديد

آل الفرات نداهم على الفراتِ يزيد
وأنت فضلك فيهم عليكَ منه شهود
وكل يوم لغيري من راحتيك مدود
هل لى إلى الرزق ذنب إن كان منه صدود
ما الناس إلا شقيٌّ في دهرنا وسعيد

وقال في صفة جدى

جد لى بجدى نعته من اسمه لم يلج التنور مثلُ جسمهِ
كأن بين جلده ولحمه لفَّات قطن بسطت من شحمه
يؤكل من نعمتهِ بعظمهِ

وله يصف رءوسا

قد غدونا على رءوس سمان ناعمات من أروس الخرفان
وارمات الخدود من غير سوءٍ شحمات العيون والآذان
تتداعى بالوهم من قبل أن تلمسها كف آكل ببنان
ولأصل اللسان طيب ينسيـ ـك من الطيب مص طرف اللسان
ورقاق ذي نعمة وبياض كوجوه المخدرات الحسان
وبُقول تغنيك عن زهرة الرو ض وتنسيك خضرة البستان
وأتت راحنا التى هي فى الا أرواح مثل الارواح في الابدان
ثم وافي بنفسج فى حداد فرأينا السرور في الاحزان
عند حرّ يستنفد الوصف مدحا وهو عبد لسائر الاخوان
أحكمتك الايام يا ابن حكيم فأريت الزمان حكم الزمان

وقال أيضا :

سأدمن شرب الراح مادمتُ باقيا وأمدحُ من شرابها كل مدمن

فما تكمل الاوقات إلاّ بقهوة ولا تحسن الايام الاّ لمحسن

وقال اذا هجا الشاعر فى خفية وخفض الصوتَ عن الرفع
ولاذ بالجحد لما قالهُ فانما خاف من الصفع

وقال في يوم شديد البرد

هذا لعمرك يوم يستطير لهُ من قرّه شعر الهامات بالرعد
لو شئتُ لا خائفا لدغا ولا ألما قبضت فيه على جمر الغضابيدى

وله في غلام صوفي

عشقت صوفياً لهُ شاهد يقيم عذرى عند عذالى
قد قصد الله بأحوالهِ فليته يقصد في حالى

وقال يهجو عبد الله بن أبى الجوع من قصيدة أولها

هاجيك فيما قالهُ مادح فانت فى صفقتك الرابح
ومايقوت الفيل من بقة أمثالها فى فمهِ طائح
وربَّ من ترفعهُ خزيةٌ ميسمها فى وجهه لائح
ففخرُ عبدالله في الناس أن يقول قد ناقضني صالح
ياابن أبي الجوع قد حت امرءاً من فكره يحترقُ القادح
لقد تعرَّضت على غرة قريحةً صاحبها قارح
فاركب ذَلول الامر أوصعبه فيَّ فقد جدّ بك المازح
وعقّ من أهلك من شئتهُ فإنما أنت لهُ فاضح
وأغدُ بما تهوى ورح إننى غادٍ بما تكرههُ رائح
ياأيها الصعو الذى لم يزل يرقص حتى دقهُ الجارح[1]

ومنها

إن زأرَ الليث على ماأرى وهاج يوماً ضرط النابح

---

١ الصعو العصفور الصغير

وودَّ أن يفلت من بعد ما ... أنحى على أوْداجه الذابح
إن الذى تطمعُ فى قربهِ ... نجم لمن يرمقهُ لائح
ياشارباً فى يده حتفهُ ... لم تدر ماخاض لك الجارِح
أراك قد لجت فى غمرة ... يغرق فى تيارها السابح
فقد تمرّست بمن شِعره ... كالبحر لا ينزفه الماتح
كم جامح قبلك ألجته ... بالذلّ حتى سكنَ الجامح

وقوله فيه

ياذا الذى عن رشده قد عمى ... لو كنت جلداً حِدتَ عن أسهمى
لو كنتَ شهما حازماً ضابطاً ... لما تقلبت على الشيهم (١)
ما أنت في فعلك إلا كمن ... تطعم الريق من الأرقم
كيف يخوض البحرَ من مثله ... يغرق في دائرة الدّرهم
فاثبت أواجزع كلّ ذا واحدٌ ... لا عاصمَ اليوم لمستعصم
استقدر اللهَ على كلّ ما ... ألصقَ منك الأنف بالمرغم
تجاسر الجوع على صالح ... تجاسرَ الكلب على الضيغم
وفاه باسمي مفصحاً بعد ما ... تركته أسكتَ من أبكم
وقال قوم قد غدا شاعراً ... والشعر لا يعرَف للمفحم
فقلت لا لوم على مثله ... من أخذَ الصفعُ قفاه حمى
أنا الذى ألبسته حسرةً ... بما جرى من ذِكره فى فمى
واللهِ لا يجهل من بعدها ... وفى قفاه للردى ميسمى
أبين به من ميسم واضح ... يضيء كالغرّة في الادهم
فليت شعرى كيف رام العلا ... وهمّ أن يرقي بلا سلم؟!

---

١ الشيهم الدلدل وذكر القنافذ أو ماعظم شوكها من ذكرانها

ومنها : ثم أتتْ بالصعو مستبشرا يروم أن يلحقَ بالقشعم
في الثمر المر دليل على رداءة الأصل لمستطعم

وله فيه

لاتعجبي لسكوتي بعد أشجاني فالعذرُ عن كل ماأهواه أسلاني
قد أرقأ اللهُ دمعي بعد جريته وأنقذ القلب من همّ وأحزان
فما أرى أحدا يصفي الهوى أحداً وجود هذا رعاك الله أعياني
لم يبق بين الورى إلاَّ مكاشرة تبدو لنا عن صدور ذات أضغان
أقول لابن أبي الجوع المنافق إذ لم ينهه الحلمُ عني وهو ينهاني
أراك تقرعني سرّاً وتعجمني فهل وجدتَ صفاتي غيرَ صوّان
تردّ في جبهة النقار معولهُ إذا تضعضع عنها كل كدان
العز داري وظهر العزم راحلتي والوحش أنسي وجن الارض إخواني

ولهُ في العناق وأحسن ما شاء

لي سيد مامثله سيد تصدَّت الحمى له فاشتكى
عانقتهُ عند موافاتها والأفق بالليل قد أحلوْلكا
فجاءت الحمى كعاداتها فلم تجد مابيننا مسلكا

وقوله يصف برّادة على حامل نحاس

أمّ الحياة على سرير نحاس عريانةً أبدا بغير لباس
هي في الموات لدى الورى معدودة لكنها ضمنت حياةَ الناس

وقوله بعين الله أنت فإنّ عيني اذا ماغبت داميةُ الجفون
كأنك مهجتي فإذا تدانى فراقك حمّ لي ريبُ المنون

وقال يصف البنفسج والورد

بنفسجٌ جاء في حدادِ وورد نا في معصفرات

فاشرب على مأتم وعرس جلاّ جميعاً عن الصفات

وسأله ابن رشدين المسير معه إلى القاش فقال مرتجلا

يا آمرى بالمسير في لجج الـ نيل كأن سخرت لى الريح
ما جدَّ الماء لى فأركبه كلا ولا صامت التماسيح

محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح

ياقاطعى بعد وصل تسوم مالا أسومك
ياليتَ أنى يوماً من الزمان نديمك
فالشوق عندى غريم كما السلو غريمك

وقوله فاضحَ الغصن النضير كاسفَ البدر المنير
أنت عذرى في حياتى ومماتى ونشورى
ماسرور غاب عنـ ـه صالح لى بسرور

محمد بن هرون بن الاكتمى

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوه

ياوزيراً إلى المكا ييل والبيع ينسبُ
من ير حُبك يتعبْ وأمانيه تكذّب
واذا مارجوته قلتُ مامات أشعب
يا وضيعاً ترجل الـ ـمجد مذ صار يركب

وله يهجو ابنى كشاجم أبا النصر وأبا الفرج

ياابنى كشاجمَ أنتما مستعملان مجربان

مات المشوم أبوكما   تخلقتماه على المكان
وقرنتما في عصرنا   ففعلتما فعل القران
لغلاء أسعار الطعا   م وميتة الملك الهجان

وقوله في عزاء

بقاؤكما يعيد الميت حيا   وان غطاه دونكما التراب
فلا تستشعرا حزنا عليه   فيذهب لاعدمتكما الثواب

وله في غلامه راشد

يا قمر الليل كن شهيدي   فأنت من أعدل الشهود
هل نمت أو ذقت طعم غمض   مذ هجعت أعين الرقود
وكيف يلتذ باغتماض   من لج مولاه في الصدود
فكن شفيعي الى حبيب   قد زاد في كثرة الجحود

وقال رحمه الله

كأن الأباريق مملوءة   ظباء وقوف على ساحل
رماها باسهمه قانص   فخضبها بالدم السائل

وقوله في شمعة: باكية ضاحكة   خدامها جلاسها
مظهرة أنوارها   ان جز منها رأسها
كأنها عاشقة   تذيبها أنفاسها

وقال: لو أنصفت عطفت أو رقت   ماأضنت الجسم ولا سلت
أهدى التي ان أقبلت أقبلت   دنياي أو غنت لنا غنت

وقال: يا أيها السيد استمع مقالي   فليس في قصتي ضلال
ثلاثة مالها مثال   السجن والجوع والعيال
ان دام هذا على منهم   صححت ماشنعوا وقالوا

ليس ان‌مت مات شعرى　　أفي وما قلته يقال

وقوله　ا كثر العذال لومى　　ياابن رشدين وزادوا
وبقلبي منك وجد　　ماله الدهر نفاد
قد تجافى عن جفونى　　مذ تجافيت الرقاد
فيك يا صالح لا　　قلب صلاح وفساد
أنا من حبك مولا　　ى عليل لا أعاد

وقوله　دافعتُ أيامى بأيامى　　حتى مضى أكثرُ أعوامي
وإنما عمر الفتى كله　　كأنه طارق أحلام
ياويح من أمسى على غرة　　وأنفه من حتفه دامي
يرمى بسهم للردى صائب　　من حيث لا يشعر بالرامي

عبيد الله بن محمد بن ابى الجوع

أحد رواة المتنبي الأدباء وأصحابه العلماء وممن تمهر فى لغات العرب وأجاد أنواع الأدب فمن شعره قوله رحمه الله تعالى

أظنكَ يا سيدى اذ جفوْ　　ت توهمت بى نبوة الغادر
وخلتَ بأنى مَلالا سلوْ　　تُ ولست بسال ولا صابر
وقد علم الله أنى عليـ　　ـك أشفق منى على ناظرى

وقال　صالحُ يامشبه بدر الدجى　　بالحسن والاشراق والرفعة
وجهك في الليل كشمس الضحى　　نوراً فما تصنع بالشمعة

وقال　ياأطيبَ الناس ريحا　　وأطيب الناس راحا
وما به أتصدى الـ　　ـأطراب والأفراحا
هات اسقني أو ترانى　　لا أعرف الاقداحا

واحفظ على فؤادى   من أن يطير ارتياحا
لو كنت كاسمك ياصا   لح اعتمدت الصلاحا
لكن أبى الله الا   أن تفسد الأرواحا

قال وكتب الى بعض اخوانه يستدعيه بهذه الأبيات

شعبان قد صار نضواً   ولم نفد فيه لهوا
وليس ذلك منا   جهلا ولا كان سهوا
فبالمــودّة إلا   بكرتَ للقصف عدْوَا(١)
حتى نقومَ فترفوا   ماخرَّق الدهرُ رفوا
من بعد تقديم جدْى   مسمَّن ظلَّ يُشوى
لهُ ثلاثون يوماً   يحبو إلى الضرع حبوا
وأوفر الزوْر في الخـ   ـل قد تبوأ مثوى
لما انتزعتُ حشاهُ   عوضتهُ البقلَ حشوا
وقد عنيتُ بجام   ملأتهُ لكَ حلوى
وقهوة بنتِ كرْم   صفت من الذم صفوا
ما شعشعت قط إلاَّ   سطت على الهم سطوا
جنبتها كلَّ وغد   يمحو المحاسنَ محوا
الا إذا ما اقتنصنا   عذبَ الخلائق حلوا
وشادن ذى دلال   يشدُو فيلهيك شدْوَا
إما غناء وإما   عجائباً عنهُ تروى
حتى تظل بما فيـ   ـه من وقارك خلوا
وعندنا لك وردٌ   يحدو المسرّةَ حدْوا

١ القصف اللهو وهو غير عربي والعدو الجرى

ريحانهُ لا يوازى لوناً وعطراً وسرْوا
فما اعتذارك فى أن تفنى زمانك صحوا
وأنت بعدَ قليل بالصومْ والله تطوى
أبا عليّ ألا اسمع نصيحة ليس تزوى
فانما نحن سفْر على محجة بلوي
ولا تعرج ذميا على معاهد حزوى (٢)

وقوله في البخر

لا تتنفَّسنَّ في مجلس أنا فيه وتنفسْ سرًّا وراء الباب
ثم لا تعترضْ لسرّ صديقٍ إنَّ ذاك السر سوطُ عذاب (١)
إنما فوكَ فقحةٌ كلَّ وقت تتصدَّى الأنوفَ كالنشاب
تصرعُ الطائرَ المحلقَ في الجوّ ولو غاب فى سواد السحاب

وقوله أرى اللذَّات تعبرُ بى يمينا على رغمى وتعبرُ بى شمالا
فأجرع دونها غصصاً لأنى أشاهدُها وما أعطيت مالا

وقوله وعذار مجعَّدٍ فوق خد موردٍ
كلما رمتُ فرصة لسعت عقربٌ يدى

الحسن بن محمد الشهواجى

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشروبا في يوم نيروز

اليومَ ياصالحُ ما تبصرُ وصحْوُ مثلى فيه مستنكر
وقد مضى الوعدُ وحصلتهُ وصفوه من مطله يكدر
فهاتِ ما يحضر إنى امرؤ يقنعهُ منك الذى يحضر

١ فى ط حذوى هو اسم موضع ٢ فى ط السراء

وله قولىَ ماض على العبـاد فما يردُّ فى جدِّه ولا لعبـه
ولى لسانٌ كأنه ظبة الـ سيف طويلٌ أكاد أعثرُ به

وقولـه

وقهوةٍ كشعاع الشمس صافية شربتها مع شَربٍ سادة كرما
إذا ثنوا رءوس الفرسان فى رهج حازوا الفخارَ وأجرَوْا بالسيوف دما
إذا رأيتهمُ أيقنتَ أنهمُ نجومُ كلِّ فخار لا نجوم سما

وقوله

تضيق بىَ الدنيا إذا كنتُ غائبا وأسرح فى أقطارها حينَ تقرب
وأنت جناحى كلما طرتُ للعلا وسيفي الذي أسطو بهِ حين أضرب

وقوله وقهوة فى كأسها ترمى الندامى بالشررْ
قد جمعتْ نشرَ الربا وبردَ أنفاس السحر
أطيبُ ما شربتها على غناءٍ ووتر
طوبى لمن حجَّ إلى كعبتها ثم اعتمر

وقوله

وعلوِّ قدركَ وهو أبعدُ غاية في كل حال من علو الكوكب
لأسيرنَّ مديحك الحسنَ الذى ألبسته ثوبَ الثناءِ الطيب
حتى يحدث من بأرض المشرق الـ أقصى حديثك من بأرض المغرب

وقوله ومهفهف ساق أغن سقيتهُ قبل الصبوح سلافة عذراء
ماصاح ديك الصبح إلا صيحة حتى توسد كفه إغفاء
جعلته قبل رقاده كاساته لما استقل لسانه فأفاء

ابو علي صالح بن رشدين الكاتب

أحد أئمة الكتاب المهرة في سائر الآداب، صحب المتنبي وروى شعره وكان جيد المعاني أنشدني له محمد بن عمر الزاهد

قل لمولايَ منعما لمْ صرمت المتيما
أنت أعطشتني إليْ ك وأبكيتني دما
فاذا شئت أن ترى عاشقاً ميتا ظما
فادر فيَّ ناظريْ ك تجدني توهما

وقوله:

أجنة نحن فيها أم نحن في المرْزجوش[1]
ما بين آس وماءٍ ينساب بين العروش
وقهوة ذات حسن وطاجن ذي نشيش
وسيد رِشت منه لما تطاير ريشي

وزاره ابن أبي الزلال في منزله فلم يره فطرح له رقعة من طاق في المنزل وكتب اسمه على الباب فلما أتى صالح ورأى اسمهُ على الباب ووجد الرقعة فقرأها فوجدهُ يعتبهُ فيها على انقطاعه عنه فذهب صالح في الوقت إلى منزل ابن أبي الزلال فلم يجده فكتب اسمهُ على بابهِ وترك رقعة فيها

قد ومن خصني بودِّك أذكى طولُ شوقي اليك في القلب نارا
سرتُ فيه تلقاء داري قصدا فاذا النور قد تغشى الديارا
فتعجبت أن أرى الأفق ليلا مدلهماً وجوف داري نهارا
وإذا خطك البديع على البا ب يبثُّ الضياء والأنوارا

---

١ المرزجوش معرب مرزنكوش ويسمى أيضا مردقوش وعربيته السمسق وهو نبات الياسمين

فتمنيت أنَّ خديَّ نعلا أخمصيك اللذين تحوي َسارا[1]
غير مستنكر لمثلك أن يسـ بق فضلا وأن يفوت فخارا
ثم أصبحت اشتكي اثر السكـ ر وعزمي زيارتيك ابتكارا
فاذا رقعةٌ تمر بها الريـ ح يمينا طورا وطورا يسارا
فتأملتها وكانت من اللا ئى تروق القلوبَ والابصارا
ما توهمتُ انني قبلها أقـ رأ خطا يزيل غنى الخمارا
قابلتني منها سهام عتابٍ جعلت درعى الحصين اعتذارا
واحاشيك أن تكون خليلا مَذِقَ الودّ الصديق معارا[1]

فلما رأى ابن أبي الزلال الرقعة كتب اليه بهذه الأبيات

بأبي أنت سابقٌ لايجاري قاده نحوىَ اشتياق فزارا
عاقنى الحظُّ أن أراه وأن نقضى عند اجتماعنا الأوطارا
يا ابن رشدين قد أفدت بك الرشـ د وبدلت بعد عسر يسارا
كنت بالأمس عند إخوان صدقـ ق أدباء ندير كأساً عقارا
قد جعلنا محمود ذكرك نقلا وشربنا من قبله تذكارا
ثم إني انصرفت سكران اعتـ س طريقي تمايلا وعثارا[2]
والدجى كالهموم في قلب من فا رق عشقا وغربة وادكارا
أخبط الليل مفرداً إذ تراءى لىَ نورٌ أضاءَ ثم استطارا
فهنيئاً إني أودّك ودًّا ترتضيه مغيباً وجهاراً
ثم أخبرتني بشكواك فيها فوقاني الإله فيك الحذارا
لم أزل دائباً أكرر قولى كان لى فيك حافظ الجار جارا

---

١ المذق المداهن ٢ عس واعتس طاف بالليل

احمدبن محمد العوفي

أنشدني لهُ محمد بن عمر الزاهد قولهُ

ياحسرة في نفوس ... وياشجى في حلوق
يافضة بين ثنيي ... غلالة من عقيق
عليَّ لازلت همي ... في صبحتي وغبوقي
ودون سلوة وجدي ... وجدان بيض الانوق[1]

وأنشدني أيضاً

ياموقظاً طرفَ همي ... من بعد ماكان أغفى
تظنّ مابتّ أخفيـ ... ـه من جوى بك يخفي
ولي لسانٌ دموع ... ما يكتم الناسَ حرفا
إذا تظلم طرفي ... وقعتُ بالطرف تكفي

وأنشدني لهُ

قد عابني برقادي ... خياله حين زارا
ولا وحبيه ماإن ... فعلت ذاك اختيارا
طمعت في أن أراهُ ... طوعاً فنمت اضطرارا
فتلك علة نومي ... ياملزمي فيه عارا

القائد أبو تميم سليمان بن جعفر

كتب إلي صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب فامتنع عليه وكتب لهُ هذه الأبيات

يأأيها القائد الجليل ومن ... أصبح بالمكرمات يفتخر

١ الانوق العقاب أوطائر أسود يحرز بيضه فلا يكاد يوصل اليه

آليت لاأشرب المدام وإن … كانت ذنوبُ المدام تغتفر
يكفي أخا العقل أنَّ سوْرتها … تجنى على عقله ويعتـذر[1]

فكتب اليه القلائد أبو تميم

أبا على حاشاك ياأملى … من ان أراك الغداةَ تعتذرُ
قلبي إذا غبتَ ساعة قلق … يكادُ شوقا إليك يستعر
فسر الينا فوقتنا حسنٌ … ساعدَ فيه السحاب والمطر

قال ابن رشدين حضرتُ عند القائد أبى تميم فى ضيعة لهُ فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبده ذاهبة وجائية فحملنى النبيذ أن أخذتُ رقعة وكتبت فيها اليه

صالح لايزال يطلب عبدَهُ … من كريم يصفي الاخلاء ودَّه
قد بثثت الغداة وجدى وحبي … من ولىٍّ يولى لمولاهُ مجده
فإذا شئتَ أن أُرى لك عبدا … فتفضل أبا تميم بعبده

فقرأها وأمسك فارتعت وخفتهُ وتماديت في الشرب معهُ ثم نهضت الى منزل أنزلنى فيه بقربه فلما استقر بى أنفذ لى الجارية ومعها درج فيه طيب كثير وعليها ثياب رفيعة حسنة ورقعة فيها شعر

قد بعثنا أبا علىٍّ بعبده … وقضينا بذاك حقَّ المودة
وحمدناك اذ خطبت الينا … أسأل الله أن يهنيك حمده
فخذَنها فأنت أكرم كفؤ … وهي ماعشت كاسمها لك عبده

وقال الخادم الذى جاء بها يقول لك مولاى لاتخرج غدا من منزلك أو يأتيك رسولي فلما أصبحت جاءنى القائد أبو تميم بجواريه المغنيات وطباخه معهُ طعام كثير قد أعدّه وشراب فما زلنا نأكل ونشرب الى الليل وانصرف فرحاً مسروراً

---

[1] سورة الخمر حدته

ابو هريرة احمد بن عبد الله بن ابى العصام

أنشدنى له ابن أبي وهب

لئن ذهبت أيامُ لذتنا الأولى   بذى الأسل ماوجدى عليها بذاهب
الا ليت أياما مضت لم تكن مضتْ   ففقدى لها ياصاح إحدى المصائب
رعى اللهُ أيام السرور فانها   تمر سريعات كمر السحائب

وقوله في رثاء صالح

قد أفسدَ الموتُ على صالح   كلَّ الذي أصلحه صالح
وانصرف البوّاب عن بابه   وصاح في مجلسه الصائح
خلوْه فى دار البلا مفردا   وناح في أوطانه النائح
ياليت شعرى ماالذى قاله   إذ راح في حفرته الرائح
ياأيها الناس ألا فاسمعوا   قولى فإنى مشفق ناصح
لاتؤثروا الدنيا على غيرها   ففرق مابينهما واضح
فالحمدُ لله وشكرٌ لهُ   كل امرىء عن أهله نازح

وقوله من رسولى اليك أو من شفيعى   ياشبيه الهلال عند الطلوع؟!
أنت فى القلب شاهد ليس يخلو   من ضميرى وأنت بين ضلوعى

وقوله

أما ترى الغيم كالباكي بأربعة   والأرض تضحك كالجذلان من فرح
فقم فديتك نشكو مانكابدهُ   من الزمان ومانلق الى القدح

وقوله كم لى بدير القصير من قصف   مع كلّ ذى نشوة وذى ظرف
لهوت فيه بشادن غنج   تقصر عنهُ بدائع الوصف

وقوله اذكرتنى يادير من قد مضى   من أهل ودّى ومصافاتى

كم كان لى فيك وفيهم معا من طيب أيام وليلات
أشكو الى الله مصاباتهم وفقـدنا اهل المروءات

وقوله : كتمت حبك في قلبي فما وسعه هذا وليس له شغل سواه معه
يامن إذا ما بدت للناس صورته رأيت فيها فنون الحسن مجتمعه
والله ماحلتُ عما قد عهدتَ ولا أصغيتُ أذنا إلى العذال مستمعه
— رفقا بمن لو تسلى عنك يا أملى بكل شيء على الدنيا لما نفعه

ابو القاسم بن على بن بشر

أنشدنى له محمد بن عمر الزاهد يصف العذار

مَن عذيرى إلى العذار الجديد مَن رسولى إلى القريب البعيد ؟
دبَّ في خده العذار فحاكى ظلمة النحس في بياض السعود

وقوله أما ترى لى ناظراً شاهدا بالحب والأعين رُسل القلوب
ودون إلحاح جفونى به تخبر عما في فؤادى الـكئيب
وأنت لاشك به عالم لأن عند المرد علمَ الغيوب

وقوله ضممتهُ ضمّ مفرط الضمّ لا كأب مشفق ولا أم
— ولم نزل والظلام حارسنا جسمين مستودعين في جسم
— ألثمه فى الدجا وبرق ثنايا هُ يرينى مواقعَ اللثم
— ثم افترقنا عند الصباح وقد أثّرْت فيه كهيئة الختم

وقوله إذا ذكرت أياديك التى سلفت مع قبح فعلى وزلاتى ومجترمى
— أكاد أقتل نفسى ثم يدركنى علم بأنك مجبول على الكرم

وقوله أنت منى بحيث مأوى الغرام وبحيث افتقاد طيب المنام
فى فؤادى وناظرى وهما منـ ـك قرينـا صبابةٍ وانسجام

وقوله لحى الله امرءاً يوعيك سرًّا ... لتكتمه وفض اللهُ فاهُ
فانك بالذى استودعتَ منهُ ... أنمُّ من الزجاج بما حواهُ

وقوله بيضاء جنح جبينها ... فى ليل طرّتها البهيم
ضدان ما اجتمعا لغيـ ... ـر تشتتِ الصبرِ المقيم
ولذِكرُها أندى على الا ... كباد من برد النسيم
ووصفت نعمة حسنها ... فنعمت فى صفة النعيم

وقوله ديون المكارم لاتنقضى ... كما تنقضى واجباتُ الديون
ولكنها فى قلوب الكرا ... م تجول مجالَ القذى في العيون

وقوله طرفى على ماعهدتَ من ارقه ... فيك وقلبى يزداد من حرقه
ولى حبيب أقام معتنق ... كما اقام الشهابُ فى غسقه
وجملة الامر اننى رجل ... قد مِتُّ قبل الفراق من فَرَقِه(1)
هذا حديثى والشمل مجتمع ... فما حديثى فى عقب مفترقه ؟ !

قال لى الزاهد اخبرنى ابن بشر انهُ كان لهُ جد لأم يعرف بكولان وكان هو من أهل الادب والكتابة وحسن الشعر والخطابة . قال لى حججت سنة من السنين وجاورت بمكة حرسها الله فاعتللت علة تطاولت بى وضاق معها خلقى ثم صلحت منها بعض الصلاحِ ففكرت فى أنى عملت فى أهل البيت تسعا واربعين قصيدة مدحا فقلت اكملها خمسين ثم ابتدأت فقلت (بنى أحمدٍ يا بنى أحمدٍ) ثم ارتج عليَّ(2) فلم اقدر على زيادة فعظم ذلك عليَّ واجتهدت في ان اكمل البيت فلم أقدر فحدث لى من الغم بهذه الحالة ما زاد على غمى باضاقتى وعلتي فنمت اهتماما بالحال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فجئت اليهِ فشكوت اليه ما أنا فيه ِمن الاضاقة وما أجده من العلةُ واخرى من القلة فقال لى تصدَّق

---

١ الفرق الخوف ٢ ارتج عليه استغلق عليه الكلام

يوسعْ عليك ، وصم يصح جسمك فقلت له يارسول الله وأعظم مما شكوته اليك أنني رجل شاعر أتشيع واخص بالمحبة ولدك الحسين وتداخلني له رحمة لما جرى عليه من القتل وكنت قد عملت في اهل بيتك تسعاً واربعين قصيدة فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن اكملها خمسين فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعا وارتج عليَّ اجازتهُ ونفر عني كل ما كنت أعرفهُ فما اقدر على قول حرف قال فقال لي قولا نحا فيه الى انهُ ليس هذا اليَّ لقول الله تعالى « وما علمناهُ الشعر وما ينبغي لهُ » ثم قال لي اذهب الى صاحبك وأومأ بيده الشريفة الى ناحية من نواحي المسجد وأمر رسولا أن يمضي الى حيث اومأ فمضى بي الرسول على ناس معهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهُ فقال له الرسول اخوك وجه اليك بهذا الرجل فاسمع ما يقولهُ قال فسلمت عليهِ وقصصت عليهِ قصتي كما قصصت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي فما المصراع قلت

بني احمد يابني احمد

فقال للوقت قل :

بكت لكم عمدُ المسجد

بيثرب واهتز قبرُ النبي ... أبي القاسم السيِّد الاصيد

واظلمت الأفقُ أفقُ البلا ... د وذرَّ على الارض كالأثمد

ومكة مادت بيطحائها ... لإعظام فعل بني الاعبد

ومال الحطيم بأركانهِ ... وما يالبنية من جلمد

وكان وليكم خاذلا ... ولو شاء كان طويلَ اليد

قال وردَّدها عليَّ ثلاث مرات فانتبهت وقد حفظتها.

الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

أنشدني الزاهد له

ومهتتك له نظرٌ يصون مواقع النظر
هلال لو بدا للسَفْر ألهاهم عن السفَر
فوا ويلاه من قمر يريك مساوىَ القمر
لقد أصبحتُ من كلفى بغرته على غرر

وقوله يامريداً منىَ الوصل ووصلى في يديه
أنا لا أعرف من لا يعرف الحقَّ عليه

وقوله من أبيات

تختال فى حلل الصبا كالبدر فى حلل الغيوم
وإذا تثنتْ جالَ فى أعطافها ماء النعيم
ينسيك طيبُ نسيمها بعد الكرى بردَ النسيم

وله أول قصيدة :

هو السيف لا يكسوك ما لم يجرد فجرّدهُ واسترفد بغربيه ترفد

أبو الحسن اللطيم

أنشدني ابن وهب قوله

لاتنكرى سرعة اختلاسى لذّات أياميَ القصار
فانّ علمى بغدر دهرى صيرنى خالعَ العذار

وقوله أهديتَ لي تذكرة خاتماً اسمك منقوشٌ على فصه
فما اعترتني زفراتُ الهوى إلاّ تروّحتُ إلى مصه

سليمان بن حسان النصيبي رحمه الله

أنشدني ابن وهب له

وهتوفٍ ورقاء أرقتِ العيـ ... نَ وزادت خبلَ الفؤاد خبالا
ذات طوق من الزبرجد يحكى ... صفو عيش عنى تولى وزوالا
أيقظتنى والصبحُ قد خالط الليـ ... ل كما خالط الصدودُ الوصالا
وتراها كأنما بدموعى ... خضبوها أو خاضت الجريالا[1]

وقوله يصف الراى المقلى وهو ضرب من السمك

ما رأينا مثل هذا الرا ... ى حسنا ما رأينا
صار تبراً بعد أن كا ... ن عقيقاً ولجينا

وقوله في شمعه

ومجدولةٍ مثل صدر القنا ... ة تعرّتْ وباطنها مكتسى
لها مقلة هي روح لهـا ... وتاج على الرأس كالبرنس
إذا رنقت لنعاس عرا ... وقطّت من الرأس لم تنعس
وإن غازلتها الصبا حركت ... لسانا من الذهب الأملس
وتنتج فى وقت تلقيحها ... ضياء يجلى دجا الحندس
فنحن من النور فى أسعُد ... وتلك من النار فى أنحس
وقد ناب وجهك عن ضوئها ... وعن ذا البنفسج والنرجس
ولكنها آلة للندا ... م ونجم تألق فى المجلس
توقدها نزهة للعيو ... ن ورؤيتها منيةُ الأنفس
تكيدُ الظلامَ كما كادها ... فتفنى وتفنيه فى مجلس
فياربة العود حُثّي الغنا ... ويا حاملَ الكأس لاتحبس

1 الجريال صبغ أحمر

ويا صالحُ انعمْ وعشْ سالِمًا   على الدهر فى عزك الأقعس

وله يصف روضة

وروضة ذاتِ غدير متئِق[١]   وزهر مثل عشور المهرق
ونرجس مثل العيون الرمق   أجفانها من لؤلؤ مفلق
باهتة قد فتحت لم تطبق   وسوسن غضّ النبات مونق
يشف فيه كالزجاج الازرق   وقد حكاهُ فى ضياء الرَّوْنق
بنفسج مثل اللجين المحرق   ياحسنها من روضة لم تطرق
كأنها سافرة عن خلق   أوْحسن ما ألفته عن منطقِ.
جا كرتها مثلَ انفلاق الفلق   وشهبه حائرةٌ فى الأُفق
فى عصبة غرٍّ كرام سبَّق   يخطرنَ فيها بقسى البندق
كل فتى فى قصده موفّق   كأنه من نفسه في فيلق
مقرطس في رميهِ مؤنق   وهو يراعيها بطرف شيق
خوفاً عليها وهوعينُ المحنق   فصادَ ما شاءَ بلا تعوُّق
ورواح من نجيعه فى يلمق[٢]

وله في الحمَّام

أنتَ فى الحمام موقو   ف على قلبي وسمعى
فتأملهــا تجدْها   كونت من بعض طبعى
حرّها من حر أنفا   سى وفيضُ الماء دمعى

وله يصف ناعورة

كم نعرت بالحي ناعورة   حنينها كالبربط الناعر
فتارة تحسبها قينــة   تردّد الزمر على الزامر

---

١ المتئق الممتلىء من كل شيء بما يناسبه   ٢ فى ط بلمق وهو خطأ والیلمق القباء

وتارة ثكلى جرى دمعها في مستهل واكف ماطر
ـــ كأنما كيزانها أنجمٌ دائرة في فلك دائر

الحسن بن على الامدى كاتب السر

كتب اليه أحمد بن محمد بن اسماعيل الرسيّ يطلب منه الكتاب الذى عمله المعروف بالأنيس فأنفذ إليه الجزء الأول منهُ وكتب اليه

قد بعثنا بمؤنس لك فى الوحـ ـشة خل يدعى كتاب الأنيس
فيه مايشتهى الأديب من العلـ ـم وفيه جلاءُ هم النفوس
فيه ماشئت من بدور معان ضاحكات إلى وجوه شموس
والنفيسُ البهيُّ مازال يهدَى كلَّ حين إلى البهى النفيس

فلما قرأ رقعته كتب على ظهرها ارتجالا

قد قرأتُ الكتاب ياخلَّ نفسي فهو لى مؤنسٌ وأنت الأنيس
فهو تأليفُ ذى ذكاء وفهم وهو وقفٌ على العلوم حبيس

وحكي عنهُ أنهُ قال قد كان أبو الحسين جنْبَك الأخشيدى من كرماء الناس وكانت بينى وبينهُ مودة فكنت أغشاه كثيراً للحوائج التى تعرض اليه فاستخدم بوابا فحجبني غير مرة فكتبت اليه

ياعلَمَ المكرمات والسؤددْ اليكَ أشكو بوّابكَ الأسوَدْ
يبعدنى كلما دنوتُ وما حق كريم الوداد أن يبعد
في كلِّ يوم ألقى بطلعته طالعَ نحس يسومنى أنكد
وجه شئيم بكلِّ فاحشة عليه من كلِّ مشهد يشهد
كلب يهرُّ الضيوف إن طرقوا فِناءك الرحبَ كالخُ أعقد
أبعدهُ وانفِ الخبيثَ عنكَ كما ينفِي القذيَ عنهُ خالصُ العسجد

أولا فلن تستطيع تنظم ما عنك من المكرمات قد بدّد
وما انتفاعُ الورى ببحر ندى تذادُ عنهُ العطاشُ لاتورد

فما شعرت حتى جاءنى خادم له يقال له بشري ، وكان يحبه ، والبواب الأسود معه ، وقال لى إن مولاى يقرأ عليك السلام ويقول لك قد غمنى ماجرى من البواب وقد قرئ علىّ الشعر ، ولو كنت أحسن قوله لأجبتك ، ولكنى قد أنفذته اليك وأمرت بشرى أن يضربه بين يديك ثلاثين مقرعة ، ونحبسه فشكرت له ، وقلت لبشرى قل له ياسيدى ماأحب أن تبلغ به إلى هذا كله وسألت بشرى أن لايضربه ، فقال والله مالى إلى تركه من سبيل ، وقد قال لى سيقول لك لاتضربه وعلى لئن رددته إلى بلا ضرب لأضربنه بين يدى مائة مقرعة ، قلت فإذا كان كذلك فاضربه ضرباً خفيفا ولاتحنثه فضربه بحضرتى ضرباً خفيفا ، وانصرف به ولا والله مارأيته فى داره بعدها

ابو القاسم أحمد بن محمد بن اسماعيل بن طباطبا الحسني الرسي

أنشدنى له ابن وهب قوله

يابدر بادر إلىّ بالكأس فرب خير أتى على يأس
ولا تقبل يدى فإن فمى أولى بها من يدي ومن رأسي
لاعاش في الناس من يلوم على حبي وعشقي لأحسن الناس

وقوله : قل للذى حسنتْ منه خلائقه باكر صبوحك واسبق من تسابقه
أما ترى الغيمَ مجموعا ومفترقا يسير هذا إلى هذا يعانقه
كعاشق زار معشوقا يودعه قبل الفراق فآلي لا يفارقه

وقوله

قالت أراك خضبتَ الشيبَ قلت لها سترته عنكِ ياسمعى ويابصرى

فاستضحكت ثم قالت من تعجبها ۞ تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقوله عيرتنى بالنوم جوراً وظلما ۞ قلت زدت الفؤاد هما وغما

اسمعى حجتى وان كنت أدرى ۞ ان عذرى يكون عندك جرما

لم أنم لذة ولا نمت إلاَّ ۞ طمعا في خيالك أن يلما

وقوله خليليَّ إنى للثريا لحاسد ۞ وانى على صرف الزمان لواجد !

أيبقى جميعا شملها وهي سبعة ۞ وأفقد من أحبته وهو واحد

كذلك من لم تخترمه منية ۞ يرى عجبا فيما يرى ويشاهد

وقوله وهو مما يتغنى به

قالت لطيف خيال زارنى ومضى ۞ صف لى هواهُ ولاتنقص ولاتزد(١)

فقال أبصرته لو مات من ظمأ ۞ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

قالت صدقت الوفاء فى الحبّ عادته ۞ يا بردَ ذاك الذى قالت على كبدي

وقوله سأعتبها حتى ما استعتبت ۞ وان لم تكن أبداً معتبه

وسوفَ أجرّ بها بالصدود ۞ ومن يشرب السم للتجربه؟!

ولده ابو محمد القاسم بن احمد الرسى

أنشدنى له ابن وهب

اذا الكروان صاحَ على الرمال ۞ وحل البدر فى برج الكمال

وجعد وجهَ بركتنا هبوب ۞ تمر به الجنوب مع الشمال

وحرّكت الغصون فشابهتها ۞ قدود سقاتنا في كل حال

فهات الكأسَ مترعة ودعنى ۞ أبادر لذتى قبلَ ارتحالى

---

١ تنسب هذه القصيدة لجماعة من الشعراء منهم يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف فى الرواية

فكلُّ جماعة لاشك يوما يفرّق بينهم صرف الليالي

وقوله اذا التحفَ الجوُّ بالأدكن وغنى الحمائم بالارعن (١)

وهبَّ نسيمُ الصبا سُحرةً بريح البنفسج والسوسن

وحنَّ إلى القصف ألآَّفه فبادر إلى شيخك المنحني

فنفسْ من الخنق أوداجه وسق الندامى ولاتنسني

وقوله يهجو ابن كلس المتطبب

توقَّ معزَّ الدينشؤمَ ابن كلس ولاتقبلن منه مقال مدلس

فإنا أردناه لكافور شربة فزاد على تقديرنا ألف مجلس

اخوه ابو اسمعيل ابراهيم بن احمد الرسى

أنشدت له

عرفتُ الديار على مابها وأوقفت ركبي على بابها

وناديت فيها بأعلى الندا ء مراراً باسماء أربابها

فلم أرَفيها سوى بومها تصيح جهاراً بأترابها

فاعلمني ذاك أن الزما ن أخنى عليها وأودى بها

ولده ابو عبد الله الحسين بن ابراهيم بن احمد رحمهما الله تعالى

أنشدني له الزاهد

شُم النسيمَ لذيذاً من قبل أن لاتشمه

واصرف عن القلب ماا طعت بالمسرّة همه

وغالطِ الدهرَ إن كنـ تَ لستَ تملكُ حكمه

وقد نصحتكَ جهدي فلا تصم وتكمه

وقوله صدفت عنا نوارُ ولقد كانت تزور

---

١ في ط الارغن والارعن موضعا بحرين

ثم قالت كيف أودى   ذلك الغصنُ النضير
وشبابٌ يتلالا   فيه للناظرُ نور
قلت ان أنصفت هذا   لابن خمسين كثير

أبو الحسن العقيلى رحمه الله

أنشدنى الزاهد قوله

لنا أخ يحسن أن يحسنا   جناهُ للجانين عذبُ الجنى
قد عرفت روضة معروفه   بانها تنبت زهرَ الغنى
إذا تبدى وجه إحسانه   تنزهت فيه عيونُ المنى

وقوله

الصبحُ ينشر فوق مسـ   ـك الليل كافورَ الضياء
والبرقُ يذهب ما تفضـ   ـضه الغيوم من السماء
فاشرب على ديباج نبـ   ـت قد أحاطَ بشرب ماء
فالعيش في زمن الربيـ   ـع رقيقُ حاشية الرداء

وقوله

وراح تتيهُ بأنفاسها   على مايفوح من العنبر
كأن زجاجاتها درة   تشف عن الذهب الاحمر

وقوله

تاه الربيع بآذريونه وزها   لما بدا منه نشرٌ في الربا أرج
كأنّ أغصانهُ فيروزج بهج   من فوقه ذهب في وسطه سبج

وقوله

اشرب على زهر البنفسج قهوة   تنفي الاسي عن كل صبّ مكمد
فكأنه قرص بخد غريرة   أو أعين زرق كحلن بأثمد

وقوله

ونارنجة بين الرياض نظرتها   على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريحُ مالت كأكرة   بدت ذهباً فى صولجان زمرد

وقوله

ومدامة يبدو اليك جنينها   وعليه تاج لم يصغهُ صائغ

تخفي لقرط صفائها فكأنما ابريقنا اللآن منها فارغ

وقوله

ان كنت تعلم أن لي علماً بأسرار السرور
فاعمل بحسب وصيتي لك في ملازمة البكور
ودع الصغيرَ مكانهُ واعدل إلى جهة الكبير
ما بين ورد كالخدو د واقحوان كالثغور
وعليك بالذهب الذي أجراه روباس العصير
مازال يسبك بالذى قد شب من نار الهجير
حتى صفا فكأنه دمعُ الطليق على الاسير

وقوله

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فينا الرجاء والاملُ
كلٌّ فتى ليس في مودّته مذق ولا في خلاله خلل
لو أبصر البحرُ فيضَ أنملنا فاض على وجهه فيضه الخجل
تسبق أموالنا مؤملنا لا يعترينا مطل ولا بخل
تسمح قبل السؤال انفسنا بخلا على ماء وجه من يسل

ابو القاسم بن ابى العفير الانصارى رحمه الله

أنشدت له

وروض كحسن العرف يسرى وبهجة من الزهر فيها شاكلت بهجة الحمد
يريك عناقَ العاشقين عناقهُ بثغر على ثغر وخدّ على خد

وعارضه المتنبي بحضرة كافور فى قصيدته الميمية التى أولها

نظر المحب إلى الحبيب غرام

فقال له العرب لا تقول اليه غرام وإنما تقول له فقال له الانصارى تقول اليه ولديه وله ، حروف الخفض ينوب بعضها عن بعض. والوزير أبو بكر ابن صالح الروزباري

حاضر والوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات حاضر فقال الانصاري

أما الثناء فصادر بك وارد   بادٍ بما تسدى إليّ وعائد
لك ياأبا بكر إلىّ صنائع   أيقظن أحوالى وجدى راقد
أوليتنى نعما متى انكرتها   شهدت علىّ مواهب وفوائد
نعم أقرّ بها وكم من نعمة   يخفى المقرّ بها ويحظى الجاحد
ولرب ليل قد هجرت رقاده   لك والردى مغفٍ وطرفي ساهد
أتحلل الكلم العوان تحللا   فاغافص المعنى كأنى صائد
وقصائد لى فيك لولا أنها   كم شهدت بانهنّ مشاهد
ولهنّ فى عين الولى شواهد   تترى وفي عين العدو جلامد
لما رعيت مودتى وخاطتنى   ببنى أبيك ظننتُ انك والد
ولقد علمت وأنت خير معلم   أن الثناء على الليالى خالد
لما تعرض لي بمقت حاسدي   أبدى الملام وكيف يرضى الحاسد
مازال ينشد قائماً حتى إذا   أنشدت عارضنى لأنى قاعد
في مجلس أما الوزير فمنكب   فيه يؤيده وأنت الساعد
ولّى ولا أنا شاكر لسؤاله   فيهِ ولا هو للإجابة حامد

أحمد بن محمد الكحال

أنشدنى له الزاهد وقد كتب إلى بعض اخوانه يستهديه جرة نبيذ

لو قد سألتك حسب قد   رك ما رضيت بألف جره
ولقل ذاك لقدر من   لا تحصر الاوصاف قدره
فابعث إلىّ بجرة   وكفاف ما أبغيه جره
وتوخها كبر الجرا   ر فرب وافية كزُ كره (١)

١ الزكرة زق الخمر

من رسم بسطام الذى أحيا بحسن الرسم ذكره
لا بوطسا يؤذى النديـ ـم ولا مذاقته بمرّه (١)
واعلم بأن محلها عند الضرورة مثل صره

وكتب إلى بعض اخوانه يستدعيه

لاتتركنْ لغدٍ مالا ولا سبدا فلست تقتل علماً أهل تعيش غدا
خذ من زمانك ماجاد الزمان به فمن جنى بعض مايهوى فقد سعدا
أنت ابن وقتك فاحذر أن تضيعه فليس يرجع وقت فائت أبدا
وعندعبدك شيء ان نشطت له وزرت زدت أياديك الكرام يدا
راى طرىّ كقاب الفتر تحسبهُ ذو با من الفضة البيضاء أو بردا (٢)
كأن كفا عليه جرّشت قطعا من اللجين صغار النظم أو زردا
كأن قاليه بالقلى ألبسهُ من الشقائق أثوابا له جددا
كأنه في سعير القلى منقليا صبّ تقلبه كف الهوى كمدا
كأن ياقوتة حمراء هللها صوّاغها ذهبا للحسن متحدا
كأنه كان فى نهر الحياة فما يكاد يسلم منهُ روحه الجسدا
وقهوة تذكر الافلاك ساكنة مشمولة افنت الايام والمددا
يديرها قمر في كفه قمر من الرحيق يزيل الهم والكمدا
فلا تضيع سرورا جاء عن كثب عجزاً فتكتسب التوبيخ والفندا (٣)

ابو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب الى صديق له يستدعيه ارتجالا

---

١ فى القاموس الوطس الضرب الشديد ٢ الفتر ما بين طرف الابهام والسبابة والقاب للقوس ما بين مقبضها وسيتها ٣ الفند اللوم والتقريع

لنا مسمعة حلوه ولون يفتق الشهوه(١)
فيالبارع من مجد ك ان لم تجب الدعوه

وأهدى إلى بعض إخوانه مقطاً وكتب اليه

اني بعثت مقطا غير محتشم ولم أجل في الغنى فكرى ولا العدم
ولو بعثت سوادى ناظرى لما كانا كفاء لما تولى من النعم
فاقبله واجعله مما يستعان به فانه خادم السكين والقلم

وقوله يصف النرجس

خواتم من لجين فصوصها كارباء(٢)
وليس تضحك الا اذا بكتها السماء

وقوله منذ حل السواد زاد البياض واعتداءاته طوال عراض
واذا ماطغى المشيب فلا المنـ قاش يقوى به ولا المقراض
وكثيرا أرى جساما صحاحا لأناس فيها قلوب مراض

واهدى الى الإخشيد خاتما وكتب معه

وذى عنق لم يطل عليه ولم يقصر
ومتنين قد حصرا على قدر الخنصر
وقد زاد في ضمره على الفرس المضمر
وأسفله فضة واعلاه من جوهر
بعثت به معسرا الى ملك موسر
ولا غرو ان يهدى الـ ـمقل إلى المكثر

وقوله قد قات اذ سار السفين بهم والسوق ينهب مهجتي نهبا

---

١ لون يفتق الشهوة اى طعام مشهى ٢ لعله يريد كرباء وهو الكهرمان

لو أن لى عزا أصول به لاخذت كل سفينة غصبا

.. احمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوى

أنشدت له قوله

اذا ما نلت من دنياك حظا فأحسن للغنى وللفقير
ولا تمسك يديك على قليل فان الله يأتى بالكثير

وقوله خاطبتُ شمسَ النهار إذ بدت وقلت ما أنت لى بمنصفة
إن التى أشبهتك مائلة من بعد ذاك الوصل قد جفت(١)
فعاتبيها فليس يقنعنى ياشمس من شبهك الذى أتت
لما رأتني على الوفاء لها صدّت وما أنصفت ولا وفت

أبو محمد بن أبى عمرو الطرازى

أنشدت لهُ

نار جرت في غاية ترمى العلا بالشهب
كأنها جيش وغى فرسانه من ذهب

وقوله يصف الفستق

وفستق رأيت منـ ـه طرفا من الطرف
كأنه لما بدا والراح فينا تختلف
زمرد ضُمّنه من خالص العاج الصدف

أبو الحسن على بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له

ربَّ صبح كطلعة الوصل جلى جنح ليل كطلعة الهجران

١ فى ط ان الذى وجفت من الجفاء

زار في حلة البزاة فولى الـ ... ـليل عنه في حلة الغربان

وقوله
ويوم كأن الروض خاط لضوئه ... قراطق من وشى غلائلها الغدر
كأن صفاء الجو ناظر أزرق ... له الغيم جفن هدب أجفانه القطر
كأن أعالي السرو بين رياضه ... مطارف لفت في مواكبها خصر

أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد

لا تصحب الدنيا كئيباً مكمدا ... من ذا رأيت من البرية خالدا
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنه ... فلقد حباك به الغمام واسعدا
وردٌ كأن اصولهُ وفروعه ... سقيت دماً حتى ارتوى فتورّدا
وشقائق شقَّ القلوب كانهُ ... خدّ مليح ضمَّ صدغا أسودا
والماء يجرى في الرياض كأنه ... سيفٌ صقيل من قراب جردا(1).
فاشرب عليهِ فإنهُ وقت إذا ... ولى تفاوتَ أن ينالَ فيوجدا

وله
فلو زين الحسنُ في وجهه ... بهجر الصدود ووصل الوصال
لتم وإن كنتُ ما إن أرى ... بديعَ الجمال جميلَ الفعال

ابن الزيعي

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها

ياحسرة في القلب ما أقتلها ... كأنها في القلب أطرافُ الأسل
فكم وكم من ليلة طيبة ... أحييتها في الدير في خير محل
دير القصير الفرد في صفاته ... يامن رأى الجنةَ من غير عمل

(1) القراب غمد السيف

أشربها راحاً شمولا قرقفا   تدب في الجسم فما تبقى علل[1]
يديرها ذو غنج بطرفه   يحيي إذا شاء وإن شاء قتل
كأنه غصن من البان وقد   زاد عليه بالقوام المعتدل
ألثغ حتفُ النفس في لثغته   تاه بها على الورى تيهَ مدلّ
إن قال نار قال ناغ أو يقل   نور يقل نوغ بدلٍّ وغزل
فاحثث كؤوس الراح ياساقينا   واغتنم الدهرَ فللدهر دُوَل
من قبل أن يطرقنا بينٌ فلا   ينفع عند البين ليتَ ولعل

محمد بن عباس البصرى

المعروف بصاحب الراقوبة

قال   لاتعذلونى فما مثلي بمعذول   جسمي سقيم وأمرى غير مجهول
إن ملّ مولاي وصلي بعد ألفته   فإن مولاى عندى غير مملول
ملكتَ قلبي ولم تعطف على دنف   ما كلُّ ذاك على قلبي بمعزول

وقوله   ياحاملَ الكاس أدرها واسقنى   قد ذعر الشوق فؤادى فانذعر
أما ترى البركة ما أحسنها   اذا تداعى الطير فيها وصفر
أما ترى نوّارها أما ترى   حسنَ مسير مائها اذا انحدر
كأنما الجوهرُ فى ألوانه   نثر في تلك النواحى فانتثر

وقوله   أما طغا فقد طغى   والطرفُ منه قد بغى
شهرَ السلاحَ بطرفه   فتكا وما شهدَ الوغى
لولا مخافةُ عقربٍ   فى صدغه أن يلدغا
لالثمتُ منهُ ممسكاً   ومصندَلا ومصبّغا

---

١ القرقف الخمر يرعد عنها صاحبها

وقوله . أتاني في قميص اللاذ يسعي   عدوٌّ لي يلقبُ بالحبيب (1)
فقلت له لِمَ استحليتَ هذا   فقد أصبحت في زيٍّ عجيب؟
فقال الشمس أهدَتّ لي قميصا   غريبَ اللون من شفق المغيب
فثوبي والمدام ولون خدّي   قريب من قريب من قريب

وقوله وشمعة ظلْت أناجيها   تبيت تبكي وأبكيها
كأنما صفرتها صفرتي   ومدمعي دمع ماقيها
أعارَها قلبيَ من ناره   فمثل مافيهِ كذا فيها

ابو عبد الله الحسين المعروف بالجمل

له في طبيب

اذا سقام عراكَ نازله   فاندب أبا جعفر لنازله
يعرف مايشتكيه صاحبه   كأنما جال في مفاصله

ابو عبد الله بن العرمرم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا

شيخٌ وبرد وسمكْ   لكل مايخشى شركْ
فهاتِها صافيةً   وضمّن الكأسَ الدَّرَكْ
ولا تبالِ بعدَها   من لام فيها وترك

وقوله وليْتم أمرَ الخراج محمدًا   فغدا الخراج بغير جيم يكتبُ
ان كان من عدم الرجال دهيتم   فالكلب فيكم عن قايل يخطب

وقوله في ابخر

أردتُ لقاءه فلقيت منه   كما يلقى الخلاء من الفِقَاح

---

١ اللاذة ثوب من حرير احمر صيني جمعه لاذ

وجالسنى فلم أشعرْ بأنى ولم أبعد جليسُ المستراح

أحمد بن صدقة الكاتب

كتب الى ابن رشدين يستدعيه

بالله ياصالح قم مسرعا إلي عقار أدركت تبّعا
وساعد الليلةَ في شربها وخذ من السكر بها مصرعا
وقد بذلنا لك أرواحنا لما رأيناكَ لها موضعا

أبو الحسن بن ابى ياسر

قال يصف شمعة

وهيفاءَ من ندماءِ الملو ك تزيدُ فينقص من قدرها
اذا ضحكت جنح داجى الظلا م بكت فجرى الدمعُ من نحرها
فان نعست للسكرى نعسة فايقاظها القص من شعرها

محمد بن عاصم الموقفي

أنشدنى له الزاهد في الفصادة

ألا قل لعلوان كيف اجترأ تَ على الاسد الباسل الخادر[1]
وكيف أرقتَ دما دونه يراق دم الجحفل الثائر
ترفق قليلا على مرفق به مرفق البدو والحاضر
فليس الحديد على ساعد ولكن من الدهر فى الناظر

وقوله أسكر الخمرَ خمرُ ريقك حتى باتت الخمر من رضابك سكرا

١ الخادر المقيم فى اجمته

فلهذا اراكَ تزدادصحوا　　وأراها عليك لا تتجرا

وقوله　اشرب على الجيزة والمقس　　من قهوة صفراء كالورس (١)

وروّح النفس بها إنما　　عيش الفتى في راحة النفس

وأنس باخوان الصفا إنهم　　من أكبر النزهة والأنس

فلست تدرى ايمّا ساعة　　تبيت تحت اللحد والرّمس

والمرء لايعرف فى يومه　　يصبح في دنياه أو يمسى

وقوله　أقول والليل دجي مسبل　　والأنجم الزهر به ميّل

ياطولَ ليل ماله آخر　　فيك وصبح ماله اول

وقوله　اشربْ ستنسى ويلك معمن نسى　　من قهوة قوصية المغرس

في قمر للرُّبع من شهره　　كشقّة من درهم اطلس

وقوله　ياحادى اللذات عرِّسْ بنا　　ويا مدير الكأس قم فاسقنا

أماترى شمس ضحى يومنا　　قد لبست مطرفها الادكنا

والروض للوسميّ في حلة　　أذهبها من بعد مالوّنا

وقوله　اشربْ شمولا على ريح الشمال فقد　　هبت شمالا ولاحَ الصبح فاتضحا

كانها جنةٌ في الكف مائلة　　تبدو فيخفي ضيا أنوارها القدحا

كأن حاملها من خمرِ ريقته　　وافى بها أولها من خده اقتدحا

وقوله　وظبي زارنى من غير وعد　　نعمت بقربه بأتم سعد

سقانى ثمَّ نقلنى بلثم　　على عجل وحيّانى بورد

وشمرَ ساعداً فيه وُشوم　　بقلبي مثلها من أجل صد

فكأن كفضة سبكت عموداً　　عليها أسطرُ باللازورد

وقوله في دير القصير من قصيدة أولها

---

١ المقس موضع على نيل مصر

إن ديرَ القصير هاجَ ادّكارى لهوَ أيامى الحسان القصار
وزمانا مضي حميداً سريعاً وشباباً مثل الرّداء المستعار
عرفتنى ربوعهُ بعد نكر فعرفتُ الربوع بالإنكار
ولو أن الديار تشكوا اشتياقا لشكت جفوتى وبُعدَ مزارى
ولكادت نحوى تسير لما قدْ كنتُ فيها سيرتُ من أشعارى
وكأنى إذ زرتهُ بعد هجر لم يكن من منازلى ودیارى
إذ صعودى على الجياد اليه وانحدارى فى المعقبات الجوارى
بصقور إلى الدماء سوار وكلاب على الوحوش ضواري
منزلا لستُ محصياً مالقلبى ولنفسى فيه من الأوطار
منزلا فى علوّه كسماء والمصابيح حوله كالدرارى
ومنها غرَّدت بينها الطيورُ فطارت بفؤاد المتيم المستطار
كم خلعتُ العذارَ فيه ولم أرع مشيباً بمفرقي وعذاري
كم شربنا على التصاوير فيه بصغار محثوثة وكبار
صورةٌ من مصور فيه ظلت فتنة للقلوب والأبصار
أطربتنا من غير شدْوٍ فأغنت عن سماع العيدان والمزمار
لا وحسن العينين والشفة اللمي اء منها وخدّها الجلنارى
لا تخلفتُ عن مزاريَ ديرا هي فيه ولو نأى بى مزارى
فسقى الله أرضَ حلوان فالنخ لَ فديرَ القصير صوبَ العشار
كم تنبهت من لذاذة نومي بنعير الرُّهبان في الأسحار
والنواقيسُ صائحاتٌ تنادى حيَّ يانائما على الابتكار
قبلَ أن يبلى الجديدَ الجديدا ن بليل معاقب ونهار
إنما هذه الحياة عوار وعلى المستعير ردُّ العوارى

وقوله أأيامى بشاطى البركتين سقاكِ اللهُ نوءَ المرزمين
لقد أذكرتنى طربى ولهوى ووكلت الفؤاد بلوعتين
ترى أيامنا فيكَ المواضى يعودُ وصالها من بعد بين
سقى اللهُ البقاعَ مُلثٌّ قطر وأعطشَ منزلا بالجهلتين
ودار على المدار رهام مزن تسير إلى جنان السروتين
فكم من بيعة عقدت لقصف وغرف في رياض البيعتين
وكم من مدنف قد حاز وصلا ونال مناهُ وسط المنيتين
وقوله اشرب بطموى من صفراء صافية تزرى بخمر قراهيت وغايات[1]
على رياض من النوّار زاهرة تجرى الجداول فيها بين جنات
منازلا كنت مفتونا بها يفعا وكن قدما مواخيرى وحاناتى
كأنما النيلَ في مرّ النسيم بها مسيلٌ في دروع سامريات

ابو الفتح البستى الكاتب

أنشدنى له محمد بن عمر الزاهد يصف شمعة من أبيات

قد شابهتنى فى لون وفى قصف وفي نحول وفي دمع وفى سهر

هذا تشبيه خمسة بخمسة وقد أجاد غاية الجودة وقوله

صحت السلاحُ لشدة الحرب والمستغاث لشدة الكرب
حتى إذا لبسوا سلاحهم وتشدّدوا لوقائع الحرب
ناولتهم قلبي وقلت لهم هذا المسيء فقطعوا قلبى
وقوله لئن صدعَ الدهرُ المشتت شملنا فللدهر حكمٌ في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة وللشمس من بعد الغروب طلوع

---

١ طموية من قرى مصر

وان نعمة زالت عن الحب وانقضت فانَّ لها بعد الزوال رجوعُ
وكن واثقاً بالله واصبرْ لحكمه فانَّ زوالَ الشر عنك سريع

وقوله وغزالةٍ غازلتها في المقس من أولاد حام
نظرتْ بعينىْ ظبية ونظرتُ من عينى قطام (١)
وتبسمت وكأنها برق تألّـق من غمام
ثم انثنت مثلَ المهى وتبعتها رتك النعام
حتى دخلنا بيتها فحصلت في البيت الحرام
فجعلتُ أفتح ميمهـا لما جثوْت لها بلامى
وكأننى إذ ذاك أو لجتُ الضياءَ على الظلام
ضدّان لم يجمعهما إلا المحبـةُ للحرام
كانت لعمرى عاهة جمعت غرابا مع حمام

أبو سهل بن أسباط الـكاتب

قال إن كنتَ ياقلب عزمت الهوى فاستخر الله إذا أقبلا
ولا تكن ياقلبُ مثل الذى قدّم رجلا وثنى رجلا
حتى تلاقى فى الهوى أهله وقلمـا تلقى لهُ أهـلا
لاتوردنّى مورداً كلما قطعت وحـلا ألتقى وحلا

عبد الله الصفري

قال يصف الشيب
بدا الشيبُ فى رأسى فقالت تعجبا لقدشبت من هجرى وأنتَ صغير

١ قطام امرأة يضرب بها المثل فى حدة البصر واصابة الرأى

فقلت لها لا غَرْوَ إن وصالكم   يرد شبابَ المرء وهو كبير

ابو عباس الكندى

قال يصف الندى على البحر

كأن الندى في البحر بحرانِ مائعٌ   على مائع هذا على ذاك مطبق
فهذا لجينٌ سابحٌ مترقرق   وذاك لجين في السماء معلق
اذا أبصرته الشمس بعد احتجابها   له ساعة أبصرته يتمزق

وقوله
عِذارك المنقطعُ المسبلُ   يقطع عذرى عند من يعذل
ووجهكُ المقبل إقبالَ من   أنت على طلعته مقبل
لاعشتُ إن أعدمهُ فالذى   يعدمهُ يعدمُ ما يأمل

وقوله يصفُ السحابَ

سارية فى غسق الظلام   دانية من قلل الآكام
جاءت مجىء الجحفل اللُّهام   فافترقت كالإبل السوام
كأنها والبرق ذا ابتسام   كتيبة مُذْهَبةُ الاعلام
دنت من الارض بلا احتشام   ثم بكت بكاء مستهام
وانتشرت بسائغ الانعام   وثروة تحكم فى الاعدام

احمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال فى ولده وقد حُمَّ

اعزز على بنى ما تلقى   سدَّت علىَّ شكاتك الطرقا
قد كنتُ بالحمى أحقَّ فليتنى   ألقى من الحمى الذى تلقى

ابو العباس الزوفي

أنشدت لهُ في الشيب

قد رابنى من شيبتى ريب وفلَّ من غَرْبِ صبوتى الشيب
وكانَ ثوب الشباب أحسنَ ملبوساً بهاء فأخلق الثوب
من عابنى بالمشيب قلت لهُ صدقت فالشيب كله عيب
طلائع الشيب كلما طلعت شق على ميت الصبا جيب

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت لهُ

هاتِ هتورٌ بكثرة الفرح واقدح زِنادَ اللهو بالقدح
وصل الغبوقَ إذا وصلتَ إلى الممسى وإن أصبحت فاصطبح
أبرِد إلى الندمان رسلك ما بردَ النسيمُ وغنّ واقترح
أصلح فسادَ العيش مجتهدا ففسادُ عمرك غير منصلح

ابو بكر الموسوس المعروف بسيبويه

أبو بكر هذا من البصرة وكان يشبه فى حضور جوابهِ وبيان خطابهِ وحسن عبارتهِ وكثرة درايته بأبى العيناء، وكان قد تناول البلادر فعرضت لهُ منه لوثة وكان الناس يتبعونه ويكتبون عنهُ مايقول فقال يوماً للمصريين « ياأهل مصر أصحابنا البغداديون أحزمُ منكم، لايقولون باتخاذ الولد حتى يقتنوا له العقد والعدد فهم أبدا يعزبون . ولا يقولون باتخاذ العقار خوفاً أن يملكهم شر الجار، فهم أبداً يكنزون ولايقولون باظهار الغنى فى موضع عرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون»

ووقف يوماً بالجامع وقد أخذت الحلق مأخذها فقال « ياأهل مصر ، حيطان المقابر أنفع منكم يستند اليها ويستدرى بها من الريح ، ويستظلّ بها من الشمس. والبهائم خير منكم تمتطى ظهورها وتؤكل لحومها وتحتذى جلودها».

وكان ابن حنزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً فقال له سيبويه وقد رآه فعل ذلك : يشمّ الوزير رائحة كريهة فيشمر أنفهُ ؟ فاطرق واستعمل النهوض فخرج سيبويه فقال لهُ رجل من أين أقبلت ، فقال : من عند هذا الزاهي بنفسه ، المدل بعرسه ، المستطيل على أبناء جنسه. وكانت زوجته ابنة الاخشيد

وأخلى الحمام لمفلح فجاء سيبويه ليدخل فمنع وقيل له الأمير مفلح داخل ، فقال: لا أنقى الله مغسوله ولا بلغهُ سؤله ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج من الحمام فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لاحد ثلاث مبتلى في قبله ، أو مبتلى في دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأى الثلاثة أنت ؟.

ومن شعره

اعذر أخاك على رداءة خطه ... واغفر رداءتهُ لجودة ضبطهِ
فالخطُّ ليس يرادُ من تحسينهِ ... وبيانهِ إلاّ إبانةُ سمطهِ
فإذا أبان عن المعانى سمطه ... كانت ملاحتهُ زيادة شرطه

ابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم

أنشدت لهُ

غنتْ فأخفتْ صوتها في عودها ... فكأنّما الصوتان صوت العود
غيداء تأمر عودَها فيطيعها ... أبداً ويتبعها اتباعَ ودود
أندى من النوّار صبحاً صوتها ... وأرقُّ من نشر الثنا المعهود
فكأنّما الصوتان حين تمازجا ... ماء الغمامة وابنةُ العنقود

وقوله سقى الله أحياءَ اللوى كلما سقى بضربٍ من المزن الكنهور هامل (١)
إذا نثرت ريحٌ جمان سحابة غدا وهو حلىٌ للرياض العواطل
بهِ خفقُ برق ليس بين جوانح ووسواس رعد ليس بين مفاصل
إذا كاد درُّ البرق يلمس نبتهُ تلقاهُ درُّ النور بين الخمائل

وقوله يجرى النسيمُ على غلالة خدّه وأرق منهُ مايمرُّ عليه
ناولتهُ المرآةَ ينظرُ وجههُ فعكست فتنة ناظريه إليه

وقوله صديقٌ قدندمتُ على اختياري له لما تأملهُ اختباري
ينم بسرِّ مستوعيه سرّا كما نمَّ الظلام بسرِّ نار
أنمُّ من النصول على مشيب ومن صافي الزجاج على عقار

وقوله وذى حرص تراه يلم وفرا لوارثه ويدفع عن حماهُ
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ فريستهُ ليأكلها سواهُ

وقوله لكل شيء في الورى آفة وآفة المرء من الكبر
يحسب أن الكبر فخر له وليس غير العلم من فخر

ابو القاسم عبد الغفار المصري

انشدت له

إنما الفضل غرَّة في وجوه المدائح
أرَيحى رياحه عبِقاتُ الروائح
كعبة الجود كفه بين غاد ورائح
انما تصلح الامو ر برأى ابن صالح

(١) الكنهور من السحاب قطع كالجبال أو المتراكم منه

أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوى

انشدنى ابن وهب له

لم يطل ليلى ولكن   سهرى كان طويلا
وكذا ليس يلذّ الا   نومَ من كان عليلا
ياغزالا لم اجد عنه   الى الصبر سبيلا
هب لعين سهرت فيك   من الغمض قليلا

محمد بن جعفر الانصارى الكاتب المعروف بالقضير

من شعره

قد طال منك المطل فى الوعد لى   وانت فى مطلك لى لا تخطى[1]
لو كنت تعطى مال مصر وما   حوت من الدور على الشط
وما بدار الضرب من عسجد   لكان كفرا بالذى تعطى

ابو على تميم بن معد صاحب مصر

انشدنى له على بن مأمون المصيصى

يادهر ما اقساك من متلوّن   فى حالتيك وما اقلك منصفا
اتروح للنّكس الجهول ممهدا   وعلى اللبيب الحرّ سيفا مرهفا
فاذا صفوت كدرت شيمة باخل   واذا وفيت نقضت اسباب الوفا
لا ارتضيك وان صفوت لاننى   ادرى بانك لا تدوم على الصفا
زمن اذا اعطى استردّ عطاءه   واذا استقام بدا له فتحرفا
ماقام خيرك يازمان بشره   اولى بنا ماقل منك وما كفى

1 فى ط وانت فى مطلك لى تخطى

وقوله أيادير يوحنا سقتك رعود   من الغيم تهمى مزنها وتجـود[1]
فكم واصلتنا من رباك اوانس   يطفن علينا بالمدامة غيـد
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسم   وناب عن الورد الجنى خدود
وماست على الكثبان قضبان فضة   فاثقلها من حلهن عهود
ليالىَ أغدو بين ثوبى صبابة   ولهو وأيام الزمان هجود
واذ لمتى لم يوقظ الشيب ليلها   واذا اثرى في الغانيات حميد
وقوله يامنتهى املى لاتُـدْنِ لى أجلى   ولا تعذب ظنونى فيك بالظنن
ان كان وجهك وجها صيغ من قمر   فان قدك قدّ قُـدّ من غصن
وانشدنى لهُ من قصيدة اولها

سرى البرق فارتاع الفؤاد المعذب

يقول فيها

وبات ضجيعى منه أهيفُ ناعم   وادعجُ نشوان وألعس اشنب
كأن الدجى فى لون صدغيه طالع   وشمس الضحى في صحن خديه تغرب
وانى لألقى كلّ خطب بمهجة   يهون عليها منـه مايتصعب
واستصحب الاهوال فى كل موطن   ويمزج لى السمّ الزعاف فاشرب
فما الحر الا من تدرع عزمـهُ   ولم يك الاّ بالقنـا يتنكـب
ومالى اخاف الحادثات كأننى   جهول بأن الموت ما منهُ مهرب
خليلىّ مافى أكوس الراح راحتى   ولا فى المثانى لذتى حين تضرب
ولـكـننى للمدح أرتاح والعـلا   وللجود والإعطاء اصبو واطرب
ومَن بين جنبيه كنفسى وهمتى   يروح له فوق الكواكب موكب
وقوله إذا حان من شمس النهار غروبُ   تذكر مشتاق وحنّ حبيب

---

١ فى ط مرحنا

ترى عندَهمْ علم وإن شطَّت النوى بأن لهم قلبي عليَّ رقيب
لهم كبدى دونى وقلبي ومهجتى ونفسى التي أدعى بها وأجيب
فآية حزنى لوعةٌ وصبابةٌ وعنوان شيبي زفرة ونحيب
ومابلد الإنسان إلاَّ الذى له به سكنٌ يشتاقه وحبيب
إلي الله أشكو وشْكَ بين وفرقة لها بين احشاء المحب دبيب
وقوله أما والذى لايملك الأمرَ غيرُه ومن هو بالسرّ المكتم أعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما لإعلانها عندى أشدّ وآلم
وبى كل ماتشكو العيون أقلهُ وإن كنت منهُ دائما أتبسم

وقوله وهو مما يتغنى به

قالت وقد نالها للبين أوجعهُ والبين صعب على الاحباب موقعهُ
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت قواهُ عن حمل مافيه واضلعهُ
واعطف على المطايا ساعة فعسى من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنى يوم ولت حسرة وأسى غريق بحر يرى الشاطى ويمنعهُ

وقوله

وغضبى من الادلال والتيه والهوى بلاغضب سكرَى الجفون بلا سكر
كأن على لباتها رونق الضحى وفى حيث يهوى القرط منها سنا الفجر
ترى البدر مثل البدر فى صحن خدّها وتفتر عن مثل الجمان من الثغر
وقوله اما ترى الرعد بكى فاشتكى والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجا اضحكَ وجه الارض لما بكى
وانظر لماء النيل فى مَدهِّ كأنه صندل أو مُسّكا
وقوله وليلة بتها على طرب آخرها مشبه لأولاها
أقبّل البرق من ترائبها وألثم الشمس من محياها

سقتنیَ الراح وهي خداها ... باكؤس السكر وهي عيناها
إذ أرادت مزاجها جعلت ... بآخر اللحظ فى فمى فاها
فيالها قهوة معتقة ... وليس إلا الخدود مأواها
حبابها الثغر حين يمزج لى ... ونقلها اللثم حين اسقاها
لله أيامنا التى سلفت ... بدار حزوى ماكان أحلاها
فالقصر من حيرة الملوك إلى ... أعلى رباها إلى مصلاها
إذ نجتنى اللهوَ من أصائلها ... والعزّ من فجرها ومغداها
إن عرضت لذة ملكناها ... او صعبت خطة حويناها

وقوله

وصفراء لم تطبخ بنار شربتها ... على وجه معشوق السجايا مقرطق
كأن حباب الكأس من نظم ثغره ... واشراقها من خده المتألق

وقوله

لو صورت خلقها أرادتها ... ماقدَّرتهُ كمثل ما قدرا
كالمسك نشرا والبرق مبتسما ... والغصن قدا والحقف مؤتزرا

وقوله

شبهتها بالبدر فاستضحكت ... وقابلت قوليَ بالنكر
وسفهت قولى وقالت متى ... سمجتُ حتى صرتُ كالبدر؟
والبدر لا يرنو بعين كما ... أرنو ولا يبسم عن ثغر
ولا يميط المرط عن ناهد ... ولا يشد العقد في نحر
من قاس بالبدر صفاتى فلا ... زال أسيرا في يدى هجرى

وقوله

ناولتها شبه خديها مشعشعة ... صرفا كأن سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهى ضاحكه ... وكيف تسقى خدود الناس للناس
أليس خدایَ ذابا اذ لمستهما ... فاستنبطا قهوة حمراء في الكاس
قلت اشربى انها دمعى وحمرتها ... دمي وطابخها فى الكأس انفاسي

قالت اذا كنت من حبي بكيت دما ... فسقنيها على العينين والراس

ياليلة بات فيها البدر معتنقي ... وباتت الشمس فيها بعض جلاسى

وبت مستغنيا بالثغر عن قدحى ... وبالخدود عن التفاح والآس

وقوله

وما ام خشف ظل يوما وليلة ... بيلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم فلا تدرى الى اين تنتهي ... مولهة حيرى تجوب الفيافيا

اضر بها حر الهجير فلم تجد ... لغلتها من بارد الماء شافيا

اذا بعدت عن خشفها انعطفت له ... فألفته ملهوفا الى الجوع ظاميا

بأوجع مني يوم شدّوا رحالهم ... ونادى منادى الحى ان لا تلاقيا

وقوله مفتخرا

القى السكىّ فلا اخاف لقاءه ... ويفل اقدامى شبا الحدثان

وأكر فى صدر الخميس معانقا ... للموت حين يفر كل جبان

ويزيدنى كل الخطوب تعظما ... وتسلط الايام عز مكان

وعلمت اخلاق الزمان فلم اضق ... ذرعا بايامى وغدر زمانى

وكما يمل الدهر من اعطائه ... فكذا ملالته من الحرمان

وكما يكر لمعشر بسعادة ... فكذا يكر لمعشر بهوان

فاذا رماك بشدة فاصبر لها ... فلسوف يأتى بعدها بليان

وسل الليالى عن نفاذ عزيمتى ... وسل الحوادث عن ثبات جنانى

تخبرك عني انني لم القها ... بين العزائم واهنَ الاركان

اصبحت لأشتاق الاّ للندى ... إلفا ولا اهوى سوى الإحسان

وإذا السيوف قطعن كل ضريبة ... قطع السيوفُ القاطعات لسانى (١).

---

١ الضريبة فعيله بمعنى مفعولة والمقصود المضروبة

وقوله سقّياني فلست أصغي لعذل | ليس الا تعلة النفس شغلى
أأطيع العذول في ضد ما | اهوى كأني اتهمت رأيي وعقلي
عللاني بها فقد أقبل الـ | ـليل كانون الصدود من بعد وصل
وانجلى الغيم بعد ما اضحك الرو | ض بكاء السحاب فيه بوبل (١)
عن هلال كصولجان نضار | في سماء كأنها جام ذبل

احسن في هذا التشبيه ماشاء وقوله

اذا هب سلطان المريسى نافخا | سحيرا وحل القرّ كل نقاب
ومد على الأفق الغمامُ ثيابه | فقم فالقه فى عدة وحراب
بكن وكانون وكأس مدامة | وكيس وكسّ وافر وكباب

وقوله ورْد الخدود ارقُّ من | ورد الرياض وانعم
هذا تنشقه الانو | ف وذا يقبلهُ الفم
فاذا عدلت فافضل الـ | ـوردين ورد يلثم
هذا يشم ولا يضمّ | وذا يضم ويشم

وانشدني المصيصي له

وجْنة من شفني هواهُ ومن | افنيت فيهِ دموع آماقي
كأنما الصيرفي دنَّر ما | يحمرّ منها ودرهم الباقي.

وانشدني له ابو الحسن على بن مأمون المصيصي من قصيدة مخمسة اولها

دم العشاق مطلول | ودين الحب ممطول
وسيف اللحظ مسلول | ومبدى الحب معذول
وان لم يصغَ للاّثم

إذا لم يظهر الحبُّ | ولم ينهتك الصب

---

٢ الوبل المطر الغزير

ويفشي سرهُ القلب   فجملة ما ادعى كذب
فبح يا أيها الكاتم
وأحور ساحر الطرف   يفوق جوامع الوصف
مليح الدل والظرف   جنت ألحاظه حتفي
فمن يعدى على الظالم
أطاع جفونهُ السحر   وذل لوجهه البدر
ومادَ بردفه الخصر   وأشبه ثغره الدرّ
فقلب محبه هائم
يعنفنى على حبي   ويهجرني بلا ذنب
كأنى لست بالصب   لقهوة ريقهِ العذب
أما في الحب من راحم
غزال لحظه شرَكه   وبدرٌ ثوبهُ فلكه
لو أني كنت أمتلكه   فانهب ماحوت تككه
نهاب الظافر الغانم
خذوا بدمى قنا القد   وحسنَ تورد الخد
وليل الشعر الجعد   وثقل الكفل النهد
وسقم الاعين الدائم
متى يظفرُ بالوصل   وينفى الجور بالعدل
محب دائم الخبل   سليب الصبر والعقل
كئيب مدنف هائم
بحسن الاعين النجل   وعض الوقف والحجل
وذاك القصب الجدل   وريقٍ كجنا النحل

وثغر يطمع الشـائم

سلوا الشمسَ التي طلعت علينـا ثم ما افلت.
عسى ترثى لمن قتلت بعينيها وما علمت.

فقد يستعطف العالم

أما والخرَّد الصفر شبيهات سنا البدر
وألوان صفـا الخمر لقد أضرمن في صدرى.

غراما ليس بالنائم

وراح تبعث الطربا وتحيي الظرف والأدبا
يثير مزاجها حببـا تخال بهِ عيون دبى.

ودراً صفهُ الناظم

أما والجمرة الكبرى وزمزم والصفا ومنى
ومن لبي بها ودعا وطاف البيت ثم سعى.

خميصا مخبتا صائم

لقد أضحى لنا خلفا نزار وابتنى شرفا
وأصبح خامسَ الخلفا وأحيا سعيهُ السلفا:

فاضحى بالهدى قائم

نمى في المجد عنصرهُ وطال النجمَ مفخرهُ
وفاق البدر منظرهُ فصرف الدهر يحذرهُ

أبيٌّ لين صارم

وقوله في الراى

كأن الراى حين آتى طرياً باذناب كمحمر العقيق.
بلسقيات بلور لطاف بأسفلها بقايا من رحيق.

محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله
المدعو الخليفة بالاندلس وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني

من شعره

وما كان من عطف عليَّ حديثها … ولكن لتعذيب الفؤاد المعذب
حديث لو استسقت به الصخرَ جادها … باعذب من صوب الغمام واطيب

وقوله راجعهُ شوقهُ فحنا … وشفهُ شجوهُ فأنَّا
وسال من دمعه مصون … أظهر ما كان مستكنَّا
فعاد فيه الهوى يقينا … وكان عند الرقيب ظنا
لو كان يلقى الذى تلاقى … أوسعهُ رحمة ومنَّا[1]

وقوله بين أجفانها وبين ضلوعى … نازعتنى الحياةَ أيدى المنون
لست أدري أعن مدى طرفها الفا … تن موتى أم طرفي المفتون

وقوله قد رضيت الهوى لنفسيَ خلاًّ … ورأيت الممات فى الحب سهلا
وتذللت للحبيب وعِزُّ الـ … ـصب في سنة الهوى أن يذلا
بأبى من أحلَّ قتلى عمدا … وهنيئا لسيدى ما استحلا
سوف أجزى الحبيب بالصد ودا … مستجدا وبالقطيعة وصلا
وإذا ما استزاد تيها وعجباً … زدت نفسى لهُ خضوعا وذلا

وقوله غير مستنكر همول دموعى … فى التصابى وغير بدع خشوعى
ليس عزى الا فناء عزائى … وسنائى الا بقاء خضوعى
وبحسبي أنى ألاقى عذولى … باصطبارٍ عاص ودمعٍ مطيع

---

١ فى ط حنا

وقوله

اعد نظرا واستوقف الطرف منعماً تجد كلفا صبا بحبك مغرما
سرى الحب في اخلاقه فارقها وعلمه أحكامهُ فتعلما
ولست تراه سائلا منك عطفة حذارا من التقبيل إلاّ توهما
فان جدت لاقتهُ الحياة كريمة وان لم تجد لاقى الحمام مقدما

وقوله

لئن وعدتنى وصلها وعد عاتب يجاحدنى وعدى وينكرنى حقي
فافضل ثوب الغيث في الارض دافق وأبلغهُ ماجاد بالرعد والبرق
فان مانعتنى فضل انجاز موعد فإن الحيا الممنوع اشهى إلى الخلق
فلا كان لى في الارض رزق أنالهُ اذا لم يكن في نيل موعدها رزقي

وقوله ياربيعى ما كان ضرك لو جدت علينا كما يجود الربيع
وردهُ ذاهب ووردك باق وهو سهل به وأنت منوع
كن شفيعي اليك ياجنة الخلد فمالى غير الخضوع شفيع

وقوله كم تَصابٍ أردفتهُ بتصاب واصطباح وصلته باغتباق
وكؤوس عاطيتها بدرَ تم جل أن يعتريه نقص المحاق
وغصون جنيت منها ثمارا لم يشنها تساقط الاوراق
زمن لو بكيتهُ حسبَ وجدى كنت أبكيه من دم الأحداق

وقوله ومختطف للعين بت أشيمهُ مجالسة والليل حيران مطرق
سرى يخبط الظلماء حتى كأنه بوجدىَ يسرى أو بقلبي يخفق

وقوله تبدت بأكناف الحجاز ديارها فاوقد نارَ الوجد في القلب نارُها
كأن بأنفاسي استمد ضرامها وعن كبدي الحرّى تلظى استعارها
يحنّ اليها القلب حتى كأنما اليهِ تناهيها ومنهُ انتشارها

وقوله ولما حمى الشوق المبرّح ناظرى ... كراه حذارا أن يرينى مثالهُ
شربت عقارا أذ كرتنى بريقهُ ... وأهدت كرىأهدىإلىَّ خيالهُ
فهل هى الاَّ نعمــة مسترقة ... أنالت يدى مالم أؤمل نواله

حبيب بن أحمد الاندلسى

قال ودَّعتنى بزفرة واعتنــاق ... ثم نادت متى يكونُ التلاقي
وتصدّت فاشرق الصبح منها ... بين تلك الجيوب والاطواق
ياسقيم الجفون من غير سقم ... بين عينيك مصرعُ العشاق
ان يوم الفراق أفظع يوم ... ليتنى مت قبل يوم الفراق
ولهُ هيج البين دواعى سقمي ... وكساجسمىثوبَ الألم
أيها البين أقلنى مرة ... فإذا عدت فقد حل دمي
ياخلىّ الروع نم في غبطة ... إن من فارقته لم ينم (1)
ولقد هاج لقلبي سقما ... حبُّمنلوشاءداوىسقمى
وقوله وجنة كالربيع جاد عليها ... من حياءٍ لامن حياً وسمى
ووجوه قلبتهــــا كالدنانيـ ... ـر ومثلي لمثلها صيرفىُّ
تهادى الرياح منها نسيما ... شابه عنبر ومســك ذكىُّ
وقوله ألا بأبى مَن قلبه غير مشفق ... علىّ ولى قلب عليه شفيق
وانى لأبدى للوشاة تبسما ... وإنسان عينى فى الدموع غريق
وكم شافهتنى للصبا أريحية ... ومازج ريقى للأحبة ريق

على رخا و ... [illegible]

تم الجزء الأول من يتيمةالدهر ويتلوه الجزء الثانى

١ فى ط ياخلى الزرع

قريبا سيظهر الجزء الاول من

ديوان جرير

بتحقيق جمهرة من الادباء

ومقابلا على كتاب النقائض بين جرير والفرزدق طبع اوربا ومكملا من النسخه الخطية المحفوظة بدار الكتب

والكتاب يقع فى جزئين وثمنه خمسة عشر قرشا صاغا قبل الطبع وعند تمام الطبع يضاعف هذا الثمن